

السِّيَرَةُ عَائِشَةُ وَتَوْثِيقُهَا لِلسُّنَّةِ

تأليف
جيهان رفعت فوزي
ماجستير في الدراسات الإسلامية

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع ١٧٣٠٨ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي

I.S.B.N 977 - 5046 - 80 - 7

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٠١١/٣٣٨٢٤٢ - ٣٣٨٢٤١ - ٣٣٨٢٤٠ : ☎

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستترشده ، ونؤمن به ونتوكل عليه ،
ونثنى عليه الخير كله ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسأله
السداد في الأمر ، وإعظام المثوبة والأجر .

ونصلى ونسلم على سيدنا ونبينا محمد - ﷺ ، المبعوث رحمة للعالمين ،
الذى أدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وبين للناس منازل إليهم من رب العالمين ،
والقائل : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه
الأبرار وبعد .

فإن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد كتاب
الله تعالى ؛ إذ هي مفسرة لنصوصه ، مبينة لمعناه ، مؤضحة لمشكليه ، معللة
لمحكّميه ، لذا كان اتباعها والعمل بما جاء فيها واجب كالقرآن الكريم ، وبقول
الله عز وجل ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .
وقد قام الصحابة - رضوان الله عليهم - بالحفاظ على سنة رسول الله -
ﷺ - من خلال العناية الفائقة بها بوضع الأسس والمقاييس التى تحافظ عليها
ممن يريد النيل منها .

وكان على رأس هؤلاء الصحابة أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - إذ
وعت عن رسول الله - ﷺ - أكثر من ألف حديث شريف ، روتها عنه بكل دقة
وضبط وإتقان ، فقد كانت الزوجة الشديدة اللصوق به ، تسمع منه ما لا يسمعه
غيره ، وترى من أحواله ما لا يراه غيرها ، وتفهم عنه ، وتسأله عما يغمض عليها .
ولذلك جاءت روايتها للسنة النبوية المطهرة متميزة ؛ لإتيانها على السماع
والقرب من رسول الله - ﷺ ، ونشأتها وترعرعها فى بيت النبوة ، وتحت
توجيهه - ﷺ .

قامت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بدور كبير فى رواية السنة النبوية وفى توثيقها ، وأعنى بالتوثيق تمييز مايمكن أن يكون صحيحًا ومالا يكون كذلك ، واستدراكاتها على الصحابة - رضوان الله عليهم - فى ذلك مشهورة . وتعتبر السيدة عائشة - رضى الله عنها - رائدة فى مجال توثيق السنة ، فقد أرست قواعد ذات شأن فى هذا التوثيق ، وعبارتها المشهورة فى هذا الشأن « بينى وبينكم كتاب الله » ، أى عرض الروايات على القرآن الكريم ، فما وافق منها القرآن الكريم أو لم يتعارض معه قبلته ، ومالم يكن كذلك رفضته .

وإذا كانت رواية السيدة عائشة - رضى الله عنها - للسنة قد حفلت بها كتب الحديث ، فإن الجانب الآخر ، وهو التوثيق لم يلق هذه الرعاية ولم يحظ بعناية الدارسين ، وهو جانب هام يكشف عن الجهود التى بذلها علماء السنة من لدن الصحابة - رضوان الله عليهم - ومنهم السيدة عائشة ، فى توثيق الروايات ، وتقديمها صحيحة نقية ، وذلك من خلال النقد الداخلى - نقد المتون - والنقد الخارجى - نقد الأسانيد .

وللسيدة عائشة - رضى الله عنها - باع طويل فى نقد متون السنة لتوثيقها ، وهو يكشف عن أن العلماء عنوا بالمتون كما عنوا بالأسانيد .

وبهذه الدراسة يمكننا كشف قواعد فى هذا المجال تفيد دائمًا فى طريق الاطمئنان على ما نأخذ من السنة وماندع .

كما أنها تعنى بجانب هام من جوانب التشريع الإسلامى ؛ إذ السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى .

أضف إلى ذلك أن هذه الدراسة ستكشف جانبًا هامًا لم يعن به الدارسون ولم يعرف طريق التوثيق للسنة ، وهو جانب نقد المتون ، أو مايمكن أن نسميه النقد الداخلى للسنة ، إذ المعروف والمشهور عن علماء السنة أنهم اهتموا بالأسانيد فقط ، ولم يعنوا بالمتون ، وهذا بجانب الصواب ، والسيدة عائشة - رضى الله عنها - مثل على ذلك .

* * *

خطة الدراسة :

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب :
أولاً : المقدمة : وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع ، وخطته ومنهجه ،
والمصادر التي يعتمد عليها فيه .

ثانياً : الباب الأول : ترجمة للسيدة عائشة .

- الفصل الأول : نسبها .
- الفصل الثاني : نشأتها .
- الفصل الثالث : في بيت النبوة .
- الفصل الرابع : فضائلها .
- الفصل الخامس : مكانتها العلمية وإمامتها .

ثالثاً : الباب الثاني : توثيق عائشة للسنة .

- الفصل الأول : عناية الصحابة بالسنة ومجمل توثيقهم لها .
- الفصل الثاني : توثيق عائشة للسنة من حيث رواتها .
- الفصل الثالث : توثيق عائشة للسنة من حيث المتون .

رابعاً : الباب الثالث : دراسة مقارنة للموضوعات التي استدركتها السيدة عائشة على الصحابة .

- الفصل الأول : مقياس عرض السنة على القرآن الكريم .
- الفصل الثاني : مقياس عرض السنة على السنة .
- الفصل الثالث : مقياس عرض السنة على القياس ، والأصول الإسلامية .

رابعاً : الفهارس ، وهي فهارس متنوعة ، وتشتمل على :
فهارس الآيات ، والأحاديث ، والموضوعات ، وثبت للمصادر والمراجع .

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي ، والتحليلي ، والاستنباطي .

مصادر الدراسة :

اعتمدت في الدراسة على المصادر الآتية :

- ١ - كتب السنة المشهورة ، وخاصة المسانيد التي جمعت روايات السيدة عائشة - رضی الله عنها .
- ٢ - تاريخ الرواة ، والجرح والتعديل .
- ٣ - وغير ذلك من المصادر .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

الرموز المستخدمة في هذه الدراسة :

- خ : الجامع الصحيح .
- م : صحيح مسلم .
- د : مسند أبو داود الطيالسي .
- ت : سنن الترمذی .
- ج : سنن ابن ماجه .
- س : سنن النسائي .
- س (الكبرى) : سنن النسائي الكبرى .

* * *

البَابُ الْأَوَّلُ

ترجمة السيدة عائشة - رضی الله عنها

- الفصل الأول : نسبها .
- الفصل الثاني : نشأتها .
- الفصل الثالث : فى بيت النبوة .
- الفصل الرابع : فضائلها ومكونات شخصيتها .
- الفصل الخامس : مكانتها العلمية وإمامتها .



الفصل الأول

نسب أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها :

١ - اسمها :

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ، وعائشة مأخوذة من العيش ، وقد صغّر النبي - ﷺ - اسمها وقال يعويش (١) .

٢ - لقبها :

أطلق رسول الله - ﷺ - على أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - عدة ألقاب تميزت بها دون غيرها من أمهات المؤمنين ، فقد ناداها (يعائش) على الترخيم وفي الصحيحين عن عائشة قالت : « قال رسول الله - ﷺ - يعائش ، هذا جبريل يقرئك السلام ، فقلت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .. » (٢)

كما أطلق عليها النبي - ﷺ - لقب « ياحميراء » (٣) تصغير الحمراء ، يريد

(١) الإجابة ص (٦) .

(٢) خ : (٣٥/٣) (٦٢) كتاب فضائل القرآن - (٣٠) باب فضل عائشة - رضی الله عنها - رقم (٣٧٦٨) .

م : (٤) (١٨٩٦/٤) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (١٢) باب في فضل عائشة - رضی الله تعالى عنها - رقم (٢٤٤٧/٩١)

مسند أبي داود الطيالسي سليمان بن الجارود (ت ٢٠٤) : دار المعرفة بيروت (٣٣٩/٥) . رقم (٥٢٢٣) .

(٣) حميراء : تصغير الحمراء ، يريد البيضاء ، لأن العرب تطلق على الأبيض أحمر لغلبة السمرة على لون العرب . (لسان العرب : مادة حم) .

بها البيضاء ، فعن أبي سلمة قال : قالت عائشة - رضی الله عنها - دخل الحبشة : المسجد يلعبون ، فقال لى : (يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ...) . وكذلك ما روته أم سلمة ^(١) - رضی الله عنها - قالت : « ذكر النبي - ﷺ - خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة ، فقالت : انظري يا حميراء ، ألا تكونى أنت ، ثم التفت إلى على ، فقال : إن وليت من أمرها شيئاً ، فإرفق بها » ^(٢) .

وكان النبي - ﷺ - يناديها ب (يا بنت الصديق) و(يا بنت أبي بكر) ^(٣) . وكذلك ناداها بقوله : (يا موقفة) ^(٤) .

٣ - كنيها :

كانت لأم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - كنية شأنها فى ذلك شأن سائر أمهات المؤمنين . وذلك عندما طلبت من رسول الله - ﷺ - أن يكون لها كنية ، فكانها بابن أختها أسماء - رضی الله عنها - تطييباً لحاظرها ، فكانت تكنى بأب عبد الله ^(٥) .

(١) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية ، هاجرت مع زوجها أبى سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، توفى عنها سنة ٣ هجرية ، ثم تزوجها الرسول - ﷺ - وكانت من أفضل أزواجه ، توفيت فى خلافة يزيد سنة ٦٠ هجرية ، ودفنت بالبقيع . (الإصابة ٤/٤٥٨) .

(٢) المستدرک لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الفكر - بيروت . مصورة عن الطبعة الهندية . (١١٩/٣) .

(٣) موسوعة فقه السيدة عائشة حياتها وفقها ، للشيخ سعيد فايز الدخيل ، دار النفائس ، لبنان - بيروت (ص ١٩) .

(٤) مسند أحمد (١/٣٣٥)

(٥) انظر البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير . (ت ٧٧٤ هـ) - دار الفكر العربى (٩٨/٨) .

(٥) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى ، أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ولد عام الهجرة ، فكان أول مولود للمسلمين بعد الهجرة ، أول شىء دخل بطنه ريق النبي - ﷺ - ثم حنكه بتمر ، قاتل عن عثمان ، وشهد الجمل مع عائشة ثم اعتزل الفتنة ، ولما قتل يزيد بن معاوية بايعه =

فقد روى عروة ، عنها أنها قالت : يارسول الله كل صواحيبي لها كنية غيرى ، قال : « فاكنتى بابنك عبد الله بن الزبير ، فكانت تدعى بأب عبد الله حتى ماتت » (١) .

وقد جاء فى معجم ابن الأعرابى : أنها جاءت بسقط فسماه النبى - ﷺ - عبد الله وكنهاها به ، وفى إسناده نظر ؛ لأن مداره على داود بن المحبر صاحب كتاب العقل (٢) .

وقال النووى : أما ما روينا عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : أسقطت من النبى سقطاً فسماه عبد الله ، وكنانى أم عبد الله ، فحديث ضعيف (٣) .
 ويؤكد أنها لم تلد من النبى - ﷺ - ما رواه عروة عنها أنها قالت : « كنانى النبى - ﷺ - أم عبد الله ، ولم يكن لى ولد قط » (٤) .
 وقال ابن حجر : ولم تلد للنبى - ﷺ - شيئاً على الصواب ، وسألته أن تكنى فقال : اكننى ببن أختك ، فاكنتت أم عبد الله (٥) .

= الناس بالخلافة إلا بعض أهل الشام ، ثم قاتله الحجاج حتى قتل بمكة سنة ٧٣ هجرية (الإصابة ٣٠٩/٢ - سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣) .

(١) مسند أحمد (٦/٢٦٠ ، ١٥١ ، ١٨٦) .

د : (٢٥٣/٥) ، (٣٥) كتاب الأدب - (٧٨) باب فى المرأة تكنى . رقم (٤٩٧٠) .

جه : (١٢٣١/٢) (٣٣) كتاب الأدب (٣٤) باب فى الرجل يكنى قبل أن يولد له . رقم (٣٧٣٩) .

المعجم الكبير لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠) ، تحقيق حمدى عبد الحميد السلفى - وزارة الأوقاف بالعراق : (١٨/٢٣) - رقم (٣٥) .

(٢) الإجابة ، ص (٣٠) ، والبداية والنهاية (٩٨/٨) .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - ﷺ - للإمام محبى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى الشافعى (٦٣١ - ٦٧٦ هجرية) - دار نهر النيل . (ص ٢٦١) .

(٤) المعجم الكبير (١٨/٢٣) رقم (٣٤)

(٥) فتح البارى (٣٤/٧) (٦٢) كتاب فضائل الصحابة - (٣٠) باب فضل عائشة .

والإصابة فى تمييز الصحابة : لشهاب الدين العسقلانى ، مكتبة المتنى - لبنان (٣٥٩/٤) .
 وتهذيب التهذيب (٤٣٦/١٢) .

٤ - نسبها وأسرتها :

تنتسب أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - إلى أسرة أصيلة عريقة هي أسرة أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - وتنحدر هذه الأسرة الكريمة من قبيلة « تيم » العربية ، والتي عُرف عنها الكرم والشجاعة والنجدة ونصرة المظلوم وإعانة الضعيف وقد عهد إلى أبي بكر الصديق باعتباره أحد ساداتها بأمر تسوية الدم وأداء المغارم والديات ^(١) .

وكانت لأسرة أبي بكر الصديق مكانة كبيرة قبل الإسلام ، فهي من أكرم الأسر العربية وأعرقها ، وبعد الإسلام تعد أسرة أبي بكر الصديق من السابقين إليه . وقد ورثت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - الكثير من عناصر الفخار التي تميزت بها قبيلتها ، كما أنها ولدت ونشأت في بيت عامر بالإسلام والإيمان مما كان له الأثر الكبير والطيب عليها .

٥ - أبو بكر الصديق - رضى الله عنه :

وأبوها أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - اسمه عبد الله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك القرشى التميمي ^(٢) .

فنسب أبو بكر الصديق يجتمع مع نسب النبي - ﷺ - في مرة بن كعب ^(٣) ، وعليه فأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تنتسب إلى نسب شريف . ذلك أنه يتصل بنسب خير خلق الله محمد - ﷺ - ، وقد بين النبي - ﷺ - فضل هذا النسب وشرفه فيما رواه واثلة بن الأسقع ^(٤) - رضى الله عنه -

(١) أسد الغابة (٣/٣١٠) .

(٢) الإصابة (٢/٣٤١) - البداية والنهاية (٨/٩١) .

(٣) أسد الغابة (٣/٣٠٩) ، والروض الأنف (١/٢٨٨) .

(٤) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عبد مناف ، أسلم قبل غزوة تبوك سنة تسع وشهدها ، كان من أهل الصفة ، نزل الشام ، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرها ، مات في خلافة عبد الملك سنة ٨٣ هجرية ، وعمره ١٦٥ سنة . (انظر الإصابة ٣/٦٢٦ - وسير أعلام النبلاء ٣/٣٨٣) .

قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » (١) .

وقد كان أبو بكر الصديق من أحب الرجال إلى النبي - ﷺ - وأعزهم عليه (٢) ، وكان - رضى الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله - ﷺ - وقد سئل عن ذلك مالك فقال « وهل فى ذلك شك » . وأخرج البخارى فى صحيحه عن محمد بن الحنفية قال : « قلت لأبى - أى على بن أبى طالب - : أى الناس خير بعد رسول الله - ﷺ - ؟ قال : « أبو بكر » ، قلت : « ثم من ؟ » ، قال : « عمر » وخشيت أن يقول عثمان ؛ قلت : « ثم أنت » قال : « ما أنا إلا رجل من المسلمين » (٣) .

وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده أن النبي - ﷺ - أراد أن يكتب الخلافة لأبى بكر ، فقد روى ابن أبى مليكة ، عن عائشة أنها قالت : « لما ثقل رسول الله - ﷺ - قال لعبد الرحمن بن أبى بكر (٤) : ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبابكر » (٥) .

لقب النبي - ﷺ - - أبابكر بالصديق (٦) فقد أخرج البخارى ومسلم « أن

(١) م (١٧٨٢/٤) (٤٣) كتاب الفضائل - (١) باب فضل نسب النبي - ﷺ - رقم (٢٢٧٦/١) .

(٢) الإجابة ص (٤٠) .

(٣) المصدر السابق ص (٤٠ - ٤١) .

(٤) عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق شقيق لعائشة ، أسلم قبل الفتح ، أكبر أولاد أبى بكر ، كان رامياً شجاعاً ، شهد مع خالد اليمامة ، فقتل سبعة من أكابرهم ، روى عن النبي - ﷺ - وعن أبيه ، وروى عنه ابنه القاسم ومحمد ، ولم يجرب عليه كذبة قط ، شهد الجمل مع عائشة . توفى قرب مكة فقتل إليها ودفن بها سنة ٣٥ هجرية ، (الإصابة ٤٠٧/٢ ، وتهذيب التهذيب ١٤٦/٦) .

(٥) مسند أحمد (٤٧/٦) .

(٦) أسد الغابة (٣١٠/٣) .

رسول الله - ﷺ - صعد أحدًا ، وأبو بكر ، وعمر وعثمان . فرجف بهم .
 فقال : أثبت أحد ، فإن عليك نبي وصديق وشهيدان » (١) .

كما روى عن عائشة قالت : « لما أسرى بالنبي - ﷺ - إلى المسجد
 الأقصى ، أصبح يُحدِّثُ بذلك الناس ، فارتد ناس ممن كان آمن وصدق به
 وفوتوا ، فقال أبو بكر : إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء
 عُذوة أو رَوْحَة » ، فلذلك سمي أبا بكر الصديق (٢) .

وسمي عتيقًا بعد بشارة رسول الله - ﷺ - له بأنه عتيق الله من النار ، فقد
 روت عائشة أن أبا بكر - رضی الله عنهما - دخل على رسول الله - ﷺ -
 فقال له رسول الله - ﷺ : « أبشر فأنت عتيق الله من النار » ، فقالت : فمن
 يومئذ سُمي عتيقًا (٣) .

٦ - أم السيدة عائشة - رضی الله عنها :

أما أمها فهي أم رومان بفتح الراء وضمها (٤) ، وقيل اسمها دعدة (٥) ، وقيل
 اسمها زينب (٦) بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع
 ابن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة (٧) .

(١) خ : (١٣/٣) (٦٢) كتاب فضائل الصحابة - (٤) فضل أبي بكر بعد النبي - ﷺ - رقم
 (٣٦٧٥) . واللفظ له .

م : (٤/١٨٨٠) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - رضی الله تعالى عنهم - (٦) باب من فضائل
 طلحة والزبير - رضی الله تعالى عنهما - رقم (١٤١٧/٥٠) .

ت : (٥/٦٢٥) (٥٠) كتاب الفضائل - باب في مناقب عثمان بن عفان - رضی الله عنه -
 رقم (٣٦٩٩) .

(٢) أسد الغابة (٣/٣١٠) .

(٣) ت (٥/٦١٦) (٥٠) كتاب المناقب (١٧) باب في مناقب أبي بكر وعمر - رضی الله
 عنهما . رقم (٣٦٧٩) . أسد الغابة (٣/٣٠٩) .

(٤) الإجابة (ص ٧) .

(٥) الروض الأنف لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١) مكتبة
 شقرون . (٤/٢١) ، الإجابة (ص : ٣٢) .

(٦) الروض الأنف (٤/٢١) .

(٧) تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٣) ، أسد الغابة (٧/٣٣١) . رقم (٧٤٤٢) .

وهي أم عائشة - رضی الله عنها - وأم عبد الرحمن ، وقد تزوجها أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - في الجاهلية بعد أن توفي زوجها عبد الله بن الحارث الأزدي ^(١) ، وكان حليفاً له .

وقد أسلمت أم رومان في مكة ، وكانت من أوائل المسلمات ، وبايعت النبي - ﷺ ، وهاجرت مع أهل النبي وآل أبي بكر . وقد قال النبي - ﷺ ، في حقها : « من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان » ^(٢) .

وقيل : إنها توفيت سنة ست من الهجرة ، ونزل النبي - ﷺ - في قبرها ^(٣) . وقيل : إنها توفيت بعد ذلك ، فقد قال ابن حجر في الإصابة : (ووقفت على قصة أخرى تدل على تأخر وفاة أم رومان عن سنة ست ، بل عن سنة ثمان ، ففي مسند الإمام أحمد ، عن عائشة - رضی الله عنها - قالت : لما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله - ﷺ - بي ... ثم قال ابن حجر : والتخيير كان في سنة تسع ، والحديث مصرح بأن أم رومان كانت موجودة حينئذ) ^(٤) . وقال في فتح الباري عند قوله - ﷺ - : (حتى تستأمرى أبويك) ، يستفاد أن أم رومان كانت يومئذ موجودة ، فيرد به على من زعم أنها ماتت سنة ست من الهجرة ، فإن التخيير كان في سنة تسع ^(٥) .

* * *

(١) عبد الله بن الحارث بن سخيرة بن جرثومة الأزدي ، قدم من السراة إلى مكة فحالف أبا بكر . (الإصابة ٤/٤٥٠) .

(٢) أسد الغابة (٣٣١/٧) ، والطبقات الكبرى (٢٠٢/٨) .

(٣) الإجابة (ص : ٣٢) ، وأسد الغابة (٣٣١/٧) .

(٤) الإصابة (٤/٤٥٢) .

(٥) فتح الباري (٣٨١/٨) (٦٥) كتاب التفسير (٣٣) سورة الأحزاب - (٥) باب ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً ﴾ رقم (٤٧٨٦) .

الفصل الثاني

المولد ، والنشأة ، والزواج

١ - مولدها :

ولدت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - بمكة من أبوين مسلمين ، يدل على ذلك قولها : « لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين » ^(١) .
 وذكرت أنها لحقت بمكة سائس ^(٢) الفيل شيخاً أعمى يستعطي ^(٣) .
 وقد ولدت في السنة الرابعة للبعثة النبوية الشريفة ، حيث خطبها النبي - ﷺ - وهي بنت ست ، وذلك بعد مرور سنتين ، وقيل : ثلاث على موت خديجة ^(٤) - والتي توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ^(٥) ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع في شوال منصرفه من بدر في السنة الثانية من مقدمه .
 وأقامت في صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وتوفى عليه الصلاة والسلام وهي ابنة ثمانى عشرة سنة ^(٦) .

(١) خ : (٦٣/٣) (٦٣) كتاب مناقب الصحابة (٤٥) باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة ، رقم (٣٩٠٥) .

المعجم الكبير (١٦/٢٣) .

سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة - لبنان (١٣٩/٢) .

(٢) سائس : قائد - لسان العرب (س و س) .

(٣) البداية والنهاية (٩٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢) .

(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية ، تزوجها النبي - ﷺ - بعد رجلين قبله وذلك قبل ١٥ سنة ، وهي أول من أسلم ببعثته - ﷺ - وقد ولدت له جميع أولاده إلا إبراهيم ، وكانت له خير العون وخير الزوج حيث واسته بمالها وكلامها ، وفضائلها أكثر من أن تعد ، وقد بشرها الرسول - ﷺ - بيت في الجنة ، توفيت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات . (الإصابة ٢٨١/٤) .

(٥) خ (٤٧/٣) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار (٢٠) باب تزويج النبي - ﷺ - خديجة وفضلها

- رضی الله عنها - رقم (٣٨١٧) .

(٦) الإجابة (ص : ٣٢ - ١١) ، وأعلام النساء (١٠/٣ - ١١) ، والإصابة (٣٥٩/٤) .

٢ - نشأتها :

نشأت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - في بيت عامر بالإيمان لأبوين مسلمين ، فقد قالت - رضی الله عنها - : « لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان بالدين » ^(١) ، فولدها أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - أول من أسلم من الرجال ، وبإسلامه أسلمت زوجته أم رومان وابنتاه أسماء وعائشة - رضی الله عنهن ، وبذلك تعد عائشة من أوائل المسلمات .

وقد أرسلها أبوها إلى البادية ، وعهد بها إلى من يقوم بتربيتها من عرب بنى مخزوم ، فنشأت على الفصاحة والبلاغة والصفات العربية الأصيلة .

وكان للأسرة التي نشأت فيها عائشة - رضی الله عنها - مكانة كبيرة ، وذلك لمكانة أبي بكر - رضی الله عنه - قبل الإسلام وبعده ، فقد كان قبل الإسلام من أحد فضلاء قومه وساداتها ، وقد عُهد إليه بتسوية الدم وأداء المغارم والديّات ^(٢) . وقد وصف ابن إسحاق هذه المكانة بقوله : « كان أبو بكر الصديق - رضی الله عنه - رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر » ^(٣) .

وقال أيضا : « كان أبو بكر رجلاً تاجراً . ذا خلق ، ومعروف ، وكان رجال قومه يألفونه ، ويأتونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته » ^(٤) .

وبعد الإسلام تحملت أسرة أبي بكر الكثير من المتاعب التي واجهت المسلمين في البداية ، فها هو عائلها ينفق ماله في سبيل نشر الدعوة الإسلامية

(١) خ (٦٨/٣) (٦٣) كتاب مناقب الصحابة (٤٥) باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة .

رقم (٣٩٠٥) .

سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢) .

(٢) أسد الغابة (٣١٠/٣) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٣٢/١) .

(٤) المصدر السابق (٢٣٢/١) .

ومناصرة النبي - ﷺ - بكل ما يملك ، وقصة هجرته مع النبي - ﷺ - لهي أكبر دليل على بذل أبي بكر لماله في سبيل الله (١) .

فأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ولدت في بيت عامر بالإسلام ، فلم تعرف من أباطيل الشرك شيئاً ، مما أكسبها فكراً نقيّاً ، وقلبتا طاهرًا مكنها من أن تكون عالمة ذات شأن في عصرها .

كما إنها نشأت في بيت ذي مكانة اجتماعية كبيرة قبل الإسلام وبعده ؛ لمكانة أبي بكر الصديق ، فنالت عائشة - رضي الله عنها - مكانة كبيرة عند رسول الله - ﷺ - وصارت أحب زوجاته إليه ؛ لأنها ابنة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه .

٣ - زواجها من النبي ﷺ :

بدأت قصة زواج النبي - ﷺ - من عائشة - رضي الله عنها - بعد وفاة السيدة خديجة - رضي الله عنها - بستتين تقريباً ، فقد حزن النبي - ﷺ - على خديجة حزناً شديداً ، فبوفاتها فقد - ﷺ - العون والنصير ، فأراد الله - عز وجل - أن يهون عليه وأن يعوضه عنها خيراً ، فأرسل الله - سبحانه وتعالى - جبريل - عليه السلام - إلى رسوله - ﷺ - يبشره بالزواج من عائشة - رضي الله عنها - ابنة صاحبه الوفى ، لتحقيق له الاستقرار النفسى ليتفرغ لشئون الدعوة الإسلامية .

وتروى أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هذه الرؤيا قائلة : قال رسول الله - ﷺ - « أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ (٢) مِنْ حَرِيرٍ ، فَيَقُولُ هَذِهِ أَمْرَاتُكَ ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتَ هِيَ ، فَأَقُولُ : إِنَّ يَكُ مِنْ اللَّهِ يُمِضُهُ » (٣) .

(١) المصدر السابق (٢/٢٢٣) .

(٢) السرقة : هي الشقق الأبيض من الحرير - لسان العرب مادة (س ر ق) .

(٣) م : (٤/١٨٨٩ - ١٨٩٠) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (١٣) باب في فضل عائشة -

رضى الله تعالى عنها رقم . (٢٤٣٨/٧٩) . واللفظ له .

وفى رواية : « أريتك فى المنام مرتين » (١) .

وفى الترمذى : « أن جبريل جاء بصورتها فى خرقة حرير خضراء إلى النبى - ﷺ - فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة » (٢) .

ولأن رؤيا الأنبياء حق ومن عند الله تأتى خولة بنت حكيم (٣) امرأة عثمان بن مظعون (٤) إلى النبى - ﷺ - لتعرض عليه أمر الزواج بعد وفاة خديجة - رضى الله عنها - بستتين تقريرا ، وتعرض عليه كلاً من عائشة وسودة (٥) ، فوافق النبى - ﷺ - وطلب منها أن تخطبهما له .

تقول عائشة - رضى الله عنها - : « لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة : أى رسول الله ، ألا تتزوج ؟ قال : من ؟ قالت : إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً ؟ قال : فمن البكر ، قالت : بنت أحب خلق الله إليك ، عائشة ، قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة ، قال : فاذهبى

(١) خ : (٣٥٧/٣) (٦٧) كتاب النكاح - (٩) باب نكاح الأبكار . رقم (٥٠٧٨) ، (٣٦٩/٣) الكتاب السابق - (٣٥) باب النظر إلى المرأة قبل التزويج رقم (٥١٢٥) ، (٦٦/٣) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٤٤) باب تزويج النبى - ﷺ - عائشة ، وقدموها المدينة ، وبنائه بها . رقم (٣٨٩٥) .

مسند أحمد (٤١/٦ ، ١٢٨ ، ١٦١) .

(٢) ت : (٧٠٤/٥) (٥) كتاب المناقب - (٦٣) باب فضل عائشة - رضى الله عنها - رقم (٣٨٨٠) .

(٣) خولة بنت حكيم بن أمية الأوقصى ، وتكنى أم شريك ، قيل كانت من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى - ﷺ - ، كانت سالحة فاضلة ، روت عن النبى - ﷺ - الطبقات الكبرى (١١٣/٨) ، وتهذيب التهذيب ٤١٥/١٢ ، والإصابة (٢٩١/٤) .

(٤) عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحى ، يكنى أبا السائب ، أسلم بعد ١٣ رجل ، وهاجر إلى الحبشة ، طلب من الرسول - ﷺ - أن يختصى فنهاه وأمره بالصوم ، توفى بعد بدر ، ودفن بالبيع . (الطبقات ٣/٣٩٣ ، والإصابة ٤٦٤/٢) .

(٥) سودة بنت زمعة بن قيس القرشية ، تزوجها السكران بن عمر ، وتوفى عنها ، ثم تزوجها الرسول - ﷺ - بعد وفاة خديجة ، وحينما خشيت أن يطلقها جعلت يوماً لعائشة ؛ لتفوز بأن تكون من زوجاته فى الجنة ، توفيت فى خلافة عمر . الإصابة ٤/٣٣٨) .

فاذكريهما علي ، فجاءت فدخلت على أبي بكر فوجدت أم رومان ، فقالت : ما أدخل عليكم من الخير والبركة ، قالت : ما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت : وددت ، انتظري أبا بكر ، فجاء أبو بكر ، فذكرت له ، فقال : وهل تصلح له وهي بنت أخيه ؟ ، فرجعت فذكرت ذلك للنبي - ﷺ - قال : قولى له : أنت أختى فى الإسلام وابنتك تحل لى ، فقال أبو بكر : إن المطعم بن عدى ^(١) كان قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما أخلفت وعدًا قط ، قالت : فأتى أبو بكر المطعم ، قال : ماتقول فى أمر هذه الجارية ؟ ، فقال : فأقبل على امرأته ، فقال : ماتقولين ؟ فأقبلت على أبي بكر فقالت : لعننا إن أنكحنا هذا الفتى إليك تدخله فى دينك ، فأقبل عليه أبو بكر فقال : ماتقول أنت ؟ قال : إنها لتقول ماتسمع ، فقام أبو بكر وليس فى نفسه من الموعد شىء ، فقال لها : قولى لرسول الله - ﷺ - فليأت ، فجاء فعقد عليها ، وأصدقها أربعمائة درهم ^(٢) . وهكذا تمت الخطبة المباركة بمكة قبل الهجرة بستين ، وقيل بثلاث بعد موت خديجة وقبل سودة بنت زمعة ، وقيل بعدها ، وهذا هو الأشهر ^(٣) . وأخرج البخارى من قول عروة : أن خديجة توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين أو قريبًا من ذلك ، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ^(٤) . وقد قالت عائشة - رضى الله عنها - : (تزوجنى رسول الله - ﷺ - متوفى خديجة قبل مخرجه إلى المدينة بستين أو ثلاث ...) ^(٥) الحديث .

(١) المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف سيد قريش : رئيس بنى نوفل فى الجاهلية ، وقائدهم فى حرب « الفجار » ، وهو الذى أجاز رسول الله - ﷺ - لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجهًا إلى مكة ، وأجاز سعد بن عباد . وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التى كتبها قريش على بنى هاشم ، مات قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة ، (الأعلام للزركلى ٢٥٢/٧) .

(٢) مسند أحمد (٢١٠/٦) ، ومسند عائشة ص (٣١٢) رقم ٨٥٩ ، والمستدرک (٧٣/٣) كتاب معرفة الصحابة .

(٣) الإجابة ص (١٠) .

(٤) خ : (٣٧٧/٣) (٦٧) كتاب النكاح (٥٩) باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين . رقم (٥١٥٨) .

(٥) مسند عائشة . (ص ٢٢٢ - رقم ٥٣٧) .

وكانت الخطبة في شوال من السنة الثانية عشرة للبعثة النبوية (١) ، وعمر عائشة - رضی الله عنها - ست سنوات (٢) ولم يتزوج النبي - ﷺ - بكرًا غيرها ، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرها بلا خلاف (٣) .

وبعد الهجرة النبوية الشريفة وفي السنة الثانية بالتحديد بعد غزوة بدر الكبرى ، بنى رسول الله - ﷺ - بعائشة - رضی الله عنها - في شوال ، لذا كانت تستحب أن تتزوج النساء في شوال ، حيث قالت : « تزوجني رسول الله - ﷺ - في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأى نساء رسول الله - ﷺ - أحظى عنده مني ؟ » فكانت تستحب أن تدخل نساءها في شوال (٤) .

وكان سن عائشة - رضی الله عنها - في ذلك الوقت تسع سنوات ، فقد أخرج الإمام أحمد : « تزوجها رسول الله - ﷺ - وهي بنت تسع سنين ، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة » (٥) .

وتروى لنا أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - ماجرى يوم زفافها قائلة : « تزوجني رسول الله - ﷺ - لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين . قالت : فقدمنا المدينة فوعكت شهرًا ، فوفى شعري جميمة (٦) ، فأتتني أم رومان وأنا على

(١) ت (٣/٣٩٢ - ٣٩٣) (٩) كتاب النكاح - (٩) باب ما جاء في الأوقات التي يُستحب فيها النكاح . رقم (١٠٩٣) .

(٢) س : (٦/١٣١) (٢٦) كتاب النكاح - (٧٨) البناء بابنة تسع رقم (٣٣٧٨ ، ٣٣٧٩) . (٣) الإجابة ص (١٧ ، ٣٩) .

(٤) م : (٢/١٠٣٩) (١٦) كتاب النكاح - (١١) باب استحباب الزوج والتزويج في شوال ، واستحباب الدخول فيه رقم (١٤٢٣/٧٣) .

س : (٦/٧٠) (٢٦) كتاب النكاح (١٨) التزويج في شوال . رقم (٣٢٣٦) . مسند عائشة ص (١٥٩ ، رقم ٣١٩) .

(٥) مسند عائشة (ص ٨٧ رقم ٦٠) .

م : (٢/١٠٣٩) (١٦) كتاب النكاح - (١٠) باب تزويج الأب البكر الصغيرة . رقم (١٤٢/٧٢) س : (٦/٨٢) (٢٦) كتاب النكاح - (٢٩) إنكاح الرجل ابنته الصغيرة رقم (٣٢٥٨) المستدرک

(٩/٤) .

(٦) جميمة : تصغير جمعة ، وهي الشعر النازل إلى المنكبين - لسان العرب ، مادة (ججم) .

أرجوحة ومع صواحبي فصرخت بي ، فأتيتهما ، ما أدري ماتريد بي ، فأخذت بيدي فأوقفتني على الباب فقلت : هه .. هه ، حتى ذهب نفسي ، فادخلتني بيتًا فإذا بنسوة من الأنصار ، فقلن : على الخسير وعلى خير طائر ، فأسلمنني إليهن ، فغسلن رأسي ، وأصلحنني فلم يرعني إلا رسول الله - ﷺ - ضحىً فأسلمنني إليه « (١) .

وقد قدم للرسول - ﷺ - قدح من لبن فشرب منه ، ثم ناوله لعائشة فخفضت رأسها حياء .

وأقامت عائشة - رضي الله عنها - في صحبتها ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وتوفى - ﷺ - وهي ابنة ثمانى عشرة سنة (٢) ، وكانت أفضل امرأة مات عنها رسول الله - ﷺ - بلا خلاف (٣) .

* * *

(١) خ : (٦٦/٣) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار - (٤٤) باب تزويج النبي - ﷺ - - عائشة ، وقدموها المدينة ، وبنائه بها . رقم (٣٨٩٤) .

م : (١٠٣٨/٢) (١٦) كتاب النكاح - (١٠) باب تزويج الأب البكر الصغيرة . رقم (١٤٢٢/٦٩) . مسند أحمد (٢١١/٦) .

(٢) الإجابة ص : (١١) .

(٣) المصدر السابق ص (٥٦ - ٥٩) .

الفصل الثالث

في بيت النبوة

١ - مكانتها عند رسول الله ﷺ :

وهذه المكانة الإجتماعية التي تمتعت بها أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - أضيف إليها مكانة أكبر منها لزواجها من النبي - ﷺ - وانتقالها إلى بيت النبوة ومهبط الوحي . وكانت حيث لا تزال صغيرة السن تحب اللعب بالعراس مع صواحباتها ، فما كان منه - ﷺ - إلا إن أفسح لها المجال للعب ، ولم يحرمها من هذه المتعة ، بل إنه كان يفرح بلعبها ويضحك حتى ترى نواجذه (١) . تقول في ذلك عائشة - رضی الله عنها - : « كنت ألعب بالبنات عند رسول الله - ﷺ - وكانت تأتيني صواحيبي فكن ينقمعن من رسول الله - ﷺ ، وكان يسربهن إليّ فيلعبن معي » (٢) .

وفي رواية : (كنت ألعب بالبنات يوماً فربما دخل عليّ رسول الله - ﷺ - وعندى الجوارى ، فإذا دخل خرجنا ، وإذا خرج دخلنا) (٣) .

وكان - ﷺ - دائماً يحب أن يدخل الفرح والبهجة على قلبها ، فيحملها على عاتقه - ﷺ - لتشاهد الحبشة وهم يلعبون بالحراب في صحن المسجد (٤) ، ويشاركها في اللعب ، وتقول : « سابقني النبي - ﷺ - فسبقته ما شاء حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني ، فقال : يا عائشة هذه بتلك » (٥) .

(١) د : (٢٢٦/٥) (٣٥) كتاب الأدب (٦٢) باب في اللعب بالبنات رقم (٤٩٣٢) .
 (٢) خ : (١١٥/٤) (٧٨) كتاب الأدب - (٨١) باب الانسباط إلى الناس . رقم (٦١٣٠) .
 م : (٤/١٨٩٠ - ١٨٩١) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة (١٣) باب في فضل عائشة - رضی الله عنها . رقم (٢٤٤٠/٨١) .
 (٣) د : (٢٢٦/٥) (٣٥) كتاب الأدب (٦٢) باب في اللعب بالبنات . رقم (٤٩٣١) .
 (٤) خ (٣/٣٨٥) (٦٧) النكاح - (٨٢) حسن المعاشرة مع الأهل . رقم (٥١٩٠) والإجابة (ص ٤٣) .
 (٥) د : (٣/٦٥ - ٦٦) (٩) كتاب الجهاد - (٦٨) باب السبق على الرجل ، رقم (٢٥٧٨) =

وحظيت عائشة - رضی الله عنها - بحب النبي - ﷺ - فكانت أحب زوجاته إليه ، وقد قال له عمرو بن العاص : « يارسول الله أي الناس أحب إليك ؟ » قال : « عائشة » ، قال : « ومن الرجال ؟ » ، قال : « أبوها » ^(١) . وقد أثارت تلك المنزلة التي احتلتها منه عائشة - رضی الله عنها - غيرة زوجاته ، فأرسلن ابنته فاطمة ^(٢) - رضی الله عنها - يطالبنه صلى الله عليه وسلم بأن تكون لهن مكانة عائشة . فقال لفاطمة : « يابنية ألا تحبين ما أحب ؟ » قالت : بلى ، فرجعت إليهن فأخبرتهن .

وقال ﷺ : « لا تؤذيني في عائشة ، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة » ^(٣) .

وكان يقول ﷺ لهن أيضًا : « إنها ابنة أبي بكر » ^(٤) .

= جه : (١/٦٣٦) (٩) كتاب النكاح - (٥٠) حسن معاشره النساء ، رقم (١٩٧٩) .
 سير أعلام النبلاء (١٧٤/٢) .

(١) خ : (٩/٣) (٦٢) كتاب فضائل الصحابة - (٤) باب فضل أبي بكر بعد النبي - ﷺ - .
 رقم (٣٦٦٢) .

الإجابة . ص (٢٧) - وأسد الغابة (٣/١٩١) - وسير أعلام النبلاء (٢/١٤٢) .

(٢) فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - أصغر بناته سنًا ؛ حيث ولدت سنة ٤١ من مولده ، زوجها النبي - ﷺ - عليًا بعد وقعة أحد وعمرها خمس عشرة سنة ، وكان الرسول - ﷺ - يحبها ويكرمها ، ولدت لعلي الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى توفيت ، لم يبق ولد من نسل الرسول - ﷺ - إلا من نسلها ، أوصت أن يغسلها علي ، ولا يدخل عليها أحد إلا هو ، توفيت سنة ١١ هـ ، ودفنت ليلاً ، وصلى عليها علي والعباس والفضل . (الإصابة ٤/٣٣٧) .

(٣) خ : (٢/٢٣١) (٥١) كتاب الهبة - (٧) باب من أهدى إلى صاحبه ، وتجرى بعض نسائه دون بعض . رقم (٢٥٨١) .

م : (٤/١٨٩١) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (١٣) باب فضل عائشة - رضی الله تعالى عنها . رقم (٢٤٤٢/٧٩) .

سير أعلام النبلاء (١٤٤/٢) .

(٤) خ : (٢/٢٣٢) في الكتاب والباب السابقين . رقم (٢٥٨١) .

سير أعلام النبلاء (١٤٤/٢) .

وكان النبي - ﷺ - إذا افتقدها قال : « واعروساه » ، وقد وجعت يوماً فقالت : « وارأساه » ، فقال النبي - ﷺ - : « بل أنا وارأساه » (١) .

وليس أدل على حبه لها من اختياره ﷺ أن يمرض في بيتها ، ووفاته بين سحرها ونحرها ، ودفنه في بيتها ببقعة هي أفضل بقاع الأرض بإجماع الأمة (٢) .
 وقد عرف الصحابة - رضوان الله عليهم - ذلك فأحبوا من أحب رسول الله - ﷺ - وصاروا يتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه ، يتتغون بذلك مرضاته - ﷺ (٣) .

وصار حبه إياها علمًا عليها فسميت « حبيبة حبيب الله » و« خليلة رسول الله » و« حبيبة رسول الله » (٤) .

وقد أكسب هذا الحب عائشة - رضی الله عنها - الحظوة لدى النبي - ﷺ مما مكنتها من الوقوف على كثير من أمور الدين ، وخاصة التي تتعلق بعلاقة الرجل بزوجه في الإطار الإسلامي ، حتى أنها صارت المرجع الأول الذي يرجع إليه الصحابة في ذلك ، فقد قال الزهري : « لو جمع لي علم عائشة وعلم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل » (٥) .

فعيشها في بيت خير خلق الله قد أضاف إلى مكائنها الإجتماعية التي نشأت عليها في بيت أبيها مكانة أسمى لكونها زوجة لرسول الله - ﷺ - وأما للمؤمنين ، وتلقيها العلم غصًا طريًا من المعلم الأول النبي - ﷺ - وصارت عالمة بالقرآن والسنة المطهرة لدرجة أن كبار الصحابة كانوا يلجأون إليها لغزارة علمها وسعته .

وعلى الرغم من اختلاف مستوى المعيشة في بيت الرسول - ﷺ - عن

(١) الإجابة ص (٥٢) .

(٢) المصدر السابق . ص (٤٦ ، ٤٧) .

(٣) المصدر السابق . ص (٤٦) .

(٤) الإجابة . ص (١٣) وسير أعلام النبلاء (١٩٧/٢) .

(٥) الإصابة (٣٦٠/٤) ، والبداية والنهاية (٩٩/٨ - ١٠٠) .

الحياة الرغدة في بيت أبيها ، إلا أنها أدركت معيشتها الجديدة وقبلتها وصبرت عليها ، وعندما خيرها النبي - ﷺ - بين الحياة معه والدار الآخرة وبين الدنيا ومتاعها اختارت الله ورسوله والدار الآخرة دون أدنى تردد .

كل ذلك ترك أثره في نفس عائشة - رضی الله عنها فجعلها جوادة كريمة زاهدة في الدنيا ومتاعها ، حتى ليراها ابن أختها عروة بن الزبير ^(١) ذات يوم وهي تصدق بسبعين ألفاً ، وإنها لترقع جيب درعها ^(٢) .

ويبعث لها عبد الله بن الزبير بفرارتين مملوءتين بالمال فيهما مائة ألف ، فدعت بطبق وجعلت تقسم المال في الناس ، وكانت صائمة في هذا اليوم وعندما حان وقت إفطارها لم تجد ما تفطر عليه ؛ لأنها نسيت أن تستبقى لنفسها درهماً واحداً تشتري به طعاماً لها ^(٣) .

٢ - حادث الإفك :

حادث الإفك ذلك الابتلاء العظيم الذي ابتليت به أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - الزوجة الطاهرة الشريفة العفيفة ، والتي هي من خير بيوتات العرب وأشرفها ، وكانت من اختيار الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - . وكان ذلك الحادث من تدبير اليهود وتنفيذ المنافقين ^(٤) ؛ للتشكيك في نبوة الرسول - ﷺ - باتهام زوجته في عرضها ، ومن ثم الطعن في صدق الدين نفسه ، وعندئذ يتفرق الناس من حوله ، ويفقدوا الثقة به . ولكن الله - عز وجل - أتى أن يُشك في طهارة بيت رسول الله - ﷺ - ، أو أن يطعن في شرف زوجة

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، ولد سنة ٢٣ هجرية ، من كبار التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة وأحد بحور العلم ، أخذ عن أبيه وأمه وخالته عائشة ، وأخذ عنه خلق كثير ، لم يدخل في شئ من الفتن ، توفي بالمدينة سنة ٩٩ هجرية . (تهذيب التهذيب ٧/١٨٠) .

(٢) الطبقات الكبرى (٤٥/٨) .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٤٦/٢) .

(٤) الطبقات الكبرى (٤٦/٨) .

(٤) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب - الطبعة السادسة (١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م) ، دار الشروق

(٤/٢٥٠٠) .

من زوجاته - رضى الله عنهن - ، فأنزل الله براءة عائشة - رضى الله عنها - من السماء قرآناً يتلى إلى يوم القيامة فى ست عشرة آية متوالية ، وسبح نفسه فى تنزيهه عائشة كما سبح نفسه لنفسه فى تنزيهه ، وشهد الله لها فيها بأنها من الطيبات ، ووعداها بالمغفرة والرزق الكريم ، وأوعد من خاض فى إفك عائشة بالعذاب الأليم .

أما عن تفاصيل هذا الحدّث ، فقد أخرج البخارى ، عن عروة ، عن عائشة - رضى الله عنها - قال : قالت : « كان رسول الله - ﷺ - إذا أراد أن يخرج أفرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله - ﷺ - معه ، قالت عائشة : فأفرع بيننا فى غزوة ^(١) غزاها فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله - ﷺ - بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحملُ فى هودج وأنزلُ فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله - ﷺ - من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ^(٢) ليلةً بالرحيل ، فقامت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى ، فإذا عقد لى من جزع أظفار ^(٣) قد انقطع ، فالتمست عقدى وجبسنى ابتغاؤه . وأقبل الرهط ^(٤) الذين كانوا يرحلون لى ، فاحتملوا هودجى ، فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت ، وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة ^(٥) من الطعام ، فبعثوا الجمال وساروا ، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم فليس بها داع ولا مجيب ، فأممت ^(٦) منزلى الذى كنت به ، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلىّ ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت .

(١) هى غزوة بنى المصطلق ذكرها ابن اسحاق فى روايته (انظر السيرة لابن هشام ١٨٧/٣) .

(٢) آذن : أعلم - : لسان العرب مادة (أذن) .

(٣) جزع : قلادة من خرز يمانى منسوبة إلى قرية أظفار باليمن - لسان العرب مادة (ظفر) .

(٤) الرهط : جماعة دون العشرة - لسان العرب مادة (رهط) .

(٥) العلقة : ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء - لسان العرب مادة (علقه) . وهى من الطعام

اليسير منه .

(٦) أممت : قصدت - لسان العرب مادة (أمم) .

وكان صفوان ^(١) بن المَعَطَّل السَّلْمِي ثم الذُّكْوَانِي من رِوَاء الجَيْش ، فأدْلج ^(٢) ، فأصْبَح عند منزلي ، فرَأَى سوادَ إنسان نائم ، فأتاني فعرَفني حين رَأَى ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه ^(٣) حين عرفني ، فخرمت وجهي بجلبابي ، والله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين ^(٤) في نحر الظهرية ، فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُمِّي بن سلول .

فقدما المدينة ، فاشتكت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني ^(٥) في وجمي أني لأعرف من رسول الله - ﷺ - اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل عليّ رسول الله - ﷺ - فيسلم ، ثم يقول : كيف تيكم ^(٦) ثم ينصرف ، فذاك الذي يريني ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد ما نقهت ^(٧) ، فخرجت معي أم مسطح ^(٨) قِبَل المناصع ^(٩) ، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا من ليل إلى

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة السلمى الذكوانى أبو عمر ، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وشهد الخندق وما بعدها ، شهد له الرسول - ﷺ - بالخير بعد حديث الإفك ودعى له فقال : كساه الله من حلل الجنة ، استشهد فى خلافة عمر فى غزوة أرمينية سنة ٢٩ هـ . الإصابة (١٩٠/٢) ، وأسد الغابة (٢٦/٣) .

(٢) أدلج : هو السير آخر الليل - لسان العرب مادة (دلج) .

(٣) استرجاعه : قوله إنا لله وإنا إليه راجعون - لسان العرب - مادة (رجع) .

(٤) موغرين : الوَغْرَة : شدة الحر فى الظهر وأوْغَرُوا : دخلوا فيها - لسان العرب مادة (وغر) .

(٥) يريني : الرُّبِّي : هو الشك - لسان العرب مادة (ريب) .

(٦) تيكم : إشارة إلى المؤنث .

(٧) نقهت : برأت من المرض - لسان العرب مادة (نقه) .

(٨) أم مسطح - سلمى بنت أبى رهم القرشية التيمية ، أسلمت فحسن إسلامها ، كانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك ، تزوجها غثاة بن عباد فولدت له مسطح (الطبقات لابن سعد ١٦٦/٨ ، الإصابة ٤٩٦/٤) .

(٩) المناصع : جمع منصع وهو الموضع الذى يتخلى به النساء ، وهو موضع بالمدينة يقع الآن فى ناحية بئر أبى أيوب شمال البقيع (معجم البلدان ٢٠٢/٥) .

ليل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف ^(١) قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول بالتهربز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا . فانطلقت أنا وأم مسطح - وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق ابنها مسطح ^(٢) بن أثاثة - فأقبلت أنا وأم مسطح قتل بيتى وقد فرغنا من شأننا ^(٣) ، فعثرت أم مسطح فى مرطها ^(٤) فقالت : تعس ^(٥) مسطح ، فقلت لها : بئس ماقلت ، أتسبين رجلاً شهد بدرًا ؟ فقالت : أى هنتاه ^(٦) أو لم تسمعى ماقال ؟ قالت : قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضى .

فلما رجعتُ إلى بيتى ، ودخل على رسول الله - ﷺ - تعنى سلم ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت : أتأذن لى أن أتى أبوى - قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لى رسول الله - ﷺ - فجئت أبوى ، فقلت لأمى : يا أمته مايتحدث الناس ؟ قالت : يا بئيتة هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة ^(٧) قط عند رجل يحبها ، ولها ضرائر ^(٨) إلا أكثرن عليها .
 قالت : فقلت : سبحان الله ، أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتى أصبحت لا يرقأ ^(٩) لى دمع ، ولا أكتحل ^(١٠) بنوم ، حتى

(١) كنف : جمع كنيف والمراد به المكان المتخذ لقضاء الحاجة ، لسان العرب مادة (كنف) .
 (٢) مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب اسمه عوف ومسطح لقبه ، كان فقيراً ينفق عليه أبو بكر ، جلده النبي - ﷺ - مع الذين قذفوا عائشة بالإفك ، توفى سنة ٣٤ هـ فى خلافة عثمان وعمره ٥٦ سنة . (الإصابة ٤٠٨/٣ وسير النبلاء ١/١٨٧) .

(٣) قضاء الحاجة .

(٤) مرط : الكساء من خز أو صوف أو كتان - لسان العرب مادة (مرط) .

(٥) تعس : هلك ، لسان العرب مادة (تعس) .

(٦) هنتاه : بمعنى يا هذه وقيل يا امرأة - لسان العرب مادة (هنا) .

(٧) وضيئة : بمعنى جميلة حسنة - لسان العرب مادة (وضأ) .

(٨) ضرائر : جمع ضرة وهى امرأة الزوج - لسان العرب مادة (ضرر) .

(٩) يرقأ : ينقطع - لسان العرب مادة (رقأ) .

(١٠) اكتحل : بمعنى لا أنام استعارة للسهر (فتح البارى ٤٦٧/٨) .

أصبحت . فدعى رسول الله - ﷺ - علي بن أبي طالب وأسامة ^(١) بن زيد - رضى الله عنهما - حين استلبت ^(٢) الوحي يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله - ﷺ - بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال : يا رسول الله ، أهلك ، وما نعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك . قالت : فدعا رسول الله - ﷺ - بريرة ، فقال : أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيت عليها أمراً أغمصه ^(٣) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجيين أهلها ، فتأتى الداجن ^(٤) فتأكله .

فقام رسول الله - ﷺ - فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أُمَّيِّ بن سلول ، فقال رسول الله - ﷺ - وهو على المنبر : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي . فقام سعد ^(٥) بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرک منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک . قالت : فقام سعد ^(٦) بن عباد - وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن

(١) أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله - ﷺ - ، أمه أم أيمن حاضنة رسول الله - ﷺ - على الجيش وفيه كبار الصحابة وكان سنه لم يتجاوز العشرين سنة ، له رواية عن النبي - ﷺ - وروى عنه بعض الصحابة ، مات في آخر خلافة معاوية ودفن في المدينة (انظر الإصابة ٣١/١) .

(٢) استلبت : بمعنى أبطأ ومكث ولم ينزل - لسان العرب مادة (لبث) .

(٣) أغمصه بمعنى أعيبه عليها - لسان العرب مادة (غمص) .

(٤) الداجن بمعنى الشاة التي تألف البيت - لسان العرب مادة (دجن) .

(٥) سعد بن معاذ الأنصاري يكنى أبا عمر ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وكان سبياً في إسلام بنى الأشهل ، شهد بدرًا وأحدًا ، وأصيب في الخندق ، ومات بعد ذلك متأثرًا بها سنة ٥ هـ ودفن بالقيع وعمره ٣٧ سنة . (أسد الغابة ٢/٢٩٦) .

(٦) سعد بن عباد بن دليب الأنصاري ، يكنى أبا ثابت ، أحد النقباء شهد العقبة ، واشترك =

احتملته الحمية - فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتله ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . قتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله - ﷺ - قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله - ﷺ - يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت .

قالت : فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم . قالت : فأصبح أبوإى عندى وقد بكيت ليلتين ، ويومًا لا أكتحل بنوم ، ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالتق كبدى . قالت : فبينما هما جالسان عندى ، وأنا أبكى فاستأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، قالت : فيينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله - ﷺ - ، فسلم ، ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه فى شأنى . قالت : فتشهد رسول الله - ﷺ - حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله - ﷺ - مقالته قلص (١) دمعى حتى ما أحس من قطرة ، فقلت لأبى : أجب رسول الله فيما قال . قال : والله ما أدرى لرسول الله - ﷺ - فقلت لأمى : أجبى رسول الله - ﷺ - قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله - ﷺ - قالت : فقلت :- وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن - إنى والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتكم به ، فلئن قلت لكم : إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقنى . والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف ، قال : « فصبرٌ جميل والله

= مع النبى - ﷺ - فى الغزوات كلها إلا بدرًا ، كان جوادًا كريمًا ، وكان يكتب فى الجاهلية بالعربية ، توفى فى خلافة عمر سنة ١٥ هـ . (أسد الغابة ٢/٢٨٣) .

(١) قلص : بمعنى ارتفع وذهب - لسان العرب مادة (قلص) .

المستعان على ماتصفون» قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيًا يُتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمري يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله - ﷺ - فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها . قالت : فوالله مارام (١) رسول الله - ﷺ - ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذته ماكان يأخذه من البرحاء (٢) ، حتى أنه لَيَتَحَدَّرُ (٣) منه مثل الجُمَانِ (٤) من العرق ، وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه .

قالت : فلما سُرِّى (٥) عن رسول الله - ﷺ - سُرِّى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ، أما الله عزَّ وجلَّ برك . فقالت أمى : قومى إليه ، قالت : فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل . وأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ ﴾ [١١ النور الآيات] .

فلما أنزل الله فى براءتى ، قال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة ماقال ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٢٢ النور] . قال أبو بكر : بلى والله ، إنى أحب أن يغفر الله لى . فرجع إلى النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدًا . قالت عائشة : وكان رسول الله - ﷺ - يسأل زينب (٦) بنت جحش عن أمرى ، فقال : يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول

(١) رام بمعنى فارق وبرح - لسان العرب مادة (ريم) .

(٢) البرحاء : بمعنى الشدة والكره - لسان العرب مادة (برح) .

(٣) يتحدَّر : بمعنى ينزل ويقطر - لسان العرب مادة (حدر) .

(٤) الجُمَان : بمعنى الدرّ - لسان العرب مادة (جمن) .

(٥) سُرِّى : بمعنى كشف وأزيل - لسان العرب مادة (سرى) .

(٦) زينب بنت جحش الأسديّة أم المؤمنين تزوجها الرسول - ﷺ - سنة ثلاث من الهجرة وقيل

سنة خمس ، ونزل بسببها آية الحجاب ، وكانت قبل ذلك عند مولاة زيد بن حارثة ، وكانت تفخر =

الله ، أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً . قالت : وهى التى كانت
 تسامينى من أزواج رسول الله - ﷺ - فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها
 حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك » (١) .

* * *

= على نساء النبى - ﷺ - بأن الله زوجها من السماء ، كانت أول نساء النبى - ﷺ - وفاة بعده ،
 توفيت سنة ٢٠ هجرية (الإصابة ٣١٣/٤) .

(١) خ : (٢٦٤/٣) (٦٧) (٦٥) كتاب التفسير - (٦) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لولا إذ
 سمعتموه ﴾ ، واللفظ له .

م : (٢١٢٩/٤ - ٢١٣٦) (٤٩) كتاب التوبة - (١٠) باب فى حديث الإفك - وقبول توبة
 القاذف رقم (٢٧٧٠) .

الفصل الرابع

فضائلها ومكونات شخصيتها

١ - فضائلها :

فضائل أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - كثيرة ، ويكفيها فخراً قول رسول الله - ﷺ - : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

ومن هذه الفضائل على سبيل الإجمال :

١ - نزول براءتها من السماء في قصة حادث الإفك في ستة عشرة آية متوالية .

٢ - نزول جبريل عليه السلام بصورتها من السماء في خرقه من حرير إلى النبي - ﷺ - فقال له : هذه زوجتك « فيكشف عن وجهها رسول الله - ﷺ - ويقول « إن يك هذا من عند الله يُمضيه » .

٣ - تزوجها رسول الله - ﷺ - بكرًا ، ولم يتزوج بكرًا غيرها .

٤ - كانت أول من خيرها رسول الله - ﷺ - فاختارت الله ورسوله على الفور .

٥ - كانت أحب أزواج النبي - ﷺ - إليه .

٦ - قبض رسول الله - ﷺ - بين سحرها ونحرها .

٧ - وفاته - ﷺ - في يومها .

٨ - دفنه - ﷺ - في بيتها .

٩ - اختياره - ﷺ - أن يمرض في بيتها .

١٠ - اجتماع ريقه - ﷺ - وريقها في آخر أنفاسه .

١١ - لم ينزل الوحي على رسول الله - ﷺ - وهو في لحاف امرأة من

نسائه غيرها .

١٢ - رؤيتها لجبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وسلم عليها .

- ١٣ - كان أبوها أحب الرجال إليه - ﷺ - وأعزهم عليه .
- ١٤ - أن أباهما أفضل الناس بعد رسول - ﷺ - .
- ١٥ - لم ينكح النبي - ﷺ - امرأة أبواها مهاجران بلا خلاف غيرها .
- ١٦ - كان الناس يتصدقون في هداياهم لرسول الله - ﷺ - يوم عائشة لعلمهم بمسرتة بذلك .
- ١٧ - نزلت بسببها آية التيمم .
- ١٨ - لم ينزل بها أمر إلا جعل الله لها منه مخرجاً وللمسلمين بركة .
- ١٩ - كفر قاذفها بتصريح القرآن الكريم ببراءتها .
- ٢٠ - وجوب محبتها على كل أحد .
- ٢١ - أن الأكابر من الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها فيجدون علمه عندها .
- ٢٢ - لم يرو عن النبي - ﷺ - امرأة أكثر منها .
- ٢٣ - أنها كانت تغضب فيترضاها ، ولم يثبت هذا لغيرها .
- ٢٤ - كان يتبع رضاها ، كلعبها باللعب ووقوفه في وجهها لتنظر إلى الحبشة يلعبون .
- ٢٥ - سابقها الرسول - ﷺ - مرتين فسبقته في المرة الأولى وسبقها في الثانية ، وقال : « هذه بتلك يا عائشة » .
- ٢٦ - كان يقبلها وهو صائم ، وتقول عنه كان أملككم لإربه .
- ٢٧ - كان إذا افتقدها تسمعه يناديها بـ « واعروساه » .
- ٢٨ - كان يتألم بألمها ، فإذا عانت صداغاً وقالت : وارأساه قال لها : « بل أنا ياعائشة وارأساه » .
- ٢٩ - أراه الله كفها في الجنة ليهون عليه موته ، فقد قال رسول الله - ﷺ - : « إنه ليهُوّن عليّ أنى رأيت بياض كف عائشة في الجنة » .
- ٣٠ - كان الرسول - ﷺ - يناجى ربه في حبها ، ويقول : « اللهم هذه قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » .

٢ - أضواء على شخصية السيدة عائشة :-

شخصية أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - شخصية متميزة فريدة ، فهي من اختيار الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - .

وقد نمت شخصيتها نموًا سريعًا رائعًا في بيت النبوة ، ونضج وعيها وفكرها الديني والعلمي والسياسي والاجتماعي ، مما جعلها سفيرة لرسول الله - ﷺ - في كثير من شئون الدين وخاصة كل ما يتعلق بأحكام المرأة وشئون رسول الله - ﷺ - البيئية ، حتى أصبح علمها لا يماثل بقضايا الفتوى والتشريع ، وقال عنها قبيصة ابن ذؤيب ^(١) : « كانت عائشة أعلم الناس ، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله - ﷺ - » (٢) .

وقد تكونت شخصية السيدة عائشة - رضی الله عنها - من عناصر تميزت بها ، وهي :

(١) الصدق والذكاء :

كانت صفتا الصدق والذكاء من أبرز العناصر المميزة لشخصية السيدة عائشة ، وهي تشبه أباها في ذلك ، فهي الصديقة بنت الصديق ، والدليل على ذلك محافظتها على رواية الحديث الشريف باللفظ لا بالمعنى ، وتبعتها رواية الحديث للتأكد من دقة الألفاظ وصحة الرواية ، فها هي ترسل عروة لعبد الله بن عمر ^(٣) - رضی الله عنه - لذات الغرض ، وكررت عليه السؤال مرة أخرى بعد

(١) قبيصة بن ذؤيب الخزاعي أبا إسحاق ، ولد عام الفتح ، روى عن عمر ، وعن عثمان ، وعن عائشة ، وروى عنه ، والزهرى وغيره حيث كان من علماء الأمة وكان ثقة ، مات سنة ٨٦ هـ بالشام (تهذيب التهذيب ٨/٣٤٦) .

(٢) م (٢٠٥٩/٤) (٤٧) كتاب العلم - (٥) باب رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان رقم (٢٦٧٣/١٤) .

الطبقات الكبرى (٨/٤٥) .

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، وأسلم مع أبيه وهو صغير ، هاجر قبل أبيه ، ولم يشهد بدرًا وشهد الخندق وابعدها ، شهد بيعة الرضوان ، كان من =

سنة ، قالت : « ما أحسبه إلا قد صدق - أراه لم يزد فيه شيء ولم ينقص » (١) وعندما يصل إلى سمعها أو يروى أمامها حديث فيه خطأ أو سوء فهم من رواية أو توهم سمع ، تردُّ ذلك وتصححه بكل أمانة .

وكفى دليلاً على صدقها ثبوت عدم تورطها في قضية وضع الأحاديث ، خاصة السياسية منها والمتعلقة بالفتن التي حدثت في ذلك الوقت . كل ذلك كان نتاجاً طبيعياً لصفة الصدق التي نشأت عليها ، فتأصلت في نفسها .

وإلى جانب صدقها فقد وهبها الله - عز وجل - ذكاءً حاداً ، وفكراً ثاقباً ، وذاكرة قوية - وظهر ذكاؤها في سائر مظاهر حياتها الاجتماعية والفكرية والسياسية .

فقد تزوجت رسول الله - ﷺ - وهي ماتزال صغيرة السن تلعب بالعرائس (٢) ، وتلهو مع الجوارى على باب الدار ، ولكن على الرغم من ذلك فقد ساعدها ذكاؤها وسرعة بديهتها على أن ينمو فكرها وإدراكها سريعاً حتى أنها أصبحت تبلغ عن رسول الله - ﷺ - كثيراً من شئون الدين الحرجة والدقيقة ، وقد كان النبي - ﷺ - يستحسن ذلك منها ، ويقول لها : « ياموفقة » (٣) . وقد مكنتها ذكاؤها من أن تحيط بسنة رسول الله - ﷺ - إحاطة كاملة ، فقد وعت عنه - ﷺ - أكثر من ألف حديث ، وكانت ترويهما بكل الدقة . ولم تكن السيدة عائشة تكتفى بمجرد الحفظ ، بل إنها راحت توظف ما حفظته ، ووظفته في حل كثير من المشكلات التي تواجه المسلمين .

= أهل الورع والعلم والتقوى ، وكان شديد الاتباع لسنة رسول الله - ﷺ - ، اعترل الفتن ولم يشهد منها شيئاً ، توفي بمكة سنة ٧٣ هـ (أسد الغابة ٢٣٧/٣) .

(١) م : (٤/٢٠٥٩) (٤٧) كتاب العلم - (٥) باب رفع العلم وقبضه ، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان . رقم (٢٦٧٣/١٤) .

وسير أعلام النبلاء (١٣٩/٢) ، وحلية الأولياء (٤٤/٢) .

(٢) الطبقات الكبرى (٤٠/٨ - ٤٢) .

(٣) مسند أحمد (١/٣٣٥) . والمستدرک (٣/١١٩) كتاب معرفة الصحابة .

وقد أوتيت مقدره كبيرة على الفهم الفقهي والاستنباط الشرعي ، فراها قد انفردت بعدة آراء فقهية خاصة بها ، تم عن ذكائها ودقة فهمها .

(٢) الزهد والورع :

عاشت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - في بيت رسول الله - ﷺ - معيشة الكفاف ، دل على ذلك ما روته السيدة عائشة - رضی الله عنها - قالت : « ماشع آل محمد - ﷺ - منذ قدم المدينة من طعام البرّ ثلاث ليالٍ تباغماً حتى قبض » (١) .

وقد رضيت بأن تعيش مع رسول الله - ﷺ - ضيق العيش ، وعندما نزلت الآية الكريمة :- ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَفَعَلْنَ ذَلِكَ وَرَبَّنَّهَا فَفَعَلْنَ وَأَسْرَحَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سِرْلًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

فلم تتردد عائشة عندما عرض عليها رسول الله - ﷺ - ما جاءت به الآية في أن تختار الله ورسوله واليوم الآخر ، فقالت : « بل أريد الله ، ورسوله ، والدار الآخرة » (٣) .

وهذا ما جعل أم المؤمنين عائشة من الزاهدات في الحياة الدنيا ، فقد روى مسروق (٤) قال : قالت عائشة : « ما شبع بعد النبي - ﷺ - من طعام ، إلا ولو شئت أن أحكي لحكيت : ما شبع آل محمد - ﷺ - حتى قبض » (٥) .

(١) خ (٤٣٠/٣) (٧٠) كتاب الأطعمة - (١) باب قول الله تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ الآية رقم (٥٣٧٤) .

(٢) سورة الأحزاب : الآيات رقم (٢٨ ، ٢٩) .

(٣) خ : (٢٧٧/٣) (٦٥) كتاب تفسير القرآن - (٤) باب ﴿ يَتَأَيَّمُوا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا فَفَعَلْنَ ذَلِكَ وَرَبَّنَّهَا فَفَعَلْنَ وَأَسْرَحَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سِرْلًا جَمِيلًا ﴾ رقم (٤٧٨٥) .

م : (١١٠٣/٢) ، (١٨) كتاب الطلاق - (٤) باب بيان تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية . رقم (١٤٧٥/٢٢) .

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، يلقب بأبي عائشة ، له إدراك ، قدم من اليمن بعد النبي - ﷺ - أسند عن أبي بكر وعمر وعلي وعائشة وابن مسعود ، قال ابن المديني : لا أقدم على مسروق أحداً من أصحاب ابن مسعود ، وقال علقمة : انتهى الزهد إلى ثمانية منهم مسروق ، وقال الشعبي : ما رأيت أطلب للعلم منه . توفي بالكوفة سنة ٦٣ وعمره ٧٠ سنة . (الإصابة ٤٩٢/٣ ، سير أعلام النبلاء ٦٣/٤) . (٥) حلية الأولياء (٤٦/٢) .

وكانت رضى الله عنها قوامه دائمة العبادة والتهجد (١) ، وكانت تصوم الدهر (٢) ولا تفطر إلا يومى الفطر والأضحى (٣) .

وقد اقترن زهداها فى الحياة بكرمها ، فقد كانت جوادة كثيرة الصدقات ، وهذا ما جعلها تتصدق وتنفق الأموال الكثيرة التى كانت مخصصة لها من الخلفاء ، وتنسى نفسها من أن تبقى لها ما تفطر عليه .

فقد روت أم ذرّة قالت : « بعث ابن الزبير فى غرارتين ، يكون مائة ألف ، فدَعَتْ بطبق ، فجعلت تقسم فى الناس ، فلما أمست ، قالت : هاتى يا جارية فطورى ، فقالت أم ذرة (٤) : يا أم المؤمنين ، أما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم ؟ قالت : لا تُعْتَفِينى ، لو أذكرتيني لفعلت (٥) .

كما روى عروة ، عن عائشة : أنها تصدقت بسبعين ألفاً ؛ وإنها لترقع جانب درعها - رضى الله عنها (٦) .

وروى عروة أيضاً : أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم ، فوالله ما أمست حتى فوّقتها . فقالت لها مولأتها : لو اشتريت لنا منهم بدرهم لحماً ؟ فقالت : ألا قلت لى (٧) .

وهكذا كانت رضى الله عنها لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله تعالى إلا تصدقت به ، مما جعل لها هذه المكانة الرفيعة فى نفوس المسلمين .

(١) مصنف عبد الرزاق للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى المكتب الإسلامى ، بيروت - لبنان (٤٥٤/٨) رقم (١٥٨٨٧) .

(٢) الطبقات الكبرى (٤٧/٨) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٥٧/٤) رقم (٧٣١٠) .

(٤) أم ذرة المدنية مولاة عائشة ، روت عنها وعن أم سلمة ، وروى عنها المنكدر وأبو اليمان وعائشة بنت سعد ، ذكرها ابن حبان فى الثقات ، وقال العجلى : تابعة مدنية ثقة . (تهذيب التهذيب ٤٦٧/١٢) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨٧/٢) - والإصابة (٣٦١/٤) .

(٦) المصدر السابق (١٨٧/٢) .

(٧) المستدرک (١٣/٤) كتاب معرفة الصحابة - ذكر سخاء عائشة - رضى الله عنها - وسير

أعلام النبلاء (١٨٦/٢ - ١٨٧) .

الفصل الخامس

مكانتها العلمية وإمامتها

١ - مكانتها العلمية :

تبوأَت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - مكانة علمية رفيعة جعلتها عالمة من علماء عصرها ، والمرجع العلمي الأصيل الذين يرجعون إليه فيما يغمض عليهم أو يستشكل أمامهم من مسائل في القرآن والحديث والفقہ ، فيجدون الجواب الشافي لجميع تساؤلاتهم واستفساراتهم .

ويقول مسروق : « أى والذى نفسى بيده ، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد - ﷺ - يسألونها عن الفرائض ، وكانوا إذا اختلفوا فى فريضة أتوا عائشة » ^(١) ، ويقول أبو سلمة بن عبد الرحمن ^(٢) : « ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله - ﷺ - ، ولا أفة فى رأى إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة » ^(٣) . ويقول أبو موسى الأشعري ^(٤) : « ما أشكل علينا - نحن أصحاب رسول الله - ﷺ - - حديث قط ، فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علماً » ^(٥) .

(١) مصنف ابن أبى شيبة لأبى بكر أحمد بن على البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) طبعة حيدرآباد الدكن - الهند . (٢٣٤/١١) كتاب الفرائض . الإجابة : (٣٦ - ٣٧) .

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى ، سمع من أبى هريرة وابن عباس وابن عمر ، وسمع منه الزهرى ويحىى والشعبى ، كان ثقة فقيها كثير الحديث ، توفى سنة ٩٤ هـ وعمره ٩٢ سنة . (التاريخ الكبير ١٣٠/٥ ، وتهذيب التهذيب ١١٥/١٢) .

(٣) مصنف بن أبى شيبة (١٧٦/١) .

(٤) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري ، ولى زيد وعدن للنبي - ﷺ - ، وولى الكوفة والبصرة لعمر ، روى عنه بنوه أبو بكر ، وأبو بُردة وإبراهيم ، قال ابن بُريدة : كان قصيراً خفيف اللحم ، مناقبه مشهورة ، توفى سنة ٤٤ هـ . (الإصابة ٢١١/٤) .

(٥) ت : (٧٠٥/٥) (٥٠) كتاب المناقب - (٦٣) باب فصل عائشة - رضى الله عنها - رقم (٢٨٨٣) ، وقال حسن صحيح .

وقد حازت إلى جانب علمها بأمور الدين علمًا بأيام العرب وحوادثها ، وبالأنسب عامة ، وبنسب قريش خاصة ، وحفظت الكثير من الشعر ، يقول عروة : « لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدًا قد كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ، ولا بسنة ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا نسب ، ولا بكذا ، ولا بكذا ولا بقضاء ولا طب ، منها » (١) ، وعنهما يقول عمر بن الخطاب (٢) - رضی الله عنه - : « ما رأيت أحدًا أعلم بفريضة ، ولا أعلم بفقهِ ، ولا بشعر من عائشة » (٣) .

وكانت على علم بالطب ، قال عروة بن الزبير : « قلت لعائشة : إنني لأتفكر في أمرك فأعجب : أجدك من أفاقه الناس ، فقلت ما يمنعها ؟ زوجة رسول الله - ﷺ - وابنة أبي بكر ، وأجدك عالمة بأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، فقلت : وما يمنعها وأبوها علامة قريش ؟ ولكن إنما أعجب أن وجدتك عالمة بالطب فمن أين ؟ فأخذت يدي وقالت : « يا عريرة إن رسول الله - ﷺ - كثر من أسقامه ، فكان أطباء العرب والعجم ينعنون له فتعلمت ذلك » (٤) .

وقد ساعدها على بلوغ هذه المكانة العلمية الرفيعة عدة أسباب ، فقد ربيت ونشأت في بيت علم ، فأبو بكر الصديق - رضی الله عنه - أعلم الناس بأنساب العرب وأيامها وأخبار قبائلها وأشعارها ، وقد حازت عائشة هذا العلم من أبيها ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى بيت زوجها ومهبط الوحي ، وكانت لا تزال صغيرة فتعهدا بالحب والرعاية ، فتلفت منه - ﷺ - العلم الغزير غصًا طريًا بما جباها به الله من ذكاء وفتنة وسرعة حفظ واستيعاب ، فحفظت عنه أكثر من ألف حديث شريف راحت ترويهما عنه بكل دقة وأمانة ، وصارت على فهم تام وإحاطة

(١) سير أعلام النبلاء (١٨٣/٢) .

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل أمير المؤمنين الخليفة الثاني ، كان إسلامه نصرًا للمسلمين ، وافق القرآن في ثلاث ، هاجر جهاراً ، ومنافبه أكثر من أن تحصى ، استشهد حينما طعنه أبو لؤلؤة سنة ٢٣هـ ، ودفن مع النبي - ﷺ - وأبي بكر في حجرة عائشة (أسد الغابة ٥٢/٤) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٤/١١) كتاب الفرائض ، والإصابة (٣٦٠/٤) .

(٤) الإجابة : (٣٤ - ٣٥) .

كاملة بالسنة النبوية المطهرة ، وأدركت بذكائها جوهر الفتوى فى كثير من مسائل الدين ، وأصبحت لديها القدرة والبراعة على الاستنباط الشرعى ، مما جعل أكابر الصحابة يلجأون إليها يسألونها ويستفتونها فيما غمض أو استشكل عليهم فتجيبهم بعلمها الثاقب وبرأيها السديد ، وقد ارتفعت مكانتها العلمية بين الصحابة عندما رأوا أباهما يرجع إليها فى بعض الأمور الفقهية التى تخفى عليه ، ولكنها لا تخفى عليها ، فقد روى هشام ، عن أبيه ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دخلت على أبى بكر فقال : « فى كم كفتتم النبى - ﷺ - ؟ فقالت : فى ثلاث أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة » ، وقال لها : « فى أى يوم توفى رسول الله - ﷺ - ؟ قالت يوم الأثنين » (١) .

وقد رجع إلى رأيها عمر فى كثير من المسائل الفقهية منها ما رواه عمرو بن أمية (٢) : « أن عمر أتى عليه فى السوق وهو يسوم بمرط فقال : ما هذا يا عمرو ؟ قال : مرط أشتريه فأتصدق به ، فقال له عمر : فأنت أنت إذا ، ثم أتى عليه بعد فقال : يا عمرو ما صنع المرط ؟ قال تصدقت به ، قال على من ؟ قال : على رفيقه مُرِيَّة ، قال أليس زعمت أنك تصدقت به ؟ قال : بلى ، ولكنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : ما أعطيتموهن من شىء فهو لكم صدقة . فقال عمر : يا عمرو لا تكذب على رسول الله - ﷺ - ، فقال : والله لا أفارقك حتى تأتى أم المؤمنين عائشة ، فقال يا عمرو : لا تكذب على رسول الله - ﷺ - ، فأستأذنوا على عائشة فقال عمرو : أنشدك الله أسمعته رسول الله - ﷺ - يقول

(١) خ : (٤٦/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٩٤) باب موت يوم الاثنين رقم (١٣٨٧) .

م : (٦٥٠/٢) (١١) كتاب الجنائز - (١٣) باب فى كفن الميت رقم (٩٤١/٤٧) .

ت : (٣١٢/٣) (٨) كتاب الجنائز - (٢٠) باب ما جاء فى كفن النبى - ﷺ - رقم (٩٩٦) .
 والإجابة (ص ٥٧ - ٥٨) .

(٢) عمرو بن أمية بن خويلد بن كنانة ، يكنى أبو أمية الضمرى ، أسلم حينما المشركون من أحديء ، شهد بئر معونة وما بعدها ، بعثه الرسول - ﷺ - إلى النجاشى ، روى عن النبى - ﷺ - أحاديث ، وروى عنه ابنه جعفر وعبد الله والزهرى ، توفى فى خلافة معاوية . (تهذيب التهذيب) (٦/٨) وسير أعلام النبلاء (١٧٩/٣) .

ما أعطيتموهن فهو لكم صدقة ، فقالت : اللهم نعم ، اللهم نعم . فقال عمر : أين كنت عن هذا ؟ ألهانى الصفق بالأسواق (١) .

فقد أصبحت عائشة - رضى الله عنها - المرجع الشرعى لخلفاء رسول الله ﷺ - فقد قال محمد بن أبى بكر (٢) : « كانت عائشة قد استقلت بالفتوى فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان (٣) وهلم جزاً إلى أن ماتت رحمها الله » (٤) . ولم تكتف عائشة - رضى الله عنها - بمجرد الإجابة على تساؤلات الصحابة واستفساراتهم ، بل إنها استدركت على عدد كبير منهم ما قد توهموا فى فهمه ، أو أخذوه على غير وجهه من مسائل الدين ، فتردهم إلى الصواب كما تراه . ونجد فى كل ما استدركت « صحة النظر . وصواب النقد ، وحضور الحفظ ، وجودة النقاش » .

وقد أفرد لها الزركشى من علماء القرن الثامن الهجرى مصنفاً فى استدراعاتها على الصحابة أسماه « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » ، وجمله ما ذكره فى مصنفه من الاستدراكات أربعة وسبعون حديثاً .

وقد سبقه إلى هذا التصنيف أبو منصور عبد المحسن بن محمد على البغدادي المحدث التاجر السفار عاش فى القرن الخامس الهجرى ولد سنة ٤١١ هـ ومات سنة ٤٨٩ هـ ، وجمله ما استدرك فى مصنفه خمسة وعشرين حديثاً . وجاء الإمام السيوطى بعد الزركشى فاختصر مصنفه فى رسالة سماها « عين الإصابة فى استدراك عائشة على الصحابة » (٥) .

(١) الإجابة (ص ٦٤ - ٦٥) .

(٢) محمد بن أبى بكر الصديق ، أمه أسماء بنت عميس ، ولد فى حجة الوداع ، شهد مع على الجمل وصفين ، ثم ولاء مصر فقتل بها ، وكان ممن اشترك فى الفتنة أيام عثمان بن عفان ، لما بلغ عائشة قتله اشتد عليها ، الإصابة (٤٧٢/٣) وأسد الغابة (٣٢٤/٤) .

(٣) عثمان بن عفان بن أبى العاص الأموى أبو عبد الله ، أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين إلى الحيشة وإلى المدينة ، وظفر بالزواج من بنتى رسول الله ﷺ - ، وباع عنه بيعة الرضوان ، وهو الخليفة الثالث ، أسهم بماله لنشر الإسلام ، استشهد سنة ٣٥ هـ ، ودفن بالقيع (أسد الغابة ٣٧٦/٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣٧٥/٢) .

(٥) طبع هذا الكتاب . انظر فهرس المصادر .

ومن الصحابة الذين استدركت عليهم أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها -
 عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن
 عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو هريرة ، ومروان بن الحكم ، وأبي
 سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ،
 وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وعبد الله بن الزبير ، وعروة بن الزبير ، وجابر
 ابن عبد الله الأنصاري ، وأبو الدرداء ، وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم من كبار
 الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين .

وكانت أكثر استدراعاتها على أربعة من كبار الصحابة ، هم عمر بن
 الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عباس .

فقد استدركت على عمر في بكاء أهل الميت عليه ، وفي غسل من التقاء
 الختانيين ، وفي جواز الصدقة على الزوجة ، وفي حل الطيب بعد الحلق للحاج ،
 وفي طيب المحرم ، وفيمن يدخل على المرأة قبرها ، وفي الركعتين بعد العصر ،
 وفي دخول الحمام للرجال والنساء .

واستدركت على عبد الله بن عمر في عذاب الميت ببكاء أهله ، وفي طيب
 المحرم ، وعمرة الرسول في رجب ، وفي أجر متبع الجنائز ، وفي قطع الخفين
 للنساء ، وفي الوضوء من القبلة ، وفي قوله في الموت الفجأة ، وفي ترتيب أذان
 بلال وابن أم مكتوم ، وقوله الشهر تسع وعشرون ، وفي روايته قصة أهل القليب .

واستدركت على أبي هريرة ^(١) في صوم الجنب ، وفي الشؤم في ثلاثة ، وفي
 عذاب امرأة في هرة ، وفي قوله في ولد الزنا ، وفيمن لم يوتر فلا صلاة له ، وفي
 سرد الحديث ، وفي الوضوء من حمل الميت والغسل من تغسيله ، وفي تحريم

(١) أبو هريرة الدوسي ، اختلف في اسمه وسبب تكنيته بأبي هريرة ، قال النووي : اسم أبي
 هريرة عبد الرحمن بن صخر على الأصح ، أسلم سنة ٧ هـ عام خيبر ، ولزم النبي - ﷺ - حتى
 توفي ، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث حتى بلغ من روى عنه ٨٠٠ راوٍ ، كان من أهل الصفة ،
 دعى له رسول الله - ﷺ - وله فضائل كثيرة ، توفي سنة ٥٧ هـ ، ودفن بالمدينة ، (الإصابة ٢٠٢/٤ ،
 سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ ، وأسد الغابة ٣١٥/٥) .

رواية الشعر ، وفيمن كره لقاء الله ، وفي قطع المرأة الصلاة ، وفي المشى في نعل واحدة .

واستدركت على عبد الله بن عباس في تحريمه على مُهْدِي الهَدْيِ ما يحرم على الحاج ، وفي اشتراط الخل قبل الطواف ، وفي صلواته مستلقياً ، وفي الركعتين بعد العصر ، وفي كفن رسول الله ﷺ ، وفي وتر رسول الله - ﷺ - ، وفي قراءته « قد كذبوا » مخففة ^(١) ، إلى غير ذلك من الاستدراكات التي أظهرت مقدرة عائشة - رضی الله عنها - الفائقة والدقيقة على التمييز بين الصحيح وغيره من الأحاديث .

وسنفضل ذلك - إن شاء الله عز وجل في باب قادم

وكانت عائشة - رضی الله عنها - غير مدعية ولا متكبرة في علمها ، ولا تتكلم في شيء لا تعرفه ، بل تحيل سائلها إلى من هو أعلم منها بذلك ، فعندما سألتها شريح الخزاعي ^(٢) عن المسح على الخفين ، قالت له : (عليك بابن أبي طالب ^(٣)) فسله ، فإنه كان يسافر مع رسول الله - ﷺ .
 وفي رواية : « إئتِ علياً فإنه أعلم بذلك مني » ^(٤) .

(١) الإجابة (ص ٧٣ - ٧٤ ، ٧٦ - ٧٧) .

(٢) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي الكوفي ، أدرك النبي - ﷺ - ولم يره ، ولم يهاجر إلا بعده ، وقد أبوه على النبي - ﷺ - فلقبه بأبي شريح ، روى عن أبيه وعمرو وعلى وبلال وعائشة وغيرهم ، روى عنه ابنه المقدم ومحمد ، والشعبي ، ذكره مسلم في المخضرمين ، شهد المشاهد مع علي ، قتل غازيا بسجستان سنة ٧٨ هـ وعمره ١٢٠ عاماً . (الإصابة ١١٦/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٣٠/٤) .

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الرجال إسلاماً ، ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وتربى في حجر رسول الله - ﷺ - ولم يفارقه حتى توفي ، شهد المشاهد كلها إلا تبوك ، فضائله أكثر من أن تحصى ، يكفيه منه قول المصطفى - ﷺ - أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، زوجة ابنته فاطمة ، بويح له بالخلافة بعد مقتل عثمان ، واستشهد سنة ٤٠ هـ (الإصابة ٥٠٧/٢ ، وأسد الغابة ١٦/٤) .

(٤) السنن الكبرى (٢٧٢/١) كتاب الطهارة .

وكانت دائماً تقيم إجاباتها على من يسألها أو على ماتستدركه على حجج قوية تستمدها من كتاب الله وسنة نبيه ، فقد قالت حينما سئلت عن متعة النساء : « بينى وبينكم كتاب الله » .

ومما سبق يتبين لنا الأسباب والعوامل التي جعلت عائشة - رضی الله عنها - تحوز من العلم الكثير ، وتصبح عالمة من العلماء يُرجع إليها في كل شيء ، حتى قال عنها أبو سلمة بن عبد الرحمن : « ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله - ﷺ - ولا أفقه في رأى إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بأية فيما نزلت ، ولا فريضة ، من عائشة » (١) .

وصارت أول امرأة يتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار ، ويرجع إليها أكابر الصحابة ، حتى قال الحاكم في مستدركه : عنها وحدها نقل ربع الشريعة (٢) .

٢ - إمامتها في علم التفسير :

تعد أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - من كبار مفسرى عصرها ، ساعدها على ذلك سماعها للقرآن الكريم منذ نعومة أظفارها ، قالت : « لقد نزل بمكة على محمد - ﷺ - وإنى لجارية ألعب ﴿ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَنُ وَأَمْرٌ ﴾ (٣) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده » (٤) .

= م : (٢٣٢/١) (٢) كتاب الطهارة - (٢٤) باب التوقيت في المسح على الخفين . رقم (٢٧٦/٨٥) .

مصنف ابن أبى شيبة (١٧٦/١) كتاب الطهارات .

(١) المصدر السابق (١٧٩/٢) .

(٢) الإجابة - طبعة سعيد الأفغانى . ص : (٦) .

(٣) سورة القمر . الآية (٤٦) .

(٤) خ : (٣٠٢/٣٠١/٣) (٦٥) كتاب تفسير القرآن - (٦) باب قوله ﴿ بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ

والساعة أذهى وأمر ﴿ رقم (٦٧٨٤) .

وبعد زواجها وعيشها في كنف رسول الله - ﷺ - جعلها تظفر بحضور نزول الكثير من القرآن الكريم ، إذ عاشت تسع سنوات في مهبط الوحي ، ولم يكن ينزل الوحي على رسول الله - ﷺ - وهو في لحاف امرأة من نسائه غيرها (١) .

وقد نزلت آيات كثيرة بسببها مثل آيات الإفك (٢) والتميم (٣) ورأت كيف ينزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي حتى أنها وصفت حال النبي - ﷺ - حين نزوله ، فقالت : « لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً » (٤) .

ولم تكن عائشة - رضی الله عنها - تكتفي بمجرد الحفظ ، وإنما كان إذا غمض عليها شيء لا تتردد في طرحه على الرسول - ﷺ - ، لتعرف على معاني الآيات القرآنية ، ومراد الله عز وجل - منها ، فقد قالت عائشة : (سألت رسول الله - ﷺ - عن هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ (٥) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون يتصدقون ، وهم يخافون ألا تقبل منهم ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ لَهُمْ هَلْ سَافِرُونَ ﴾ (٦) (٧) .

(١) خ : (٣٦/٣) (٦٢) كتاب فضائل الصحابة - (٣٠) باب فضل عائشة رضی الله عنها . رقم (٣٧٧٥) . والإجابة (ص ٤٨) .

(٢) خ : (٣/٢٦٤ - ٢٦٧) (٦٥) كتاب التفسير - (٦) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ﴾ . رقم (٤٧٥٠) .

(٣) خ : (٣/٢٢٢ - ٢٢٣) الكتاب السابق - (٦) باب ﴿ فلم تجدوا ماء فتميموا صعيدا طيبا ﴾ . رقم (٤٦٠٧ ، ٤٦٠٨) .

(٤) خ : (١٣/١ - ١٤) (١) كتاب بدء الوحي - (٢) باب حديث الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي . رقم (٢) .

(٥) سورة المؤمنون - الآية رقم (٦٠) .

(٦) سورة المؤمنون - الآية رقم (٦١) .

(٧) ت : (٥/٣٢٧ - ٣٢٨) (٤٨) كتاب تفسير القرآن - (٢٤) باب (ومن سورة المؤمنون) .

رقم (٣١٧٥) .

وهذا ما جعل عائشة - رضى الله عنها - على معرفة تامة بالقرآن الكريم ، وأسباب نزوله ، وموضوعاته وقضاياها ، مما جعلها تقيم تفسيرها للقرآن الكريم على منهج تفسيري له أصوله الخاصة التي يعتمد عليها ، ويميز فكرها وثقافتها ، وهو كالآتي :

(١) تفسيرها القرآن بالقرآن :

تحرص أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - على أن تظهر انسجام الآيات القرآنية فيما بينها ، واتفاقها . فهي ترى - على سبيل المثال - أن هناك آيات متفرقة في القرآن لا تعطى الحكم بمفردها ، ولكن لا بد من اجتماعها بعضها إلى بعض لتعطى ظاهراً ، ومن ذلك أنها ترى وجوب مهر المثل لليتيمة إذا تزوجها مَنْ هي تحت ولايته ، واستدللت على هذا الحكم بالآيات الكريمة التالية مجتمعة فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبِئِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ ﴾ (١) الآية ، وقول الله - عز وجل - : ﴿ وَسَتَقُونَكُمْ فِي النِّسَاءِ قُلٌّ اللَّهُ يُنْبِئُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَبَّعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ (٢) الآية (٣) .

(٢) تفسيرها القرآن بالسنة :

كانت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تفسر القرآن الكريم بالسنة المطهرة وهي تعلم أنها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، وأنها جاءت مفصلة وموضحة لما جاء فى القرآن الكريم ، لذا كانت تعتمد عليها كثيراً فى تفسيرها للقرآن الكريم وخاصة أنها على علم كبير بها .

(١) سورة النساء - الآية رقم (٣) .

(٢) سورة النساء - الآية رقم (١٢٧) .

(٣) خ : (٢١٥/٣) (٦٥) كتاب تفسير القرآن - (١) باب ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبِئِ ﴾ . رقم (٤٥٧٤) ، (٣٧٣/٣) (٦٧) كتاب النكاح - (٤٣) باب تزويج اليتيمة رقم (٥١٤٠) .

م : (٢٣١٣/٤) (٥٤) كتاب التفسير - رقم (٣٠١٨/٦) .

ومن ذلك إنكارها - رضى الله عنها - على ابن عباس ^(١) سؤاله لها : هل رأى النبي - ﷺ - ربه ؟ ، ففى الصحيحين من حديث مسروق قال : قلت لعائشة : « يا أمتاه هل رأى محمد ربه ، فقالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، فقلت : يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى . ألم يقل الله - عز وجل - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ^(٣) ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : « إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلقه ما بين السماء إلى الأرض » ^(٤) .

فقد كشفت عائشة - رضى الله عنها - أنها أول من سأل النبي - ﷺ - عن هذا السؤال ، وأنها استفسرته عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ، فأوضح لها النبي - ﷺ - أنه جبريل عليه السلام ، وأنه لم يره على صورته الحقيقية غير هاتين المرتين .

(٣) تفسير القرآن بأسباب النزول :

عاصرت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - نزول الوحي ، فوقفت على أسباب النزول ، وجعلتها أصلاً من أصول تفسيرها للقرآن الكريم . وكان من الأسباب التى أكسبت تفسيرها للقرآن بأسباب نزول آياته قيمة

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، ابن العباس عم النبي - ﷺ - ، ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام ، وتوفى رسول الله - ﷺ - وهو ابن ١٣ سنة ، ووعاه ويات عنده فى بيت خالته ميمونة ، فرأى حاله تلك الليلة وصلى معه ، وروى أفعاله ، أردفه النبي - ﷺ - وأوصاه ودعاه بأن يفقه فى الدين ويعلم التأويل ، وهو أحد أعلام الصحابة وفقهائها ، شهد له بذلك عمر وغيره من الصحابة ، توفى فى الطائف سنة ٦٨ هـ .

(الإصابة ٢/٣٣٠ ، وأسد الغابة ٣/١٩٢) .

(٢) سورة التكويد - الآية رقم (٢٣) . (٣) سورة النجم - الآية رقم (١٣) .

(٤) خ : (٤٢٩/٢) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٧) باب إذا قال أحدكم « آمين » - (٣٢٣٤) .

وأحمد (١/٢٤١) .

كبيرة ماتوافر لديها من الذكاء والفتنة ، إلى جانب صدقها فهي الصديقة بنت الصديق ، وكذلك ارتباط نزول بعض الآيات بها ، مثل آيات برأتها من حادث الإفك ، وآية التيمم ، لهذه الأسباب اعتبرت مصدراً رئيساً لمعرفة أسباب النزول .
 ومن الأمثلة على هذا النوع من التفسير ، مارواه عروة قال : « سألت عائشة - رضی اللہ عنہا - فقلت لها : أرأيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بين الصفا والمروة ؟ قالت : بنس ماقلت يا ابن اختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يُسلموا يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، فكان من أهل يترج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله - ﷺ - عند ذلك ، قالوا : يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .
 قالت عائشة - رضی اللہ عنہا - وقد سنَّ رسول الله - ﷺ - الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » ^(٢) .

(٤) التفسير اللغوي :

كانت عائشة - رضی اللہ عنہا - على تمكن قدير من اللغة ، وكانت ذات حس أصيل بالأسلوب العربي وبلاغته وأسرار جماله ، ولقد شهد لها بالفصاحة والبلاغة رجال من ذوى الشأن فى عصرها .

(١) سورة البقرة - الآية رقم (١٥٨) .

(٢) خ : (٥٠٤/١) (٢٥) كتاب الحج - (٧٩) باب وجوب الصفا والمروة ، ومجمل من شعائر

الله . رقم (١٦٤٣) .

م : (٩٢٨/٢) (١٥) كتاب الحج - (٤٣) باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لا يصح

الحج إلا به رقم (١٢٧٧/٢٦٢) .

الموطأ : (٩٩٤/١ - ٩٩٥) (٢٥) كتاب المناسك - (٤٣) باب السعى بين الصفا والمروة . رقم

(٢٩٨٦) .

وقد جاءت قوتها في اللغة العربية متحدة بقدرتها الفائقة على النفوذ إلى حقيقة التشريع الإسلامي وجوهه ، ومن ثم جاء فهمها للمعنى المراد من النص القرآني دقيقًا ، وجاء اختيارها للتفسير السليم للفظة القرآنية بمهارة وخبرة .

ومن الأمثلة على ذلك تفسيرها للقروء في قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (١) ، فقد فسرت القروء هنا بالأطهار ، وليس بالحيض ، ومكمن الذكاء هنا أن لفظة القروء من الأضداد ، إذ قد يراد بها الطهر ، كما قد يراد بها الحيض ، وذلك لأن الأصل المشترك في هذين المعنيين هو الوقت المعلوم المعتاد ، سواء أكان هذا الوقت للمجيء أم للإدبار (٢) .

(٥) التفسير الاجتهادي :

كانت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - تجتهد في تفسيرها معتمدة في ذلك على عقلها وما حباها الله من ذكاء وفطنة ، إلى جانب روحها الجريئة .

وقد برز فكرها الاجتهادي في التفسير من خلال نظرتها إلى النص القرآني نظرة عقلية متفحصة ، محاولة النفوذ إلى الأحكام المتضمنة فيه ، ومن ذلك تفسيرها قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) . فأم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - ترى أن « كل مسكر حرام » (٤) وكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحریم الخمر ، وتعلل ذلك بأن الله - عز وجل - لم يحرم الخمر لاسمها ، وإنما حرمها لعاقبتها ، وقد قالت لمن كان يسألها عما يسكر وما هو محرم : « لا أحل مسكرًا وإن كان خبيزًا ، وإن كان ماءً ، قالتها ثلاثًا » (٥) .

(١) سورة البقرة - الآية رقم (٢٨٨) x

(٢) تفسير السيد عائشة ، ص (٨٩ - ١٠١) .

(٣) سورة المائدة - الآية رقم (٩٠) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤٦٣/٧) . رقم (١٨٨٣٦) .

(٥) س :- (٣٢٠/٨) (٥١) كتاب الأشربة (٤٨) باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أباح

شراب المشكر . رقم (٥٦٨٠) .

وبذلك وضعت القاعدة الفقهية التي تقول : إن الجهل بالمماثلة كحقيقة المفاضلة ، ومن هنا جاء تحريم أشياء كثيرة من أجل تضيق المسالك المفضية إلى الحرام .

٣ - إمامتها في علم الحديث :

عاشت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - في بيت النبوة ومهبط الوحي تسع سنوات كانت فيها شديدة القرب من رسول الله - ﷺ - ، مما جعلها تحظى بحفظ الكثير من السنة النبوية الشريفة ، والسماع من رسول الله - ﷺ - بما كان يجيب به أو يقضى به للمسلمين .

كذلك مكنها قربها من رسول الله - ﷺ - من أن تقف على كثير من المسائل التي تتعلق بعلاقة الرجل بزوجه في الإطار الإسلامي حتى أنها أصبحت المرجع الأساسي التي يرجع إليها فيه ، وأصبحت الوساطة بين رسول الله - ﷺ - وبين نساء المسلمين فيما يختص باستفساراتهم عن شؤونهن الدينية الحرجة والدقيقة .

لذا تعد أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - من كبار المحدثين وأغزرهم رواية عن رسول الله - ﷺ - فانفردت برواية أحاديث كثيرة عنه - ﷺ - لم يروها عنه غيرها ، حتى أنها صارت أكثر النساء رواية للسنة المطهرة ؛ لمكانتها عنده . وبلغ جملة ما وصلنا مما روته عن النبي - ﷺ - ألفان ومائتان وعشرة أحاديث ، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وستين (١) .

وعدها ابن حزم في المرتبة الرابعة بين الصحابة المكثرين للرواية .

لذا يرجع إليها الفضل في نقل كثير من السنة المطهرة ، وبخاصة التي تتعلق بشؤون رسول الله - ﷺ - الخاصة في بيته رجلاً وزوجاً وإنساناً .

وصارت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - مرجع طلاب العلم ورواة

(١) سير أعلام النبلاء (١٣٩/٢) ، والإجابة (ص ٣٣) .

الحديث الذين كانوا يقصدونها للتعلم أو التأكد من رواية حديث ، حتى أن حفاظ السنة المطهرة كانوا يقصدونها لمراجعة ما حفظوه ، لتصحيح لهم ما أخطأوا فيه أو خفى عنهم . « فقد كان أبو هريرة يأتي إلى مكان قريب من حجرة عائشة - رضى الله عنها - فيحدث ، ويقول : « اسمعى ياربة الحجرة ، اسمعى ياربة الحجرة » (١) .

ولذلك يرجع إلى قولها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه عبد الله وعثمان وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم .
 وقد روى عنها خلق كثير من صحابة وتابعين ونساء وموالي ، وقد صنفوا في طبقات :

فمن الصحابة : أبو موسى الأشعري ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، والحارث بن عبد الله بن نوفل ، وربيعة بن عمرو الجرشى ، وزيد بن خالد الجهني ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص .

وروى عنها من آل بيتها : أبوها الصديق ، وابنا اختها أسماء وهما عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، وحفيدا عبد الله بن الزبير وهما عباد بن حبيب بن عبد الله بن الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وابنا أختها محمد بن أبي بكر وهما القاسم وعبد الله ، وبتنا أخيها عبد الرحمن ، وهما حفصة وأسماء ، وحفيد أخيها عبد الرحمن وهو عبد الله بن عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وأختها أم كلثوم وبتنها عائشة بنت طلحة ، وأخواها من الرضاعة ، وهما عوف بن الحارث بن الطفيل وعبد الله بن يزيد الخطمي .

ومن مواليتها الذين رروا عنها : عمرو « ذكوان » ، وأبو المدلة ، وأبو حفصة ، وأبو يونس ، وابن فروخ ، وبريرة ، وحميدة بنت أبي يونس ، وسايبة ، ومرجانة ، وأم ذرة .

(١) م : (٤/١٩٤٠) (٤٤) كتاب فضائل الصحابة - (٣٥) باب من فضائل أبي هريرة الدوسي

- رضى الله عنه .

رقم (٢٤٩٣/١٦٠) .

ومن التابعين : صفية بنت شيبه ، وعبد الله بن ربيعة ، وقد اختلف في صحبتهما ، ومن التابعين كذلك : إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، وأبو بردة ابن أبي موسى الأشعري ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو الجوزاء الربيعي ، وأبو حسان الأعرج ، وأبو الرجال ، وأبو الزبير المكي ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وأبو صالح السمان ، وأبو عبد الله الجدلي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وأبو عطية الوادعي ، وأبو علقمة ، وأبو نوفل ، وأبو وائل ، وأم إياس ، وأم جحدر العامرية ، وإسماعيل بن كثير ، والأسود بن يزيد النخعي ، وأيمن المكي ، وبنانة مولاة عبد الرحمن بن حيان الأنصاري ، وثمامة ابن حزن القشيري ، وجبير بن نفير ، وجسرة بنت دجاجة ، وجعفر بن برقان ، وجميلة بنت عباد ، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وخبّاب صاحب المقصورة ، والحسن البصري ، والحكم بن ميناء ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، وخلاس الهجري ، وخيرة أم الحسن البصري ، « وهي مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ » ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وزر بن حبيش الأسدي ، والزهرى ، وزينب بنت أم سلمة ، وزينب بنت نصر ، وسالم سبلان ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وسعد بن هشام بن عامر ، وسعيد بن عمرو بن سعيد بن هبيرة المخزومي ، وسعيد ابن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وشريح بن هانئ ، والشعبي ، وصفية بنت أبي عبيد ، وصفية بنت الحارث ، وصفية بنت عطية ، والضحاك بن مزاحم ، وطاوس ، وطلحة بن عبد الله بن عثمان ، وعابس بن ربيعة ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن أبي قيس ، وعبد الله بن أبي عثمان بن بريدة ، وعبد الله البهي ، وعبد الله بن الحارث البصري أبو الوليد ، وعبد الله بن حكيم ، وعبد الله ابن شداد بن الهاد ، وعبد الله بن شقيق العقيلي ، وعبد الله بن شهاب الخولاني ، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، وعبد الله بن فروخ ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، وعبد الرحمن بن شماسه ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعبيد بن عمير الليثي ، وعراك بن مالك ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعقبة بن صهبان

الهنائي ، وعكرمة ، وعلقمة بن قيس ، وعلقمة بن وقاص ، وعلى بن الحسين بن علي ، وعمران بن حطان ، وعمرة بنت حيان السهمي ، وعمرة بنت عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة ، وعمرو بن ميمون ، وغضيف بن الحارث ، وفروة بن نوفل الأشجعي ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وقمير امرأة مسروق ، وكريب ، وكريمة بنت همام ، ومالك بن عامر الأصبحي ، ومجاهد بن جبر المكي ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ومحمد بن قيس بن مخزومة ، ومحمد بن المنتشر ، ومسروق بن الأجدع ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، والمطلب بن عبد الله ، ومعاذة العدوية ، وميمون بن مهران ، ونافع بن جبير بن مطعم ، ونافع مولى ابن عمر ، وهمام بن الحارث ، وهنيدة بنت شريك ابن أبان ، والوليد بن عبد الله ، ويحيى بن عباد بن حبيب بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، ويحيى بن يعمر ، ويوسف بن ماهك . وغيرهم (١) . منهم من رآها ومنهم من أرسل عنها ، ومنهم الثقة ومنهم الضعيف .

وأكثر من روى عن السيدة عائشة على الإطلاق هو عروة بن الزبير بن العوام ، وهو ابن أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وقد روى عن خالته السيدة عائشة حوالي ثلاثة أرباع ما روته عن رسول الله - ﷺ - ، وكان أعلم الناس بحديثها ، حتى لنجده يفخر بذلك ، ويقول : « لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج ، وأنا أقول : « لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته » (٢) .

وقد يعجب البعض من أن عروة بن الزبير هو الذي حمل علم عائشة ونقله لنا ، وليس عبد الله بن الزبير ، على الرغم من الفارق الكبير في العلاقة بين كل من الرجلين وخالتهما ، فلقد كانت السيدة عائشة تحب عبد الله بن الزبير أشد الحب ، وكان أحب البشر إليها بعد النبي ﷺ وأبي بكر (٣) . وحاربت من أجل

(١) انظر من رواها عن السيدة عائشة : تهذيب التهذيب (٢/١٣٥ - ١٣٩) ، والإصابة (٤/٣٦١) والإجابة (١١ - ١٢) - وأعلام النساء (٣/١٠٨ - ١٠٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (٧/١٨٢) .

(٣) المصدر السابق (٧/١٨٢) .

أن يكون خليفة ولم يكن عبد الله على وفاق مع أخيه عروة ، والحقيقة أن عروة كان رجلاً مسالماً ، وكان كما قال مؤرخوه : « لم يدخل في شيء من الفتن » ، وانصب جل اهتمامه على العلم وتحصيله ، وكانت علاقته بالسيدة عائشة علاقة علمية ، على العكس من أخيه عبد الله الذي انحصرت أهدافه في الوصول إلى الخلافة ، وحاول تحقيق ذلك بالقوة وكانت السيدة عائشة تسانده وتؤازره ، ولذلك كانت العلاقة بينهما علاقة سياسية ، ومن هنا جاء الفارق بين الرجلين ، فالأول منصرف إلى العلم والدراسة ، والآخر منصرف إلى السياسة والحكم والحرب .

ومن أهم الرواة أيضاً عن عائشة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الذي ربه عائشة بعد مقتل أبيه ، فنشأ على يديها فقيهاً محدثاً واعياً ، وكان ثقة رفيعاً عالمًا يعد من سادات التابعين ، وقال عنه البخاري إنه « كان أفضل أهل زمانه » ، توفي سنة ٦ هـ .

ومنهم أيضاً عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصارية المدنية وكانت في حجر عائشة ، وهي ثقة حجة فيما ترويه عن عائشة قال ابن حبان : « كانت من أعلم الناس بحديث عائشة » ، وقال علي بن المديني : « عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات » ، ومنهم كذلك مسروق بن الأجدع الذي كان مجتهداً في طلب العلم ، وكان فقيهاً ، عابداً يصلي حتى تتورم قدماه ، وبلغ درجة عالية من التوثيق حتى قال إسحاق بن منصور : « لا يسأل عن مثله » .

وكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أكثر الصحابة سماعاً للحديث النبوي الشريف ، ومشاهدة للسنة النبوية المطهرة ، لذا فهي تروى الحديث الشريف على هيئة الراوي الشاهد الواعي الأمين ، فتقول مثلاً : كنا نفعل كذا على عهد رسول الله - ﷺ - ، أو قال لي كذا ، أو سمعته يقول كذا ، أو يفعل كذا ، أو يقرها على فعل أو قول ، أو يستدركه عليها ، أو تحكي ما كان يحدث بينها وبينه ، أو ما كان يحدث في حضرته وهي شاهدة ، أو توصل له سؤال أحد الناس فيجيبها ... وما إلى ذلك » (١) .

(١) تفسير السيدة عائشة (ص ٦٧) .

وحرصت عائشة - رضى الله عنها - على أن تنقل أقواله - ﷺ - كما صدرت منه دون أدنى زيادة أو نقصان ، فكانت تخشى من الخطأ فى نقل الحديث فلا يودى على الوجه الذى قيل عليه ، كأن يروى بالمعنى لا باللفظ ، أو ينسى أو يضاف إلى لفظه شيء ، فجاءت استدرآكاتهما على الصحابة فى كثير من الأحيان استدرآكاً على نقل الحديث .

وكانت رضى الله عنها فى استدرآكاتهما أو مايسمى بتوثيقها لمتن الحديث الشريف تستمد إلى أصول ومصادر تستقى منها أدلتها على توثيق روايتها ، وهى :

١ - القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كتاب الله العزيز الذى أنزله لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وقد فهمت عائشة - رضى الله عنها - ما بين القرآن الكريم والسنة المطهرة من صلوات المعانى وعلاقاتها ، فكانت فى إنكارها الرواية على الصحابة تبني حكمها على أن معنى الحديث برواية الصحابي مخالف للقرآن الكريم . ومن ذلك أنها ترى متعة النساء حرام ، وأن الأحاديث التى وردت فى إباحتها قد نسخت ، فلا يؤخذ بها ، « فقد سُئِلت عائشة عن متعة النساء فقالت : بينى وبينكم كتاب الله ، وقرأت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [٦٠٥ ، المؤمنون] ، فمن ابتغى وراء ما زوجة الله أو ملكه فقد عدا » (١) .

ومن ذلك أيضاً ردها حديث ابن عباس الذى روى فيه رؤية النبی - ﷺ - لربه ، وقد نفت ذلك بقوة مستدلة بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾ [سورة الشورى : ٥١] فهاتان الآيتان تنفيان قدرة أى بشر على أن يرى المولى عز وجل (٢) .

(١) الإجابة (١٥٩) .

والسنن الكبرى لأبى أحمد على البيهقى (ت ٤٥٨) طبعة حيدرآباد الدكن - الهند (٢٠٦/٧) .

(٢) انظر الإجابة (٨٢ - ٨٣) .

٢ - السنة النبوية الشريفة :

وهي كل ما أثر عن النبي - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ، ولما كانت أم المؤمنين عائشة ألصق الناس برسول الله - ﷺ - وأحب الناس إليه ،مكنها ذلك من الإحاطة بسنته الشريفة بألفاظها ومعانيها وموضوعاتها وقضاياها ، لذلك ردت كثيراً من الأحاديث التي سمعتها أو سئلت بشأنها ؛ لأنها تخالف ماورد عن المصطفى - ﷺ .

ومن ذلك ما رواه أبو سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله - ﷺ - قال : « مَنْ لَمْ يُوْتِرْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ » ، فبلغ ذلك عائشة فقالت « من سمع هذا من أبي القاسم - ﷺ ؟ مَابُعْدَ الْعَهْدِ وَمَانَسِينَا ، وَإِنَّمَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - « من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة وحافظ على وضوئها ومواقبتها وركوعها وسجودها ولم ينتقص منهن شيئاً ، كان له عند الله عهد ألا يعذبه ، ومن جاء وقد أنقص منهن شيئاً ، فليس له عهد عند الله ، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه » (١) .

وكذلك ما رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : « دخلت على عائشة فقلت : يا أماه ، إن جابر بن عبد الله يقول : « الماء من الماء » فقالت : « أخطأ ، جابر أعلم مني برسول الله - ﷺ - ؟ يقول : « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل » أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل ؟ (٢) .

ومن ذلك إنكارها على أبي هريرة - رضی الله عنه - قوله : من غسل ميتاً اغتسل ، ومن حمله توضأً « فقالت رضی الله عنها « أَوْ نَجَسَ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ؟ وَمَا عَلَى رَجُلٍ لَوْ حَمَلَ عَوْدًا ؟ » (٣) .

فهى ترى أن المسلم طاهر ولا ينجس بالموت ، وبالتالي فإن جنازته طاهرة ؛ لذا لا ترى وجوب الوضوء على من حمل الجنازة .

(١) الإجابة (١١٢) .

(٢) المصدر السابق (ص ١٢٨) .

(٣) الإجابة (١٤٣) .

٣ - إمامتها في علم الفقه :

كانت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - عالمة بالفقه مجتهدة في كثير من مسأله ، وعدت من كبار الصحابة المجتهدين ، حتى أصبحت المرجع الشرعي لكبار الصحابة ، فيسألونها فيما خفى عليهم أو يستفتونها في كثير من المسائل الفقهية ، فقد قال محمد بن أبي بكر : « كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلم جرى ، إلى أن ماتت يرحمها الله » (١) .

وقال عطاء (٢) : « كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة » (٣) .

وقد قدم ابن حزم عائشة - رضی الله عنها - على سائر الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى في الأحكام (٤) ؛ حيث إنها كانت تتجهد في المسائل الفقهية إذا لم تجد لها حكماً في الكتاب الكريم أو السنة المطهرة ، فقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : « ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله - ﷺ - ولا أفقه في رأى إن احتيج إليه ، ولا أعلم بآية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة » (٥) .

وكانت في اجتهادها توافق برأيها آراء بعض الصحابة ، وقد تنفرد عنهم برأيها ، ومن ذلك أنها حددت سن الإياس عند المرأة ببلوغها سن الخمسين سنة ؛ حيث لا نص في ذلك ، وإنما راجع إلى الإستقراء والبيئة التي تعيش فيها المرأة . فقد قالت في ذلك : « قل امرأة تجاوز الخمسين فتحيض إلا أن تكون قرشية » (٦) .

(١) الطبقات الكبرى (٣٧٥/٢) .

(٢) عطاء بن أبي رباح ، بفتح الراء والموحدة ، واسم أبي رباح : أسلم ، القرشي مولاهم ، المكي ، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال . روى عن ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، مات سنة ١١٤ على المشهور (التقريب ٣٩١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٨٥/٢) ، الإجابة (٣٤) .

(٤) الإجابة ، (ص : ٣٨) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٦٧/٢) .

(٦) المنتقى شرح الموطأ (١٢٥/١ ، ١٢٦) .

وكانت أغلب المسائل الفقهية التي تعرضت لها تختص بالمرأة ، وما يتصل بها من قضايا وأمور حساسة ودقيقة ، مستعينة بخيرتها الزوجية مع رسول الله - ﷺ - ، فقد كانت أقرب الناس إليه - ﷺ - ، وممكنها ذلك من أن تحفظ الكثير من الأحكام الشرعية التي تتعلق بالعلاقة بين الرجل وزوجته ، والتي لا يمكن أن يعرفها إلا الزوجة من زوجها .

كذلك كانت النساء المسلمات يلجأن إليها لتسأل الرسول - ﷺ - عن كثير من أمورهن حتى صارت لها خبرة واسعة بفقهاء النساء ، مثل الزواج والطلاق والإيلاء ، والولاية والسفر ، الطهارة والحيض والإستحاضة ، الجماع والجنابة ، والزينة والعورة ... إلى غير ذلك .

ولقد كان الطابع الفقهي هو الطابع العام التي أقامت عليها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - استدرآكاتهما على الصحابة ، فكانت لها آراؤها الفقهية الخاصة التي اجتهدت فيها وتفردت بها ، مما يبرز قوة فكرها وخصوبة علمها وقدرتها على استنباط الأحكام ، وباستقراء المسائل الفقهية التي تعرضت لها بالإفتاء ، يتبين أنها أقامت أحكامها الفقهية على أصول ومصادر اعتمدها في اجتهادها ، وهي القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والقياس ، والاستحسان ، والاستصحاب ، والعرف .

وسنلقى الضوء على كل مصدر من هذه المصادر :

(١) القرآن الكريم :

اتخذت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - القرآن الكريم المصدر الأول التي ترد الأحكام الفقهية إليه ، ولا تعدل إلى غيره إلا إذا لم تجد فيه الحكم الذي تريد الاستدلال عليه .

ومن ذلك أنها ترى أن الرضاع بعد الحولين مُحَرَّم ، وقد أخذت بعموم الآية الكريمة : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ ﴾ ^(١) والتي

(١) سورة النساء - الآية رقم (٢٣) .

تدل على الحكم متحدة من غير أن يكون لها دخل بقوله تعالى : ﴿ وَأُولَادًا يُرِضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ (١) .

فهى ترى رضى الله عنها أن كل واحدة من هذه الآيات تدل على حكم مستقل ، لا يتوقف على الآية الأخرى .

كما أنها ترى أن المعتدة للوفاة لا يجب عليها أن تعتد فى بيت زوجها ، وإنما يجوز لها الانتقال إلى بيت غيره ، وقد استدلت على رأيها هذا بقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَبْرِئُصَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (٢) .

فهذه الآية فى رأيها قد حددت الزمان فقط دون المكان ، وعليه يجوز للمعتدة أن تعتد فى غير بيت زوجها .

(٢) السنة المطهرة :

لجأت السيدة عائشة - رضى الله عنها - إلى السنة المطهرة لتستمد منها الدليل على رأيها عندما لا تجد فى كتاب الله عز وجل - مآترد إليه الأحكام الفقهية ، فكانت المصدر الثانى عندها والتي جاءت مكملة للقرآن الكريم .
ومن ذلك أنها ترى أن نكاح المتعة حرام ، وأن الأحاديث التى وردت فى إباحتها قد نسخت .

فقد أخرج البيهقي : « سُئِلَتْ عَائِشَةُ عَنْ مَتْعَةِ النِّسَاءِ ؟ فَقَالَتْ : بَيْنَ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، وَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (٣) ، فمن ابتغى وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا » (٤) .

(١) سورة البقرة - الآية رقم (٢٣٣) .

(٢) سورة البقرة - الآية رقم (٢٣٤) .

(٣) سورة المؤمنون - الآيات رقم (٥، ٦) .

(٤) السنن الكبرى (٢٠٦/٧) .

(٣) القياس :

وهو حمل مجهول الحكم على معلوم في إثبات حكم لهما ، أو نفيه عنهما ، بأمر جامع بينهما (١) .

وهو المصدر الثالث الذي ترجع إليه السيدة عائشة - رضی الله عنها - في أحكامها الفقهية إذا لم تجد دليلاً في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة . ومن ذلك أنها ترى عدم جواز أكل لحم الغراب ، لأنه من الفواسق ، فقد أخرج عبد الرزاق « قالت : إني لأعجب ممن يأكل الغراب ، وقد أذن رسول الله - ﷺ - في قتله وسماه فاسقاً ، والله ما هو من الطيبات » (٢) .

(٤) الاستحسان :

وهو ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الألفاظ لوجه هو أقوى منه (٣) .

ومن ذلك أنها ترى منع خروج المرأة إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة ؛ لما يحدثه خروجها من إثارة للفتن .

فقد قالت : « لو أدرك رسول الله - ﷺ - ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل » (٤) .

(٥) الاستصحاب :

هو التمسك بدليل عقلي أو شرعي لم يظهر عنه ناقل مطلقاً (٥) .

(١) الأحكام للآمدی (٢٢٦/٣) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥١٩/٤) ، ومصنف ابن أبي شيبة (٤٠٠/٥) .

(٣) الأحكام في أصول الأحكام للآمدی دار الكتب العلمية - بيروت . (٢١٢/٤) .

(٤) خ : (٢٧٧/١ - ٢٧٨) (١٠) كتاب الأذان - (١٦٣) باب انتظار الناس قيام الإمام

العالم . رقم ٨٦٩

م : (٣٢٩/١) (٤) كتاب الصلاة - (٣٠) باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه

فتنة ، وأنها لا تخرج مطيبة . رقم (٤٤٥/١٤٤) - الموطأ (٩٨/١) .

(٥) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص ٢٨٦) .

ومن ذلك أنها ترى جواز أكل الجبن ، فقد أخرج البيهقي : (سألت امرأة عن أكل الجبن ؟ فقالت عائشة : إن لم تأكله فأعطينيه أكل) (١) .
 فالسيدة عائشة قد بنت حكمها هذا على قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

(٦) العرف :

وهو عادة جمهور قوم في قول أو عمل .
 ومن ذلك أنها - رضی الله عنها - ترى أن سن الإياس عند المرأة إذا بلغت خمسين سنة مالم تكن قرشية ، فقد قالت : قل امرأة تجاوز الخمسين فتحيض إلا أن تكون قرشية (٣) .
 وهى فى حكمها هذا اعتمدت على ما كان سائداً فى بيئتها على معظم النساء .

(١) السنن الكبرى (٦/١٠) .

(٢) سورة الأنعام - الآية رقم (١٤٥) .

(٣) المنتقى من شرح الموطأ (١/١٢٥ ، ١٢٦) .

٥ - وفاتها :

بعد حياة دامت نحو خمسة وستين عامًا أمضتها أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - في خدمة الإسلام ، وفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة ، توفيت عائشة - رضى الله عنها - بالمدينة (١) ، وذلك بعد أن مرضت وأحست أنه مرض الموت أوصت بـ « ألا تتبعوا سريري بنار ، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء (٢) ، وألا يصلى عليها إلا أبو هريرة (٣) ، وأن ينزلها في قبرها بعدها ذكوان (٤) ، فقد قالت : « إذا غيبنى أبو عمر - وهو ذكوان - وولائي في حفرتي فهو حُرٌّ » (٥) ، وأن تدفن في البقيع ، فقد قالت لعبد الله ابن الزبير : « لا تدفني معهم ، وادفني مع صواحبى بالبقيع ، لا أركى به أبدًا » (٦) .

وقد دفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر بعد أن صلى عليها أبو هريرة وسط مقابر البقيع ، وذكر الواقدي أنها ماتت بعد الوتر وأمرت أن تدفن من ليلتها ، فاجتمع الأنصار وحضروا ، فلم نر ليلة أكثر ناسًا منها ، نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع « غفر الله لها ورضى الله عنها وأرضاها » (٧) .

(١) البداية والنهاية (٩٨/٨) - وسير إعلام النبلاء (١٩٢/٢) - والإصابة (٣٥٩/٤) والإجابة (ص : ١١) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٢/٨) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥٢٥/٣) - (الإجابة ص ٣٣) .

(٤) ذكوان أبو عمر المدني ، مولى عائشة وخادمها ، وكان يأمها في المصحف وآل بيتها ، دبرته بعد موتها ، ذكره ابن حبان في الثقات ، توفي ليلة الحرة . (التاريخ الكبير ٣٦١/٣ ، وتهذيب التهذيب ٢٢٠/٣) .

(٥) مصنف عبد الرزاق (٤١٣/٣) .

(٦) خ : (٤٢٨/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٩٦) باب ما جاء في قبر النبي - ﷺ - وأبى بكر

وعمر - رضى الله عنهما . رقم (١٣٩١) . المعجم الكبير للطبراني (١٧/٣٢) .

(٧) الإجابة (١١) .



البَابُ الثَّانِي

توثيق عائشة للسنة

- الفصل الأول : عناية الصحابة بالسنة ومجمل توثيقهم لها .
- الفصل الثاني : توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث رواتها .
- الفصل الثالث : توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث متونها .



الفصل الأول

عناية الصحابة بالسنة وتوثيقهم لها

اهتم الصحابة - رضوان الله عليهم - بسنة رسول الله - ﷺ - اهتماماً كبيراً ، ولم يكن اهتمامهم هذا مجرد عاطفة تدفعهم إلى أن يتمسكوا بكل ما يصدر عن رسول الله - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير ، وإنما كانت هناك - إلى جانب ذلك - عوامل وأسباب أخرى هي التي دفعتهم إلى التمسك بسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام .

من هذه العوامل تعلق جميع أمور المسلمين الحياتية بالسنة ، فراها تمثل عباداتهم ، ومناسكهم ، ومعاملاتهم ، وأحوالهم الشخصية ، وشتى مظاهر حياتهم اليومية ، مما جعل الصحابة حريصين عليها ، يتسابقون إلى تلقيها وتطبيقها واتباعها . كذلك رأى الصحابة - رضوان الله عليهم - أن القرآن الكريم يحثهم على طاعة رسولهم - ﷺ - والنهي عن مخالفته ، وجعل طاعته - ﷺ - من طاعة الله عز وجل ، يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (١) ، وقال عز وجل : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٢) . وقال جل شأنه : ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٤) ، إلى غير ذلك من الآيات .

كما أن القرآن الكريم دعاهم إلى أن يكون الرسول - ﷺ - القدوة الطيبة والأسوة الحسنة لهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾ (٥) .

(٢) سورة النساء - الآية رقم (٥٩) .

(٤) سورة الحشر - الآية رقم (٧) .

(١) سورة النساء - الآية رقم (٨٠) .

(٣) سورة النساء - الآية رقم (٦٥) .

(٥) سورة الأحزاب - الآية رقم (٢١) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد حذر رسول الله - ﷺ - من ترك سنته ، وعدم التمسك بها حين قال لهم : « لا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مَتَكْتًا عَلَى أُرَيْكْتِه ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ » (١) . ويقول ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَقْعِدَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى أُرَيْكْتِه يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي ، فَيَقُولُ : بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحَلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَمْنَاهُ ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ » (٢) .

وكما حذرهم رسول الله - ﷺ - من ترك سنته ، علمهم أيضًا أن واجبهم هو تبليغ الأحكام والشريعة التي جاءت بها سنته - ﷺ - إلى من هم في حاجة إليها ، يروى عبد الرحمن بن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس وثابت بن قيس - رضی الله عنهم - أنهما قالا : قال رسول الله - ﷺ - : « تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ » (٣) . وقال ﷺ ، فيما يرويه عنه زيد بن ثابت - رضی الله عنه : « نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا وَحَفِظَهُ حَتَّى يَلْغِيهِ غَيْرُهُ ، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ لَيْسَ بِفَقِيهِ » (٤) .

وقد وجد الصحابة - رضوان الله عليهم - أن سنة رسول الله - ﷺ - من سبل فهمهم للقرآن الكريم ، فحين نزلت بعض آيات القرآن الكريم لم يستطيعوا فهمها على الوجه الصحيح إلا بالرجوع إلى رسول الله - ﷺ - ؛ ليبين لهم المراد منها ، تحقيقًا لقوله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٥) .

كما رأوا السنة المطهرة تأتي بأحكام جديدة لم ينص عليها القرآن الكريم ، وذكرها الرسول - ﷺ .

في كل مما سبق دوافع قوية جعلت الصحابة - رضوان الله عليهم - يحسون

(١) رواهم الحاكم في المستدرک (١٠٨/١) ، وقال صحيح على شرط الشيخين .

(٢) المصدر السابق (١٠٩/١ - ١١٠) ، وسنده صحيح .

(٣) المرح والتعديل (٨/١ - ٩) .

(٤) المصدر السابق (١١/١) .

(٥) سورة النحل - الآية رقم (٤٤) .

بالحاجة الملحة إلى الأخذ بسنة رسول الله - ﷺ - ، وأحسوا أيضًا بالحاجة إلى حملها وحفظها وصيانتها ثم تبليغها إلى من بعدهم ، وقد وجههم القرآن الكريم إلى ذلك حين قال لهم : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) . ورسول الله - ﷺ - وجههم إلى ذلك أيضًا حين يقول لهم عقب بعض خطبه : « ألا هل بلغت ، اللهم أشهد ... يأيها الناس ، ليلبغ الشاهد منكم الغائب » ^(٢) .

كما حرصوا على عدم الغلط في الأخذ أو الأداء ؛ لأنهم سمعوا رسول الله - ﷺ - يقول لهم : « من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » ^(٣) .

ويتضح مما سبق أن الصحابة رضوان الله عليهم - كانت لهم جهود في وضع حجر الأساس لتوثيق السنة حفظًا على سنة رسول الله - ﷺ - .

وقبل الحديث عن مظاهر هذا الجهد ، لا بد أولاً من التعرف على معنى التوثيق لنقف على أهميته بالنسبة للسنة النبوية الشريفة .

التوثيق :

في لسان العرب في مادة (و ث ق) : الثقة مصدر ، قولك وثق به يثق بالكسر فيهما ، وثاقة وثقة : ائتمنه ، وأنا واثق به ، وهو موثق به ، وهي موثوق بها وهم موثوق بهم ... ووثقت فلانًا إذا قلت : إنه ثقة ، ووثقت الشيء توثيقًا فهو وثق ، والوثيقة الأحكام في الأمر ... ويقال : استوثقت من فلان ، وتوثقت من الأمر : إذا أخذت منه بالوثاقة . وأخذت الأمر بالأوثق ؛ أي الأشد الأحكم ... وثاقة موثقة الخلق : محكمة ^(٤) .

(١) سورة التوبة - الآية رقم - (١٢٢) .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) بتحريр الحافظين العراقي وابن حجر - مكتبة القدس (١٣٥٢ هـ) . القاهرة . (١٣٩/١) ، ورجاله موثقون .

(٣) المصدر السابق (١٤٣/١) ، ورجاله رجال الصحيح .

(٤) لسان العرب مادة (و ث ق) .

وفى تاج العروس : وثقة توثيقاً ؛ فهو موثق : أحكمه ، ووثق فلاناً قال فيه : ثقة ، أى مؤتمن ^(١) .

ونريد بتوثيق السنة أو الحديث قريباً من هذا ، وهو الوصول بالحديث - وذلك فى خلال تطبيق الأسس العلمية التى وضعها العلماء - إلى درجة إحكام اتصاله ، ونسبته إلى الرسول - ﷺ ، وتوفر الأمانة فى نقله من التحريف والتغيير أو الزيادة فيه .

وعليه يمكن أن نقول على غرار المادة اللغوية : وثق الحديث يتق به ، ائتمنه ، وأنا واثق به ، أى آتمن نسبته إلى رسول الله - ﷺ ، ووثقت الحديث توثيقاً ، أحكمت نسبته إلى رسول الله - ﷺ .

فتوثيق السنة هو بيان وتطبيق الأسس التى وضعها نقاد الحديث ؛ لصيانة حديث رسول الله - ﷺ ، وانتقاء لصحيحه ، وإبعاد للضعيف والموضوع منه . بمعنى كشف وتطبيق الأسس التى قام عليها تمييز صحيح السنة من ضعيفها وزيفها ^(٢) .

والهدف من هذا التوثيق هو تنقية السنة مما قد يعلق بها من التحريف والتزييف ، ومن ثم تقديمها نقية كى يستفيد منها المسلمون كمصدر ثان من مصادر التشريع الإسلامى بعد كتاب الله عز وجل .

وقد تمثل توثيق الصحابة - رضوان الله عليهم - للسنة فى وسائل ، تحقق لهم أخذ سنة رسول الله - ﷺ - أخذاً صحيحاً ، ومن ثم أداءها أداءً سليماً ، من غير زيادة ولا نقصان .

(١) تاج العروس مادة (و ث ق) .

(٢) وهذا مايقوم به علم الحديث دراية ، وعلم الحديث رواية ، فعلم الحديث دراية هو العلم الذى يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها ، وحال الرواة وشروطهم ، وأصناف المرويات وما يتعلق بها ، وعلم الحديث رواية هو العلم الذى يشتمل على أقوال النبى - ﷺ - وأفعاله ، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها . (تدريب الراوى ٤٠/١) .

ومن أهم هذه الوسائل :

١ - الحرص على سماع الأحاديث :

كان الصحابة - رضوان الله عليهم في عهد رسول الله - ﷺ ؛ يحرصون أشد الحرص على حضور مجالس رسول الله - ﷺ ؛ ليسمعوا منه ما يقول ، ويروا ما يصدر عنه ، ويتبعوا « الأحذث فالأحدث من أمره - ﷺ » (١) .
 ولما كانت لهم أعمال تشغلهم عن حضور مجلسه - ﷺ - في بعض الأوقات كالتجارة وأعمالهم المعاشية وغيرها ، فقد تعسر على البعض منهم حضور مجالسه ﷺ ؛ لذا كانوا يتناوبون الحضور إلى مجلسه - ﷺ ؛ كي يبلغ الشاهد منهم الغائب ، فلا يفوت أحدهم منه أمر من الأمور التي يجب أن يحفظوها عن رسول الله - ﷺ - ويؤكد ذلك ما كان يفعله عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث قال : كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله - ﷺ - ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ، من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك » (٢) .

ويقول البراء بن عازب - رضى الله عنه - : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله - ﷺ - كان يحدث أصحابنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله - ﷺ ، فيسمعون من أقرانهم ، وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعون منه » (٣) .

وكان الصحابة لا يملون من سماع الحديث من رسول الله - ﷺ - أكثر من مرة ، ويروى بعضهم أنه لا يجيز لنفسه رواية الحديث إلا إذا سمعه أكثر من ثلاث مرات .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٧٣) ، والعبارة لابن شهاب الزهري - رضى الله عنه .

(٢) خ : (٣٣/١) .

(٣) معرفة علوم الحديث : للحاكم أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى (١٢٣) -

(٤٠٥هـ) ، تحقيق السيد معظم حسين - دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الركن ، ١٩٧٠ م . ص (١٤) .

يقول عمرو بن عنبسة بعد حديث حدّث به : لقد كبر سني ورق عظمي ،
 واقترب أجلى ومابى حاجة إلى أن أكذب على الله ، ولا على رسول الله - ﷺ ،
 لو لم أسمع من رسول الله - ﷺ - إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة ، حتى عد سبع
 مرات ما حدثت به أبداً ، ولكنى سمعته أكثر من ذلك » (١) .

وبلغ حرصهم على سماع الأحاديث من رسول الله - ﷺ - أن بعضهم
 كان يلزمه - ﷺ - يأكل ويشرب معه ، فيسمع منه كل ما يحدث به ، فلا يفوته
 من سنة رسول الله - ﷺ - شيء . ومن هؤلاء أبو هريرة - رضى الله عنه ، فقد
 قال : « إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من
 الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله -
 ﷺ - بشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ، ويحفظ مالا يحفظون » (٢) .

ولم يكتفوا بمجرد السماع ، وإنما كانوا يتثبتون في هذا السماع ، فيسألون
 من حضر مجلس رسول الله - ﷺ - ، يقول سمرة بن جندب : سمعت رسول الله
 - ﷺ - يقول : « اثنا عشر قيماً من قريش لا تضرهم عداوة من عاداهم » ،
 فالتفت فإذا عمر بن الخطاب وأبي في أناس ، فأثبتوا لى الحديث ، كما
 سمعت » (٣) .

وقد سار معظم علماء الحديث والفقهاء بعد ذلك على هذا الأساس الذى أرساه
 الصحابة - رضوان الله عليهم - توثيقاً لحديث رسول الله - ﷺ - ؛ لذا اعتبروا
 الأحاديث التى تؤخذ سماعاً أصح من غيرها ؛ لأن الأحاديث المكتوبة قد
 يؤدى الخطأ فى قراءتها إلى تحريفها .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٤٨١ - ٤٨٣) .

(٢) خ (٤٠/١ - ٤١) .

(٣) المحدث الفاضل بين الراوى والواعى : للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (نحو ٢٦٠ -

٣٦٠ هـ) تحقيق د. محمد عجاج الخطيب . دار الفكر - بيروت . الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ -

١٩٧١ م . (ص ٤٩٤) .

٢ - التشدد في حفظ الأحاديث :

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - بعد سماعهم للحديث وتثبتهم من هذا السماع يحفظونها كي يؤدوها أداءً سليماً من غير أدنى تحريف ، وخاصةً بعد ما سمعوا رسول الله - ﷺ - يقول لهم : « عليكم بالقرآن ، سترجعون إلى أقوام سيلقون الحديث عنى ، فمن عقل شيئاً فليحدث به ، ومن قال على ما لم أقل فليتبوأ بيئاً ، أو مقعده من جهنم » (١) .

ولهذا كانوا يتشددون مع أنفسهم في حفظ الحديث وفي أدائه خشية أن يكون الواحد منهم قد سمع الحديث على غير وجهه ، أو لم يحفظه كما ينبغي ، فيخطيء في أدائه ، ويكذب على رسول الله - ﷺ - وإن لم يكن متعمداً ذلك ، لذا رأيناهم يقلون من رواياتهم للأحاديث ، وقد روى عن عمر ، وعبد الله بن مسعود قولهما : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » (٢) ؛ لأن ليس كل ما يسمعه المرء يحفظه .

وقال عثمان بن عفان - رضى الله عنه - : « ما يمننى أن أحدث عن رسول الله - ﷺ - ألا أكون أوعى أصحابه عنه ، ولكنى أشهد لسمعته يقول : « من قال على ما لم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار » (٣) .

ويقول على - رضى الله عنه - فى بيان مقدار التبعة التى كانوا يلزمون بها أنفسهم فى أداء الحديث : « إذا حدثكم عن رسول الله - ﷺ - فلائن أحر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل » (٤) .

وكان نتيجة هذا الحرص فى أداء الأحاديث أنهم كانوا يتذاكرونها فيما بينهم ، ويحثون على ذلك ، يقول أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه : « تذاكروا

(١) مجمع الزوائد (١/١٤٤) ، ورواه أحمد فى مسنده (٤/٣٣٤) ، ولفظه : « عليكم بكتاب الله ، وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عنى ، فمن قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ، ومن حفظ عنى شيئاً فليحدثه » .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١/٥٩ - ٦٠) .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/٦٥) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى (٣/١١٦) .

الحديث ، فإن الحديث يهيج بعضه بعضا » . وقال علي - كرم الله وجهه - :
 « تزاوروا وأكثروا ذكر الحديث ، فإنكم إن لم تفعلوا يندرس » . وقال عبد الله بن
 مسعود : تذاكروا الحديث ، فإن حياته مذاكرته » (١) .

٣ - التشدد مع رواية الأحاديث :

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتشددون مع مَنْ يروى لهم أحاديث
 رسول الله - ﷺ - والتي لم يسمعوها ، ويتضح ذلك من قول البراء بن عازب -
 رضى الله عنه - : ما كل الحديث سمعناه من رسول الله - ﷺ - كان يحدثنا
 أصحابنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله - ﷺ - كانوا
 يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله - ﷺ - فيسمعونه من أقرانهم ، ومن هو
 أحفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه » (٢) .

ومن مظاهر هذا التشدد :

١ - أن بعض الصحابة كان يستحلف راوى حديث رسول الله - ﷺ -
 غير مبالٍ بمنزلة هذا الراوى في الإسلام ، أو مكانته من رسول الله - ﷺ - .
 وقد استحلف بعضهم على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - عند ما روى
 حديثاً عن رسول الله - ﷺ - فقام إليه عبيدة السلماني ، فقال : « يا أمير
 المؤمنين ، الله الذى لا إله إلا هو ، لسمعت هذا الحديث عن رسول الله - ﷺ - ؟
 فقال : « إى والله الذى لا إله إلا هو » حتى استحلفه ثلاثاً ، وهو يحلف له » (٣) .
 وكان على يفعل ذلك أيضاً ؛ فقد قال - رضى الله عنه - : إني كنت رجلاً
 إذا سمعت من رسول الله - ﷺ - حديثاً فنعنى الله منه بما شاء أن ينفعني به ،
 وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته ، فإذا حلف صدقته ، وإنه حدثني
 أبو بكر ، وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « ما من
 رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيطهره ، ثم يصلى ، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ

(١) معرفة علوم الحديث . ص (١٤٠ ، ١٤١) .

(٢) المصدر السابق . ص (١٤) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١١٨ ، ١١٩) .

هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ... ﴾ إلى آخر الآية . (١) (٢) .

ولم يكن هذا هو مذهب علي بن أبي طالب وحده ، وإنما كان كثير من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم - يسرون على هذا المنهج .

٢ - أن بعض الصحابة حرص على ألا يأخذ حديثًا منقطعًا لم يسمعه راويه من رسول الله - ﷺ - إلا أن يبين له سلسلة الرواة الذين يصلون الحديث إلى رسول الله - ﷺ ؛ بمعنى أن كل منهم كان يهتم بمتابعة سلسلة السند التي توصل الحديث إلى رسول الله - ﷺ .

فقد روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ، عن رسول الله - ﷺ - : « أنه كان يعطى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - العطاء ، فيقول عمر : أعطه يا رسول الله أفقر إليه منى ، فقال ﷺ : « خذه فتموِّله ، أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال ، وأنت غير مُشْرِفٍ ولا سائل فخذ ، وإلا فلا تتبعه نفسك » .

فهذا الحديث فيه أربعة من الصحابة يروى كل منهم عن الآخر ، وهم : السائب بن يزيد ، عن حويطب بن عبد العزى ، عن عبد الله بن السعدى ، عن عمر بن الخطاب - رضوان الله عليهم ، ورواه عمر عن رسول الله - ﷺ - وهذا طبعى ؛ لأنه يحكى واقعة بينه وبين النبي - ﷺ - .

فكل واحد من هؤلاء الصحابة لم يكتف بذكر من سمعه منه ، بأن يرفعه إلى رسول الله - ﷺ ، وإنما يبين كل منهم كيف وصل الحديث إليه .

يقول الإمام النووى فى شرح هذا الحديث : « وقد جاءت جملة من الأحاديث فيها أربعة صحابيون يرون بعضهم عن بعض ، أو أربعة تابعيون يروى بعضهم عن بعض » (٣) .

(١) سورة آل عمران - الآية رقم (١٣٥) .

(٢) ت : (٢٥٧/٢ - ٢٥٨) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٨٤/٣ ، ٨٥) .

ومن هنا نشأت بذور الإسناد والحرص على بيان سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث عن رسول الله - ﷺ .

وتبين من هذا الحرص في أداء أحاديث رسول الله - ﷺ - والتشدد في أدائها - أن الصحابة - رضوان الله عليهم - قد أدوها نقية خالية من الخطأ والتحريف .

ومسألة التشدد هذه تقودنا إلى مناقشة قضية هامة ، ألا وهي : هل كان الصحابة - رضوان الله عليهم يكذبون في حديث رسول الله - ﷺ - ؟ .
 لم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - يُكذِّبون ناقل الحديث ، ولم يثبت عن أحد منهم أن اتهم أخاه بالكذب في حديث رسول الله - ﷺ - وإنما كانوا يخشون من الوقوع في الخطأ ، فيؤدون الحديث على غير وجهه الذي قيل عليه . يقول عمران بن حصين : « والله إن كنت لأرى أنى لو شئت حدثت عن رسول الله - ﷺ - يومين متابعين ، ولكن بَطَّأَنِي عن ذلك أن رجلاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - سمعوا كما سمعت ، وشهدوا كما شهدت ، ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون ، وأخاف أن يشبه لي ، كما يشبه لهم . ويعلق ابن قتيبة على هذا بقوله : « فأعلمك أنهم كانوا يغلطون ، لا أنهم كانوا يتعمدون » (١) .

وكانوا ينفون عن بعضهم الكذب ، تقول السيدة عائشة - رضى الله عنها - « ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله - ﷺ - من الكذب » (٢) .
 ويقول البراء بن عازب - رضى الله عنه - « ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله - ﷺ - كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب » (٣) .

(١) تأويل مختلف الأحاديث في الرد على أعداء أهل الحديث : للأمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، (ت ٢٧٦ هـ) مطبعة كردستان العلمية بمصر ، ١٣٢٦ هـ (ص ٤٩ ، ٥٠) .

(٢) مسند أحمد (١٥٢/٦) .

(٣) المحدث الفاضل . ص (٢٣٠) .

ولم تكن مسألة رد بعض الصحابة لروايات البعض الآخر بعد وفاة الرسول - ﷺ - تعنى أنهم يكذبون بعضهم ، وإنما كانت هناك أسباب أدت إلى هذا الخلاف ، هي :

١ - الاختلاف فى فهم الأحاديث ومدلولاتها ، ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الميت يُعذَّب ببيكاء أهله عليه » ، وفهمه على أن الحديث عام ، وأن الميت يعذب ببيكاء أهله عليه .

وقد أنكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - ذلك ، وقالت : « إنما قال النبى - ﷺ - « فى يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها » ، يعنى تعذب بكفرها فى حال بكاء أهلها ، لا بسبب البكاء واحتجت بالآية الكريمة : ﴿ أَلَا نُنَزِّرُ وَزِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴾ (١) .

ولم تنسب السيدة عائشة إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما ، ولا إلى ابنه الذى روى الحديث عن أبيه أنهما كذبا على رسول الله - ﷺ ، وقد صرحت بذلك . فقالت : « رحم الله عمر ما كذب ، ولكنه أخطأ أو نسى » (٢) ، وقالت « إنكم لتحدثونى عن غير كاذبين ولا مكذبين ، ولكن السمع يخطىء » (٣) .

٢ - نسخ الحديث فلا يبلغ راويه هذا النسخ ، فيظل على روايته والعمل به ، ويكون هذا سبباً فى معارضة بعض الصحابة ، ورد روايته . ومن ذلك ما كان يفتى به أبو هريرة - رضى الله عنه ، ويحدث به : مَنْ أصبح جنباً فقد أفطر ، فهذه الرواية قد نسخت ، ولم يبلغه أن ذلك نسخ ، ولكنه لما علم بذلك من بعض الصحابة ، وأن عائشة ، وأم سلمة - رضى الله عنهما - أخبرتا أن رسول الله - ﷺ - كان يدركه الفجر ، وهو جُنُب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم ، رجع عن فتياه .

(١) سورة النجم - الآية رقم (٣٨) .

(٢) الإجابة لإيراد ما استدركه السيدة عائشة على الصحابة : ليدر الدين الزركشى (٦١) .

(٣) م : (٦٤١/٢) . رقم (٩٢٩/٢٢) .

وفى شرح هذا الحديث يقول ابن حجر : « وذكر ابن خزيمة أن بعض العلماء توهم أن أبا هريرة غلط في هذا الحديث ، ثم رد عليه بأنه لم يغلط ، بل أحاله على رواية صادق (الذي روى عنه أبو هريرة) إلا أن الخبر منسوخ ، فحديث عائشة - رضى الله عنها - ناسخ لحديث الفضل « الذى حدث أبا هريرة بهذا الحديث » ، ولم يبلغ الفضل ولا أبا هريرة النسخ ، فاستمر أبو هريرة على الفتيا به ، ثم رجع عنه بعد ذلك لما بلغه « (١) .

٣ - التوقف في قبول الحديث حتى يتأكد الصحابي من أنه صدر عن رسول الله - ﷺ ، ومن ذلك ما حدث به أبو موسى الأشعري - رضى الله عنه - فقال : « من تبع جنازة فله قيراط » ، فقد توقف ابن عمر - رضى الله عنه - عن الأخذ بهذا الحديث حتى سأل السيدة عائشة - رضى الله عنها - التى صدقت أبا هريرة ، وعندئذ قبل الحديث ، وندم على أنه لم يعمل به ، وقال : « لقد فرطنا في قرارات كثيرة » (٢) .

ويتبين مما سبق أن جميع هذه الوسائل التى استخدمها الصحابة - رضوان الله عليهم - لتوثيق السنة ، كانت تتعلق بعملية نقل الحديث ، أو ما يعرف بالنقد الخارجى للحديث .

وإلى جانب هذه الوسائل كانت هناك وسائل أخرى تهتم بتوثيق متن الحديث من حيث النظر فيه مرتبباً ذلك بعرضه على النصوص والأصول الإسلامية ، ومدى ملاءمته أو معارضته لها ، وهو ما يعرف بالنقد الداخلى للحديث .

وهذه الوسائل هى :

١ - عرض الحديث على القرآن الكريم :

نرى أن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - قد أنكروا بعض الروايات ؛ لأنها فى رأيهم تخالف آية من كتاب الله - عزوجل .

(١) فتح البارى (٤/١٤٧) .

(٢) م : (٤٠٧/١) . رقم (٩٤٥/٥٥) .

وقد حكمت السيدة عائشة - رضی الله عنها - على عمر بن الخطاب بأنه أخطأ في رواية حديث - كما سبق أن بينا - وكان حكمها مؤسساً على أن معنى الحديث بهذه الرواية يخالف آية من القرآن الكريم (١).

ومن ذلك أيضاً ردها للأحاديث التي حرمت لحوم الحمر الأهلية ؛ لأنها تخالف آية من كتاب الله - عز وجل ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٢) . واستدللت بأن ظاهر الآية يحل ما عدا المذكور فيها .

وعندما سئلت عن متعة النساء ، وقد كانت جائزة بالسنة ، قالت : (بينى وبينكم كتاب الله) ، وقرأت الآية الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٣) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ، ثم قالت « فمن ابتغى وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا » (٤) .

وكان ابن عباس يرى أن هذه الأحاديث التي رويت في المتعة لم تنسخ ، وأن زواج المتعة زواج صحيح ، ورد الأحاديث التي تنسخ المتعة بالقرآن الكريم ، وهو نفس المقياس الذي استخدمته السيدة عائشة لبيان حرمة .

واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ (٥) وروى في قراءة عنه زيادة (إلى أجل مسمى) (٦) .

(١) الإجابة ص (٦٠ - ٦١)

(٢) سورة الأنعام - الآية رقم (١٤٥) .

(٣) سورة المؤمنون . الآيات رقم (٥-٧) .

(٤) الإجابة ص (١٥٩)

(٥) سورة النساء - الآية رقم (٢٤) .

(٦) الاتجاهات الفقهية . ص (١١٨ - ١١٩) .

٢ - عرض الحديث على السنة :

ومنه مارواه أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : دخلت على عائشة ، فقلت : يا أمه ، إن جابر بن عبد الله يقول : « الماء من الماء » ، فقالت : أخطأ ، جابر أعلم مني برسول الله - ﷺ !؟ « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل ، أوجب الرجم ولا يوجب الغسل ؟ » (١) .

كما أننا نلاحظ أن الحديث قد يعرض على القرآن الكريم وعلى السنة في آن واحد توثيقاً له ، ونرى ذلك في قول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما رد حديث فاطمة بنت قيس : طلقني زوجي ثلاثاً على عهد النبي - ﷺ . فقال رسول الله - ﷺ : « لاسكني لك ولا نفقة » ، فقال عمر : « لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت » ، وهو بذلك يشير إلى أن حديث فاطمة يتعارض مع كتاب الله تعالى في قوله : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٢)(٣) .

٣ - عرض الحديث على القياس :

ومن هذا ما رواه أبو هريرة : « من غسّل ميتاً اغتسل ، ومن حمّله توضأ » . فأنكرت عليه السيدة عائشة - رضى الله عنها - ما رواه قياساً على غير الجسد الميت ، فإن حمّله لا ينقض الوضوء ، وقالت : « أَوَنَجِسُ مَوْتِي الْمُسْلِمِينَ؟! وما على رجل لو حمل عوداً » (٤) .
 وأنكره ابن عباس أيضاً تطبيقاً لنفس المقياس ، وقال : « لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة » (٥) .

(١) الإجابة (١٤٣)

(٢) سورة الطلاق . الآية رقم (٦) .

(٣) أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٨٠ هـ) ، نشر عبد الرحمن

محمد - القاهرة (١٣٤٧ هـ) . (٣/٥٦٤ - ٥٦٩) .

(٤) الإجابة : (١١٣)

(٥) الاتجاهات الفقهية . ص (١١٤) .

٤ - عرض الحديث على مايقول به الصحابة :

فالصحابة - رضوان الله عليهم - لا يقولون إلا بما صدر عن رسول الله - ﷺ - ، ومعنى أنهم يقولون بخلاف حديث ما أنه لم يصدر عن النبي - ﷺ - ، أو أنه قد نسخ .

ويكون هذا العرض على من يغلب على الظن أنه لا يخفى عليه لو أنه صدر فعلاً عن رسول الله - ﷺ - ، كأهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - وخاصة في الأمور الخاصة بالنبي - ﷺ - والعلاقات الخاصة بين الزوجين .
 ومن ذلك ما رواه عبيد بن رفاع الأنصاري قال : « كنا في مجلس به زيد بن ثابت ، فتذاكروا الغسل من الإنزال ، فقال زيد : « ما على أحدكم إذا جامع فلم ينزل إلا أن يغسل فرجه ، ويتوضأ وضوءه للصلاة » ، فقام رجل من أهل المجلس ، فأتى عمر ، فأخبره بذلك ، فقال عمر للرجل : « اذهب أنت بنفسك ، فأتني به ، حتى تكون أنت الشاهد عليه » ، فذهب فجاءه به ، وعند عمر ناس من أصحاب رسول - ﷺ - منهم علي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، فقال له عمر : « أى عُديّ نفسه ... تفتى الناس بهذا !؟ » ، فقال زيد : أما والله ما ابتدعته ، ولكن سمعته من أعمامى ؛ رفاع بن رافع ، ومن أبي أيوب الأنصاري » ، فقال عمر لمن عنده : « يا عباد الله قد اختلفتم ، وأنتم أهل بدر الأخيار » ، فقال له علي : « فأرسل إلى أزواج النبي - ﷺ - فإنه إن كان شيء من ذلك ظهرن عليه ، فأرسل إلى حفصة ، فسألها ، فقالت : « لا علم لي بذلك » ، ثم أرسل إلى عائشة ، فقالت : « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل » . فقال عمر عند ذلك : « لا أعلم أحداً فعله ، ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالاً » (١) .

وهكذا نرى أن بعض الصحابة نظروا في متن الحديث ، وعندما شكوا فيه أنه صادر عن رسول الله - ﷺ - - عرضه على الصحابة الذين يطبقون ما يعلمون عن رسول الله - ﷺ - .

(١) الإجابة : ص (٦٢)

وهنا نرى أن السيدة عائشة - رضی الله عنها - قد ردت حديث « الماء من الماء » بحديث آخر ، كما رأينا أن عمر بن الخطاب قد عرض الحديث على الصحابة ، ونتج عن ذلك اختلافهم ، وفطنة عليّ في عرضه على نساء النبي - ﷺ - لأنهن أعلم بذلك منهم . كل ذلك يدل وجود هذا النوع من الاتجاه عند الصحابة - رضوان الله عليهم .

ويتضح من جميع ماسبق أن هذه المقاييس التي تتعلق بالرواية ونقل الحديث ، والتي تتعلق المتن نفسه أيضاً ، قد ردت بعض الصحابة إلى الصواب فيما أخطأ أو نسي فيه . كما أنها مهدت لظهور الضوابط والمقاييس التي توثق السنة ، وتخلصها مما علق بها عن قصد أو عن غير قصد ، كما أنها تدل على أن قضية السنة لم تؤخذ عند الصحابة قضية مُسَلِّمة ، وإنما محصت ، ونظر إليها بعين النقد .

* * *

الفصل الثاني

توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث رواتها

أهم عامل من عوامل توثيق الحديث أو الخبر أن يكون رواته عدولاً ضابطين ، وفي عهد السيدة عائشة - رضی الله عنها - كانت العدالة متوافرة ، فالصحابه عدول بتعديل الله تعالى لهم ، ولكنهم كالبشر يمكن أن يخطئوا أو ينسوا أو لا يضبطوا الحديث على وجهه الصحيح .

و شاء الله تعالى أن تقف السيدة عائشة ومعها بعض الصحابة حراساً أمناء على سنة رسول الله - ﷺ - يكشفون أخطاء الرواية، ويُقَوِّمون مسارها على طريقها الصحيح .

وقد سار توثيق السنة من ناحية ضبط رواته ، أو ما يسمى بالتوثيق الخارجي للحديث مع التوثيق الداخلي للحديث بالتأمل في متنه ، وكونه ملائماً لأن يصدر عن رسول الله - ﷺ - جنباً إلى جنب عند السيدة عائشة ، وفي الباب القادم - إن شاء الله عز وجل - سنتناول الناحية الثانية ، وهي توثيق الحديث من حيث ملاءمته لكونه صادراً عن رسول الله - ﷺ - من حيث المعنى .

والذي يهمنا هنا هو ما قامت به السيدة عائشة - رضی الله عنها - من كشف أخطاء الرواة ، لنسيانهم ، لكونهم لم يفهموا ملابسات الحديث وأسباب وروده .

لقد استدركت السيدة عائشة على بعض الصحابة بعض الأحاديث ، وهذا يعني مع سعة علمها بالسنة كما تدل على ذلك كثرة روايتها - أن الأحاديث التي لم تتناولها بالاستدراك ، وهي كثيرة جداً ، قد جاءت على الوجه الصحيح ، وكأنها ، أو هي قد استعرضت جميع ما يروى عن الصحابة وسببته ووجدت معظمه صحيحاً من حيث الضبط ، ولم تكشف عن بعض الأخطاء فيه .

- وباستعراض ما كشفت السيدة عائشة - رضی الله عنها - عدم ضبطه أو عدم ضبط رواته يتبين لنا الأسباب التي أدت إلى عدم ضبط الحديث وهي :-
- ١ - خطأ بعض الرواة من الصحابة - رضوان الله عليهم .
 - ٢ - نسيان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - فأدوا الحديث على غير وجهه الصحيح .
 - ٣ - الفهم غير الصحيح لبعض الأحاديث .
 - ٤ - عدم إدراك سبب ورود الحديث مما يؤدي إلى إطلاق ما هو مقيد فيه ، أو تعميم ما هو خاص به .
 - ٥ - عدم العلم بأن الحديث منسوخ .
 - ٦ - عدم علم الصحابي بالحديث ، فيفتي بخلافه أو ينكره .
- ومعظم استدراقات السيدة عائشة - رضی الله عنها - على الصحابة ، تندرج تحت الأنواع التي بينها ، وسنحاول أن نسير معها لكشف هذا الجانب من جوانب توثيق السيدة عائشة للسنة .
- وقبل أن نبين ذلك ننبه إلى أن هناك جانباً كبيراً من اجتهاد السيدة عائشة في هذه الاستدراقات مما يعنى أن هذه الاستدراقات قد تكون من وجهه نظر أخرى ، أو اجتهاد آخر ليست أخطاء .
- ولكن الذى لا شك فيه أن السيدة عائشة قد أرست أسساً سار عليها العلماء فيما بعد ؛ لينفوا عن سنة رسول الله - ﷺ - ما هو دخيل أو غير صحيح ؛ لأن رواته لم يضبطوه ، وقام على أساس ذلك علم علل الحديث ، وعلم الجرح والتعديل .
- وأحيانا تنص السيدة عائشة - رضی الله عنها - على الخطأ ، وأحيانا يفهم من كلامها كما سنرى في الأحاديث التي استدركتها على الصحابة - رضوان الله عليهم .
- والآن مع استدراقات السيدة عائشة على الصحابة ، وبيان ما لم يضبطوه من حديث رسول الله - ﷺ .
- وستناول الأحاديث بكثير من الاختصار ، مرجعين التفصيل فيها عندما نبين نقد السيدة عائشة لمتون السنة وتوثيقها لها .

١ - استدراقات السيدة عائشة على عمر - رضی اللہ عنہ :

١ - عذاب الميت ببيكاء أهله :

روى عمر - رضی اللہ عنہ - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » (١) .

وعندما ذكر الحديث للسيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - أنكرت ذلك ، وقالت : « رحم الله عمر ما كذب ، ولكنه أخطأ أو نسي » .
 وفي رواية : « أما والله ما عرفوني هذا الحديث عن كاذبين ، ولكن السمع يخطيء » .

وفي رواية أخرى : « إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مُكذِّبين ، ولكن السمع يخطيء » (٢) .

وقد بينت السيدة عائشة أن فهم عمر - رضی اللہ عنہ - للحديث كان عامًا ، في حين أنه رؤى على وجه الخصوص ، وهي لم تنسب إلى عمر الكذب في حديث رسول الله - ﷺ - ، بل إنها صرحت بأنه لم يكذب ولكنه أخطأ .

٢ - جواز الصدقة على الزوجة :

اختلف عمر بن الخطاب وعمرو بن أمية على جواز الصدقة على الزوجة ، فعمر بن أمية يرى جوازها ، ويروى عن رسول الله - ﷺ - قوله : « ما أعطيتموهن من شيء فهو لكم صدقة » ، فقال عمر : « يا عمرو لا تكذب على رسول الله - ﷺ - » ، فقال : والله لا أفارقك حتى نأتى أم المؤمنين عائشة .

(١) خ : (٣٩٧/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٢٣) باب قول النبي - ﷺ - : يعذب الميت ببيكاء أهله عليه . رقم (١٢٨٦ - ١٢٨٨) .

م : (٦٤١/٢ - ٦٤٢) (١١) كتاب الجنائز - (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه رقم (٩٢٨/٢٣) .

م (٢) : (٦٤١/٢) (١١) كتاب الجنائز - (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه . رقم (٩٢٩/٢٢) .

فاستأذنوا على عائشة ، فقال عمرو : أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ - يقول : « وما أعطيتموهن فهو لكم صدقة » ، فقالت : « اللهم نعم ، اللهم نعم » . فقال عمر : أين كنت عن هذا ؟ ألهانى الصنفق بالأسواق (١) .
 فقد وافقت السيدة عائشة أحد الصحابة فى روايته - وهو عمرو بن أمية - ، ولم توافق عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم - فى إنكاره للحديث ، وفى هذا توثيق للحديث وراوييه .

وعندما تأكد عمر من ورود الحديث عن الرسول ﷺ - لم يتردد فى التسليم بوروده والعمل بما جاء فيه ، والندم على عدم سماع هذا الحديث .

٣ - جواز الطيب قبل الإحرام ، وبعد الحل الأول :

روى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : « إذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم كل شىء إلا النساء والطيب » (٢) .
 قالت عائشة : « كل شىء إلا النساء ، أنا طيبت رسول الله ﷺ - لحله » .
 وفى رواية : « طيبت رسول الله ﷺ - ليحزمه حين أحرم ، ولحله حين حل قبل أن يطوف بالبيت » (٣) .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - ردت الخطأ فى رواية حديث عمر ، إذ الذى يحل التحلل الأول بعد رمى جمرة العقبة يحل الطيب ، وكان قولها - عند سماعها الحديث - : « كل شىء إلا النساء أنا طيبت رسول الله ﷺ - لحله » إنكاراً منها على صحة ما رواه عمر .

(١) عزاه الزركشى إلى المحافظ أبى بكر البزار فى مسنده . (ص ٧١ - ٧٢) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٣٥/٥) . كتاب الحج - باب الطيب للإحرام .

(٣) خ : (٤٧٥/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٨) باب الطيب عند الإحرام . رقم (١٣٥٩) .

م : (٨٤٦/٢) (١٥) كتاب الحج - (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام رقم (١١٨٩/٣١) .

٤ - الطيب قبل الإحرام :

كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يكره الطيب قبل الإحرام ، فقد روى عن عمر : « أنه وجد من معاوية ريح طيب وهو بذى الحليفة وهم محرمون للحج » فقال عمر : ممن ريح هذا الطيب ؟ ، قال « منى ، طيبتنى أم حبيبة » . فقال لعمرى أقسم بالله لترجعن إليها حتى تغسله ، فوالله لأن أجد من المحرم ريح القطران أحب إليّ من أن أجد منه ريح الطيب » (١) .
 وكانت عائشة تقول : « طيبت النبي - ﷺ - فأصبح وإن ويص (٢) المسك في مفارقه » (٣) .

ذكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - الثابت من سنة رسول الله - ﷺ -
 - إنكاراً منها لخطأ راوى الحديث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى استنباطه للحكم مع وجود النص الثابت .

٥ - صلاة النافلة بعد العصر :

روى عن عمر - رضى الله عنه - أنه « كان يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر » (٤) أى صلاة النافلة بعد الفريضة .
 فقالت عائشة « وهم عمر ، إنما نهى رسول الله - ﷺ - أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها » (٥) .
 فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - ترى خطأ عمر فى نهيه عن سنة ثابتة .

-
- (١) الموطأ (٣٢٩/١) (٢٠) كتاب الحج (٧) باب ما جاء فى الطيب فى الحج رقم (١٩) .
 السنن الكبرى للبيهقى (٣٥/٥) كتاب الحج - باب الطيب للإحرام .
 (٢) ويص : بريقه وتألؤه .
 (٣) الاعتبار فى النسخ والنسخ من الآثار للحازمى (ص : ٢٨٥) .
 (٤) م : (٥٧٣/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين - (٥٥) باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب : (٨٣٦/٣٠٢) .
 (٥) م : (٥٧١/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين - (٥٣) باب لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها . رقم (٨٣٣/٢٩٥) .

٢ - استدراكها على عبد الله بن عباس - رضى الله عنه :-

١ - من أهدى هدياً وليس محرماً :

كتب زياد بن أبي سفيان إلى عائشة : أن عبد الله بن عباس قال : « من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدى » وقد بعث بهدى فاكتبى لى بأمرك .

قالت عائشة « ليس كما قال ابن عباس : أنا فلتت قلائد هدى رسول الله - ﷺ - بيدي ، ثم قلدها رسول الله - ﷺ - بيده ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله - ﷺ - شيء أحله الله له حتى نحر الهدى » (١) .
 فقد بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - خطأ مارواه ابن عباس ، وذكرت الحديث الصحيح مبينة السنة في ذلك ، وهى أن من بعث هدياً ، وهو غير محرّم ، فلا يحرم عليه شيء مما يحرم على المحرم .

٢ - طواف الحاج قبل الوقوف :

كان ابن عباس - رضى الله عنه - يقول « لا يطوف بالبيت حاج ، ولا غير حاج إلا حل » (٢) سواء أكان ذلك فى حج أو عمرة ، وإذا كان حاجّاً فإنه يفسح الحج إلى العمرة ، ثم يحرم إحراماً جديداً للحج كما فعل بعض الصحابة فى حجة الوداع .

(١) خ : (٥١٩/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٠٩) باب من قلد القلائد بيده رقم (١٧٠٠) .
 م : (٩٥٩/٢) (١٥) كتاب الحج - (٦٤) باب استحباب بعث الهدى إلى الحرم لمن يريد الذهاب بنفسه . رقم (١٣٢١/٣٦٩) .
 ت : (٢٤٢/٣ - ٢٤٥) (٧) كتاب الحج - (٦٩) باب تقليد الهدى للمقيم . رقم (٩٠٨) .
 د : (٣٦٥/٢) (٥) كتاب المناسك - (١٧) باب من بعث هديه وأقام . رقم (١٧٥٧) .
 س : (١٧١/٥) (٢٤) كتاب مناسك الحج - (٦٥) باب قتل القلائد . رقم (٢٧٧٥) - (٢٧٧٩) .

ج ه : (١٠٣٣/٢) (٢٥) كتاب المناسك - (٩٤) باب تقليد البدن . رقم (٣٠٩٤) .
 (٢) م : (٩١٣/٢) (١٥) كتاب الحج (٣٢) باب تقليد الهدى وإشعاره عند الإحرام . رقم (١٢٤٥/٢٠٨) .

وقد أنكرت عائشة ذلك ، وحكت فعل النبي - ﷺ - في حجة الوداع ، حيث طاف للعمرة ولم يحل ، وقرن بين الحج والعمرة لأنه ساق الهدى ، وكذلك أمر بعض الصحابة الذين ساقوا الهدى مثله .
 وهكذا بينت السيدة عائشة خطأ ابن عباس في فتواه التي خالفت السنة الصحيحة التي تعلمتها من رسول الله - ﷺ .

٣ - في النافلة بعد العصر :

روى ابن عباس : « أن معاوية صلى صلاة العصر ، ثم قام ابن الزبير فصلى بعدها ، فقال معاوية « يا ابن عباس ماهاتان الركعتان ؟ فقال : بدعة وصاحبها صاحب بدعة » ، فلما انفتل ابن الزبير قال : ما قلتما ؟ قال : قلنا : كيت وكيت ، قال : ما ابتدعت ، ولكن حدثتني خالتي عائشة .
 فأرسل معاوية إلى عائشة فقالت : صدق حدثتني أم سلمة « فأرسل إلى أم سلمة : أن عائشة حدثتنا عنك بكذا ، فقالت : « صدقت ، أتى رسول الله - ﷺ - ذات يوم فصلى بعد العصر ، فقمتم وراءه فصليت ، فلما انفتل قال : ما شأنك ؟ قلت : رأيتك يانبي الله صليت فصليت معك ، فقال : إن عاملاً لي على الصدقات قدم علي فخفت عليه » (١) .
 فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - هنا قد صدقت بعض الرواة من الصحابة ، وفي تصديقها بيان أن هؤلاء ضبطوا الحديث .

٤ - رؤية النبي - ﷺ - ربه :

قال ابن عباس « أتعجبون أن تكون النخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد - ﷺ - ؟ » (٢) .
 وفي رواية : « قد رأى محمد - ﷺ - ربه » .

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٧٧/٥٠) - رقم (٤١٣٨) .

(٢) المستدرک (٦٤/١ - ٦٥) .

قالت عائشة « من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقها ساداً ما بين الأفق » (١) .
 نفت السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - ما أثبت ابن عباس ، وهي تعنى ذلك أنه أخطأ في روايته .

٥ - قراءة (قد كذبوا) مخففة :

قرأ ابن عباس ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ (٢)
 خفيفة وتلا ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرُ اللَّهُ ﴾ (٣) .
 فهمت السيدة عائشة أن قراءة التخفيف تعنى أن الضمير فى (ظنوا) عائد على الرسل ، فكأن الرسل شكوا فيما جاءهم من عند الله عز وجل - ، وهذا مستحيل على الرسل .

قالت عائشة : « معاذ الله - والله - ما وعد الله ورسوله من شىء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرؤها (كُذِّبُوا) مثقلة (٤) » .
 فالضمير فى « ظنوا » عائد على أتباع الرسل .
 فأرات السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - أن تدفع مايمكن أن يتوهم من تفسير قراءة التخفيف والتي قرأ بها ابن عباس .
 وسنيين - إن شاء الله عز وجل - أن المعنى على التخفيف ، وهي قراءة مشهورة لا تؤدي إلى شك الرسل ، وإنما الظن والشك كان من أتباعهم .

(١) خ : (٤٢٩/٢) (٥٩) كتاب بدء الخلق - (٧) باب إذا قال أحدكم آمين رقم (٣٢٣٤) .

(٢) سورة يوسف - الآية رقم (١١٠) .

(٣) سورة البقرة - الآية رقم (٢١٤) .

(٤) خ : (٢٠١/٣) (٦٥) كتاب التفسير (٣٨) سورة البقرة - (٣٨) باب ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالصِّرَاطَ ﴾ إلى ﴿ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة - آية ٢١٤] رقم (٤٥٢٤ - ٤٥٢٥) .

٣ - استدرأها على عبد الله بن عمر - رضی الله عنه :-

١ - عذاب الميت ببكاء أهله :

روى عبد الله بن عمر : « إن الميت ليعذب ببكاء الحي » .
 فقالت عائشة : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن . أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي
 أو أخطأ ، إنما مر رسول الله - ﷺ - على يهودية يُنكى عليها » (١) .
 وفي رواية : « رحم الله أبا عبد الرحمن ، سمع شيئاً ولم يحفظه » (٢) .
 وضحت السيدة عائشة - رضی الله عنها - هنا أن عبد الله بن عمر أخطأ في
 رواية الحديث أو نسي ، فأدى الحديث من غير ملاساته ، فأصبح عامماً ، وهو
 خاص .
 ولم تنسب إليه السيدة عائشة الكذب في حديث رسول الله - ﷺ -
 ولكنها تسعى جاهدة إلى ضبط رواية الحديث توثيقاً له .

٢ - الطيب قبل الإحرام :

سئل ابن عمر عن الطيب قبل الإحرام فقال : « لأن أطلّي بالقطران أحب إليّ
 من أن أصبح محرماً أنضح طيباً » (٣) .
 فأنكرت عائشة عليه ذلك وقالت « يرحم الله أبا عبد الرحمن فقد كنت

(١) خ : (٣٩٧/١) (٢٣) كتاب الجنائز (٣٢) باب قول النبي - ﷺ - « يعذب الميت ببعض
 بكاء أهله إذا كان النوح من سنته . رقم (١٢٨٩) .

م : (٩٤٣/٢) (١١) كتاب الجنائز (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه . رقم (٩٣٢/٢٧) .
 الموطأ : (٢٣٤/١) (١٦) كتاب الجنائز (١٢) باب النهي عن البكاء على الميت رقم (٣٧) .
 ت : (٣١٨/٣) (٨) كتاب الجنائز (٢٥) باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت رقم
 (١٠٠٦) .

س : (١٧/٤ - ١٨) (٢١) كتاب الجنائز (١٥) باب النياحة على الميت رقم (١٨٥٦) .
 م (٢) : (٦٤٢/٢) (١١) كتاب الجنائز (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه رقم (٢٥)
 (٩٣١) .

(٣) النضخ : كاللطيخ فيما يبقى له أثر رقيقاً مثل الماء . الإجابة (ص : ٩٣) .

أطيب رسول الله - ﷺ - فيطوف في نسائه ، ثم يصبح محرماً ينضح طيباً» (١) .

وفي رواية : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبَيْصِ الطَّيِّبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ مُحْرَمٌ » (٢) .

فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - أنكرت ما رواه ابن عمر لمخالفته الثابت من سنة رسول الله - ﷺ - وهو تطيبه قبل الإحرام .

٣ - عمرات الرسول - ﷺ :

سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله - ﷺ - ؟ قال « أربعاً ، إحداهن في رجب » فقالت عائشة : « يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده ، وما اعتمر في رجب قط » (٣) .

وفي رواية قال : « مرتين » فقالت عائشة « لقد علم ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قد اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع » (٤) .

(١) خ : (١٠٥/١) (٥) كتاب الغسل - (١٢) باب إذا جامع ثم عاد ، ومن دار على نسائه في غسل واحد رقم (٢٦٧) .

(م : ٨٤٩ - ٨٥٠) (١٥) كتاب الحج - (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام رقم (٤٨/١١٩٢) .

س : (١٤١/٥) . (٢٤) كتاب مناسك الحج (٤٢) باب الموضع الطيب رقم (٢٧٠٤) .

(٢) خ : (٤٧٥/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٨) باب الطيب عند الإحرام رقم (١٣٥٨) .

س : (١٣٨/٥) (٣٤) كتاب مناسك الحج (٤١) باب إباحة الطيب عند الإحرام رقم (٢٦٩٣) .

س : (١٣٩/٥) (١٤) الكتاب نفسه (٤٢) باب موضع الطيب رقم (٢٦٩٧) .

(٣) خ : (٧٠١/٣) (٢٦) كتاب العمرة (٣) باب كم اعتمر النبي - ﷺ - . رقم (١٧٧٥) - (١٧٧٦) .

ت : (٢٦٥/٣) (٧) كتاب الحج (٩٣) باب ما جاء في عمرة رجب . رقم (٩٣٦) .

(٤) د : (٥٠٥/٢ - ٥٠٦) (٥) كتاب المناسك - (٨٠) باب العمرة . رقم (١٩٩٢) .

س (الكبرى) : (٤٧٠/٢) (٢٨) كتاب الحج - أبواب العمرة - (٢٨٢) كم عمرة اعتمر النبي

- ﷺ - . رقم (٤٢١٨) .

السنن الكبرى للبيهقي (١١/٥) كتاب الحج - باب من اختار القرآن ، وزعم أن النبي - ﷺ -

كان قارناً .

أظهرت السيدة عائشة - رضی الله عنها - دخول الوهم أو النسيان على ابن عمر في روايته للحديث ، سواء في زمن بعض عمراته - رضي الله عنه - أو عددها .

٤ - أجر متبع الجنازة :

قيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : من تبع جنازة فله قيراط من الأجر ، فقال ابن عمر : « أكثر علينا أبو هريرة » ، فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة ، فقال ابن عمر : « لقد فرطنا في قراريط كثيرة » ^(١) .

صدقت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أبا هريرة ؛ وذلك عند توقف ابن عمر عن الأخذ بحديثه ، وعندما علم أنه صدر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بالحديث ، وندم على عدم علمه به .

وعلى هذا فعند ما صدقت أبا هريرة بينت أن ابن عمر قد أخطأ عندما أنكر سنة ثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

٥ - قطع الخفين للنساء في الإحرام :

رُوي عن ابن عمر قال : « أنه كان يفتي النساء إذا أحرمن أن يقطعن الخفين » ، حتى أخبرتهن صافية ، عن عائشة : « أنها تفتي النساء إذا أحرمن أن لا يقطعن الخفين » ^(٢) .

وفي رواية : « أن عبد الله بن عمر كان يصنع ذلك » ، ثم حدثته صافية بنت أبي عبيد : « أن عائشة حدثتها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان رخص للنساء في الخفين » ، فترك ذلك ^(٣) .

(١) خ : (٤٠٧/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٥٧) باب فضل اتباع الجنائز . رقم (١٣٢٣) .
 م : (٦٥٣/٢) (١١) كتاب الجنائز - (١٧) باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها . رقم (٩٤٥/٥٥) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٥٢/٥) كتاب الحج - باب ما تلبس المرأة المحرمة من الثياب .

(٣) د : (٤١٤/٢) (٥) كتاب المناسك - (٣٢) باب ما يلبس المحرم . رقم (١٨٣١) .

بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - خطأ ما رواه ابن عمر ، وعندما علم بخطئه ترك ما كان يقول ، وندم على عدم سماع مثل هذه الأحاديث .

٦ - الوضوء من القبلة :

رؤى عن عائشة أنه بلغها قول ابن عمر : فى القبلة الوضوء ، فقالت : « كان رسول الله - ﷺ - يقبل وهو صائم ولا يتوضأ » (١) .

نفت السيدة عائشة - رضی الله عنها - مارواه ابن عمر ، وبينت أنه أخطأ فيما رواه بما ثبت عندها من السنة .

٧ - موت الفجأة :

بلغ عائشة أن ابن عمر يقول : « إن موت الفجأة سخطة على المؤمنين » ، فقالت : يغفر الله لابن عمر ، إنما قال رسول الله - ﷺ - : « موت الفجأة تخفيف على المؤمنين ، وسخطة على الكافرين » (٢) .

بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - نسيان ابن عمر - رضی الله عنه - مما أدى إلى روايته للحديث على غير وجهه الصحيح .

٨ - ترتيب الأذان بين بلال وابن أم مكتوم :

روى ابن عمر قال : « أن رسول الله - ﷺ - قال : إن بلالاً يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » (٣) .

(١) سنن الدراقطنى (١٣٦/١) باب صفة ما ينقض الوضوء ، وما روى عن الملامسة والقبلة . رقم

(١٠) .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى (١٠٤/٤) رقم (٣١٥٣) .

السنن الكبرى للبيهقى (٣٧٩/٣) كتاب الجنائز - باب فى موت الفجأة .

(٣) خ : (٢٠٩/١) (١٠) كتاب الأذان - (١١) باب أذان الأعشى إذا كان له من يخيره . رقم

=

(٦١٧) .



وقالت عائشة : قال رسول الله - ﷺ - : « إن ابن أم مكتوم رجل أعمى ، فإذا أذن فكلوا وأشربوا حتى يؤذن بلال ، وكان بلال يبصر الفجر » . وكانت عائشة تقول « غلط ابن عمر » (١) .

فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - ترى أن ابن عمر قد أخطأ فيما رواه ، وهذا الخطأ في رأيها نوع من عدم الضبط للحديث .

٩ - قوله الشهر تسع وعشرون :

أخبرت عائشة - رضی الله عنها - بقول ابن عمر - رضی الله عنه - : « إن الشهر تسع وعشرون » فأنكرت ذلك عليه ، وقالت : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما هكذا قال رسول الله - ﷺ - ، ولكن قال : « إن الشهر قد يكون تسعًا وعشرين » (٢) .

وفي رواية : « يرحم الله أبا عبد الرحمن ، وهبل ، هجر رسول الله - ﷺ - - نساءه شهرًا ، فنزل لتسع وعشرين ، فقليل له ، فقال : « إن الشهر قد يكون تسعًا وعشرين » (٣) .

ترى السيد عائشة - رضی الله عنها - أن ابن عمر قد غلط أو نسي في روايته للحديث .

= م : (٧٦٨/٢) (١٣) كتاب الصيام - (٨) باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر . رقم (٣٦ - ١٠٩٢/٣٧) .

الموطأ : (٧٤/١) (٣) كتاب الصلاة - (٣) باب قدر السحور من النداء . رقم (١٤) .

س : (١٠/٢) (٧) كتاب الأذان - (٩) المؤذنان للمسجد الحرام . رقم (٦٣٨) .

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٣٨٢/١) كتاب الصلاة - باب القدر الذي كان بين بلال وابن أم مكتوم ، ورواية من قدم أذان ابن أم مكتوم على أذان بلال .

(٢) الإجابة (٩٧ - ٩٨) .

(٣) مسند أحمد (٥٦/٢) .

١٠ - قصة أهل القلب :

روى ابن عمر : « وقف النبي - ﷺ - على قلب بدر ، فقال : « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ، إنهم الآن يسمعون ما أقول » فذكر ذلك لعائشة ، فقالت : « إنما قال النبي - ﷺ - : « إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول هو حق » (١) .

وفى رواية : « غفر الله لأبي عبد الرحمن ، إنه وهل » (٢) .
 ترى السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن ابن عمر قد غلط في فهمه لمعنى الحديث الصحيح ، لهذا أنكرت عليه ماروى .

٤ - استدراكها على عبد الله بن عمرو بن العاص - رضی الله عنه :

نقض المرأة رأسها للغسل :

بلغ عائشة أن ابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فقالت : « يا عجبا لابن عمرو يأمر النساء أن ينقضن رءوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن ، لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله - ﷺ - من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاثة إفرافات » (٣) .
 بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - خطأ ابن عمرو فيما رواه ، مبينة الرواية الصحيحة .

٥ - استدراكها على أبي هريرة - رضی الله عنه

١ - صوم من أصبح جنبًا :

روى أبو هريرة قال : « من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم » - ومعنى ذلك أن

(١) خ : (٤٢١/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٨٦) باب ما جاء في عذاب القبر . رقم (١٣٧١) .

م : (٦٤٣/٢) (١١) كتاب الجنائز - (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه رقم (٩٣٢/٢٦) .

(٢) مسند أحمد (٣١/٢) .

(٣) م : (٢٦٠/١) (٣) كتاب الحيض - (١٢) باب حكم ضفائر المغتسلة . رقم (٣٣١/٥٩) .

الجنابة تفطر الصائم - فسئلت عائشة وأم سلمة عن ذلك فقالتا : « كان النبي - ﷺ - يصبح جنبًا من غير حلم ، ثم يصوم » (١) .

فرجع أبو هريرة عما كان يقول من ذلك ، وردَّ ما رواه إلى الفضل بن العباس .

فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - عارضت ما كان يرويه أبو هريرة ، فلم يكن يعلم أن ما رواه قد نُسخ ، فلما علم من بعض الصحابة بذلك ، وأن عائشة وأم سلمة أخبرتا أن رسول الله - ﷺ - كان يدركه الفجر وهو جنب من غير حلم ثم يصوم ، رجع عن قوله وفتياه .

فرواية عائشة - رضی الله عنها - ناسخة لرواية الفضل التي رواها عنه أبو هريرة .

٢ - الشؤم في ثلاثة :

قيل لعائشة : إن أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ - : « الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس » .

فقالت عائشة : « لم يحفظ أبو هريرة ، إنه دخل ورسول الله - ﷺ - يقول : قاتل الله اليهود يقولون : الشؤم في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس . فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله » (٢) .

بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن أبا هريرة في روايته لم يحفظ الحديث ، فقد دخل ورسول الله - ﷺ - يقول الحديث ، فسمع آخره ولم يسمع أوله ، فجاءت روايته على غير ما قال - ﷺ - ، أو مبتورة .

(١) م : (٢/٧٧٩ - ٧٨٠) (١٣) كتاب الصيام - (١٣) باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب . رقم (١١٠٩/٧٥) .

(٢) د : (٧/٢١٥) رقم (١٥٣٧) .

٣ - عذاب المرأة في هرة :

قالت عائشة لأبي هريرة : يا أبا هريرة أنت الذى تحدث عن رسول الله - ﷺ - : « أن امرأة عذبت من جَرَى هرة ، لا هي أطعمتها ولا سقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض شيئًا حتى ماتت » ؟ .

قال أبو هريرة : سمعته من رسول الله - ﷺ - فقالت عائشة : « المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه الله من جرى هرة - أى إن المرأة مع ذلك كانت كافرة - يا أبا هريرة ، إذا حدثت عن رسول الله - ﷺ - فانظر كيف تحدث » (١) .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - بينت أن أبا هريرة لم يدرك سبب ورود الحديث ، فأطلقه على عمومه ، فى حين أنه قيل على وجه خاص .

٤ - ولد الزنى شر الثلاثة :

بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول : إن رسول الله - ﷺ - قال : « لأن أُنقَع بسوط فى سبيل الله أحب إلى من أن أعتق ولد الزنى » ، وإن رسول الله - ﷺ - قال : « ولد الزنى شر الثلاثة » و« إن الميت يعذب بيكاء الحى » فقالت عائشة : « رحم الله أبا هريرة أساء سمعًا فأساء جابة » (٢) .

وقالت : فلم يكن الحديث على هذا .

بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن أبا هريرة لم يحسن سماع الحديث ، فأساء روايته ، فهو لم يدرك سبب ورود الحديث فرواه على إطلاقه . وقد تقدم تصحيح السيدة عائشة لرواية : أن الميت يعذب بيكاء أهله عليه .

(١) مسند أحمد (٥١٩/٢) - ومجمع الزوائد (١١٦/١) .

(٢) المستدرک (٢١٥/٢) كتاب العتق - ولد الزنا شر الثلاثة .

السنن الكبرى للبيهقى (٨٥/١٠) كتاب الإيمان - باب ما جاء فى ولد الزنا .

٥ - من لم يوتر فلا صلاة له :

روى أبو هريرة : أن رسول الله - ﷺ - قال : « مَنْ لَمْ يُؤْتِرْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ » ،
 فبلغ ذلك عائشة فقالت : « مَنْ سَمِعَ هَذَا مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ - ﷺ - ؟ مَا بَعُدَّ
 الْعَهْدُ وَمَا نَسِينَا » (١) .

وبينت أن هذا يتعارض مع السنة المشهورة التي تبين أن الصلوات خمس .
 فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - أنكرت ما رواه أبو هريرة ، وردته إلى
 نسيان الراوى ، فأدى الحديث على غير وجهه الصحيح .

٦ - رواية الشعر :

قيل لعائشة - رضی الله عنها : إن أبا هريرة يقول : « لَأَنْ يَمْتَلَأَ جَوْفُ
 أَحَدِكُمْ قَيْحًا ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا » .

فقالت عائشة - رضی الله عنها - : « يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، حَفِظَ أَوَّلَ
 الْحَدِيثِ وَلَمْ يَحْفَظْ آخِرَهُ ، إِنْ الْمَشْرُكِينَ كَانُوا يَهَاجُونَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -
 فَقَالَ : لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا مِنْ مَهَاجَةِ
 رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ » (٢) .

وضحت السيدة عائشة أن أبا هريرة لم يرو الحديث كما رواه رسول الله -
 ﷺ ، فحفظ أول الحديث ، ولم يحفظ آخره ، فكانت روايته للحديث مطلقة
 دون تقييد .

٧ - الوضوء من حمل الميت والغسل من تغسيله :

روى أبو هريرة قال : « مَنْ غَسَّلَ مَيْتًا اغْتَسَلَ ، وَمَنْ حَمَلَهُ تَوَضَّأَ » (٣) . فبلغ

(١) المعجم الأوسط للطبراني (١٩/٥) . رقم (٤٠٢٤) .

(٢) شرح معاني الآثار (٢٩٦/٤) كتاب الكراهية . باب رواية الشعر ، هل هي مكروهة أم لا ؟

م : (١٧٦٩/٤) (٤١) كتاب الشعر . رقم (٢٢٥٨/٨) .

(٣) د : (٥١١/٣ - ٥١٢) (١٥) كتاب الجنائز - (٣٩) باب ما جاء في الغسل من غسل

الميت . رقم (٣١٦١) .

ت : (٣٠٩/٣) (٨) كتاب الجنائز - (١٧) باب ما جاء في الغسل من غسل الميت . رقم (٩٩٣) .

ذلك السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقالت : « أو نجس موتى المسلمين : وما على رجل لو حمل عودًا ؟ » (١) .

وفى رواية : « سبحان الله ، أموات المسلمين أنجاس ، وهل هو إلا رجل أخذ عودًا فحمله » ؟ (٢) .

بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - خطأ ما رواه أبو هريرة ؛ لمخالفته الثابت عن سنة رسول الله - ﷺ .

قال أبو هريرة : قال رسول الله - ﷺ : « إذا أحب العبد لقاء الله أحب الله لقاءه ، وإذا كره العبد لقاء الله كره الله لقاءه » .

فذكر ذلك لعائشة فقالت : يرحمه الله حدثكم بأخر الحديث ولم يحدثكم بأوله » (٣) .

وقد بينت أن الصحيح أن ذلك قبيل الموت حيث يوفق الله الصالح إلى عمل الخير ، فيحب لقاء الله تعالى وأجره وثوابه ، وعلى العكس من ذلك العبد الطالح . نقدت السيدة عائشة - رضى الله عنها - رواية أبي هريرة ؛ لأنه روى الحديث مطلقاً دون تقييد ، مما يؤدي إلى فهمه على غير وجهه الصحيح .

٨ - المرأة تقطع الصلاة :

بلغ عائشة - رضى الله عنها - أن أبا هريرة يقول : « إن المرأة تقطع الصلاة » . فقالت : « كان رسول الله - ﷺ - يصلى فتقع رجلى بين يديه أو بحذائه فيصرفها فأقبضها » (٤) .

(١) عزاه الزركشى إلى أبى منصور البغدادى (ص ١١٠ - ١١١) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٣٠٧/١) كتاب الطهارة - باب الغسل من غسل الميت .

(٣) عزاه الزركشى فى الإجابة للدارقطنى ، ولم أعثر عليه فى السنن . (الإجابة ، ص : ١١٣) .

م : (٤/٢٠٦٦) (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (٥) باب من أحب لقاء الله ،

أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . رقم (٢٦٨٥/١٧) .

س (٩/١٠ - ٢١) كتاب الجنائز - (١٠) باب فى من أحب لقاء الله . رقم (١٨٣٤) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقى (٢٧٦/٢) كتاب الصلاة - باب الدليل على أن مرور المرأة بين يديه

لا يفسد الصلاة .

ومعنى هذا أن المرأة لا تقطع الصلاة .

وهكذا بينت السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - خطأ ما رواه أبو هريرة بما ثبت عندها من فعلها مع رسول الله - ﷺ - ؛ حيث كان يصلي وهي معترضة في قبلته .

٦ - استدراكها على أبي سعيد الخدري - رضی اللہ عنہ :

١ - سفر المرأة بدون محرم :

روت عمرة بنت عبد الرحمن : أن عائشة أخبرت أن أبا سعيد الخدري قال : « نهى رسول الله - ﷺ - المرأة أن تسافر إلا ومعها محرم » .
 قالت عمرة : فالتفتت عائشة إلى بعض النساء وقالت : « مالكلكن ذو محرم »^(١) .

بينت السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - أن أبا سعيد الخدري أخطأ فيما رواه من خلال ردها عليه ؛ حيث أرادت به أن المرأة قد لا تجد محرماً ، وهي تريد أداء فريضة الحج مثلاً .

٢ - بعث الميت في ثيابه :

روى أبو سعيد الخدري قال : إنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها »^(٢) .

= م : (٣٦٧/١) (٤) كتاب الصلاة - (٥١) باب الاعتراض بين يدي المصلي . رقم (٥١٢/٢٧٢) .
 خ : (١٧٩/١) (٨) كتاب الصلاة - (١٠٤) التطوع خلف المرأة . رقم (٥١٣) .
 (١) صحيح ابن حبان (الإحسان) : (٤٤٢/٦) (٩) كتاب الصلاة . (٢٧) فصل في سفر المرأة . رقم (٢٧٣٣) .

(٢) د : (٤٨٥/٣) (١٥) كتاب الجنائز - (١٨) باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت . رقم (٨١١٤) .

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٧/١٦) كتاب إخباره عن مناقب الصحابة - ذكر خير أوهم أن حكم ظاهره حكم باطنه . رقم (٧٣١٦) .

المستدرک (٣٤٠/١) كتاب الجنائز - إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها .

فأنكرت عليه ذلك وقالت : « يرحم الله أبا سعيد إنما أراد النبي - ﷺ - عمله الذي مات عليه ... » .

وقد روت السيدة عائشة أيضًا « يحشر الناس حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا » .
 بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن أبا سعيد الخدري قد أخطأ في فهمه لمعنى الحديث الصحيح ، ففهمه على أنه على ظاهره ؛ في حين أن المراد عمله الذي مات عليه .

٧ - استدراكها على عبد الله بن مسعود - رضی الله عنه :
 إذا أحب العبد لقاء الله :

روى عبد الله بن مسعود قال : « من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه » .

فقالت عائشة : « يرحم الله أبا عبد الرحمن حدث بأول الحديث ، ولم تسألوه عن آخره ... » ^(١) .

وضحت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن عبد الله بن مسعود روى الحديث على غير وجهه الصحيح ، فقد حدث بأول الحديث ولم يحدث بآخره .
 وقد بينت بأن ذلك يكون قبيل الموت ، وليس حب الموت أو كرهه هو ما أراد .

وفى تصحيحها هذا توثيق للحديث ، ورفع للإشكال الذي قد يقع فيه

(١) الأحاديث بهذا المعنى كثيرة جداً ، فمن ذلك ما رواه :

خ : (١٩٢/٤ - ١٩٣) (٨١) كتاب الرقائق - (٤١) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه .
 رقم (٦٥٠٧) .

م : (٢٠٦٥/٤ - ٢٠٦٦) (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . (٥) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه . رقم (٢٦٨٤/١٥) ، (٢٦٨٥/١٧) .

ت : (٣٧٠/٣ - ٣٧١) (٨) كتاب الجنائز - (٦٧) باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . (١٠٦٧) .

س : (١٠/٤) (٢١) كتاب الجنائز - (١٠) فيمن أحب لقاء الله . رقم (١٨٣٤) .

المسلم إذا فهم الحديث على غير وجهه الصحيح ، وهو كون الحديث يتعلق بحب الموت أو كراهته .

٨ - استدراكها على أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه : تعجيل الفطر والصلاة :

قيل لعائشة : « يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد - ﷺ - أحدهما يعجل الصلاة ويعجل الإفطار ، والآخر يؤخر الصلاة ويؤخر الإفطار » . قالت : « أيهما الذى يعجل » ، وقال : « عبد الله » ، قالت : « هكذا كان يصنع رسول الله - ﷺ » ، والآخر أبو موسى (١) .
 صَدَّقَت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أحد الرواة ، وفى تصديقها توثيق لروايته .

٩ - استدراكها على زيد بن ثابت - رضى الله عنه : نفر الحائض من غير طواف الوداع :

اختلف زيد بن ثابت مع عبد الله بن عباس فى نفر الحائض من غير طواف الوداع . فقال ابن عباس : « تنفر » ، وقال زيد : « لا تنفر » . فدخل زيد على عائشة ، فسألها فقالت : « تنفر » . فخرج زيد وهو يتسمم ، ويقول : ما الكلام إلا ماقلت (٢) .

(١) م : (٧٧١/٢ - ٧٧٢) (١٣) كتاب الصيام - (٩) باب فضل السحور ... وتعجيل الفطر .
 رقم (١٠٩٩/٤٩) .

ت : (٧٤/٣) (٦) كتاب الصوم - (١٣) باب ماجاء فى تعجيل الإفطار .

د : (٧٦٣ - ٧٦٤) (٨) كتاب الصوم - (٢٠) باب ما يستحب من تعجيل الفطر . رقم (٢٣٥٤) .

س : (١٤٣/٤ - ١٤٤) (٢٢) كتاب الصيام - (٢١) ذكر الاختلاف على سليمان بن مهران فى حديث عائشة فى تأخير السحور واختلاف ألفاظهم . رقم (٢١٥٨ - ٢١٦١) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر : (٢٧٠/١٧) .

صدقت السيدة عائشة - رضی الله عنها - رواية عبد الله بن عباس ،
 وتصديقها لبعض الصحابة هو توثيق للسنة ؛ لأنه تأكيد ماثب عن رسول الله -
 ﷺ .

١٠ - استدراكها على زيد بن أرقم - رضی الله عنه :

البيع إلى العطاء :

دخلت امرأة على عائشة في نسوة فسألتهما ، فقالت : « يا أم المؤمنين كانت
 لي جارية فبعتهما من زيد بن أرقم بثمان مائة إلى العطاء ، ثم ابتعتها منه بست مائة
 فنقدته الست مائة ، وكتبت عليه ثمان مائة . فقالت عائشة : « بئسما اشتريت
 وبئسما اشتري زيد بن أرقم ، إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله - ﷺ - إلا أن
 يتوب » فقالت المرأة لعائشة : « رأيت إن أخذت رأس مالي ورددت عليه
 الفضل » . قالت : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ (١)(٢) .
 رفضت السيدة عائشة - رضی الله عنها - ما فعله زيد بن أرقم ؛ لأنها اعتبرته
 باباً من أبواب الربا .

١١ - استدراكها على البراء بن عازب - رضی الله عنه :

عمرات الرسول - ﷺ :

روى البراء بن عازب قال : « اعتمر رسول الله - ﷺ - ثلاث عمر كلهن
 في ذى القعدة » ، قالت عائشة : « لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حج
 معها » (٣) .

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٧٥) .

(٢) مصنف عبد الرازق (١٨٤/٨ - ١٨٥) كتاب البيوع - باب الرجل يبيع السلعة ثم يريد

اشترائها بنقد . رقم (١٤٨١٢) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١١/٥) كتاب الحج - باب من اختار القران ، وزعم أن النبي -

ﷺ - كان قارناً .

بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن البراء بن عازب روى الحديث على غير وجهه الصحيح ؛ لئسيانه - رضى الله عنه - ، لذا جاء إنكارها على العدد والشهر الذى حدث فيه إحدى عمره - ﷺ .

١٢ - استدراكها على عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه :

١ - أفراد الحج والتمتع :

روى عبد الله بن الزبير قال : « أفردوا الحج ، ودعوا قول أعمامكم هذا » . فقال عبد الله بن عباس : « إن الذى أعمى الله قلبه هو أنت ، ألا تسأل أمك عن ذلك ؟ » ، فأرسل إليها ، فقالت : « صدق ابن عباس ، خرجنا مع رسول الله - ﷺ - حجاً فجعلناه عمرة ، فحللنا الإحلال كله حتى سطعت المجامر بين الرجال والنساء » (١) .

صَدَّقَت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عبد الله بن عباس ، وهو تصديق فيه رد لرواية عبد الله بن الزبير الذى ينهى فيها عن الجمع بين الحج والعمرة ، ولكن السيدة عائشة بينت أن التمتع سنة .

٢ - مقدار ما تأخذ المحرمة من شعرها :

كانت عائشة - رضى الله عنها - تقول : « ألا تعجبون من ابن الزبير يفتى المرأة المحرمة ، أن تأخذ من شعرها أربع أصابع ، وإنما يكفيها من ذلك التطريف » (٢) .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - ترى أن عبد الله بن الزبير قد أخطأ فى روايته للحديث ، وقد ردت روايته بما ثبت عندها مما تعلمته من سنة رسول الله - ﷺ .

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٠٣/٤) كتاب الحج - فى نسخ الحج أفعله النبي - ﷺ .

(٢) عزاه الزركشى فى الإجابة إلى مسند الإمام أحمد ، ولم أعثر عليه فى المسند (الإجابة

١٣ - استدراكها على عروة بن الزبير - رضی الله عنه :

السعى بين الصفا والمروة :

قال عروة بن الزبير لعائشة زوج النبي - ﷺ - : « ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً ، وما أبالي ألا أطوف بينهما » ، قالت : « بئس ماقلت يا ابن أختي ، طاف رسول الله - ﷺ - فكانت سنة ... » (١) الحديث .
 بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - خطأ ماقاله عروة ، نتيجة فهمه غير الصحيح لمراد الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (٢) ، فقد فهم أن السعى بين الصفا والمروة غير واجب ، وعليه أوضحت السيدة عائشة أن السعى واجب بالآية وبفعل رسول الله - ﷺ - الذي لم يترك السعى بينهما .

١٤ - استدراكها على جابر بن عبد الله - رضی الله عنه :

١ - في الماء من الماء :

روى جابر بن عبد الله قال : « الماء من الماء » . فقالت : « أخطأ ، جابر أعلم مني برسول الله - ﷺ - ؟ يقول : « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل » أيوجب الرجم ولا يوجب الغسل » ؟ (٣) .

(١) خ : (١/٥٠٤) (٢٥) كتاب الحج - (٧٩) باب وجوب السعى بين الصفا والمروة ، وجعل من شعائر . رقم (١٦٤٣) .

م : (٢/٩٢٩) (١٥) كتاب الحج - (٤٣) باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة من شعائر الله . رقم (١٢٧٧/٣٦١) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٥٨) .

(٣) أخرج حديث « إذا جاوز الختان الختان » :

ت : (١/١٠٩) أبواب الطهارة - باب ما جاء : إذا التقى الختانان وجب الغسل . رقم (١٠٨) - (١٠٩) .

ج : (١/١٩٩) - (١) كتاب الطهارة وسننها - (١١١) باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقى الختانان . رقم (٦٠٨) .

فقد بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - خطأ ما رواه جابر ؛ لمخالفته
 الثابت عندها من السنة الشريفة التي توجب الغسل بمجرد التقاء الختانيين .

٢ - فى إلقاء الثوب الخلق :

قال جابر بن عبد الله : دخلت على عائشة وعليها سمل (١) ثوب مرقوع ،
 فقلت : « لو ألقىت عنك هذا الثوب » ، فقالت : « إن رسول الله - ﷺ - قال :
 إن سرِّك أن تُلقيني فلا تُلقيني ثوباً حتى ترقيعه ، ولا تدخرين طعاماً لشهر » (٢) .
 فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - أنكرت خطأ ما قاله جابر بن عبد الله ،
 وبينت الصحيح بما ثبت عندها من رسول الله - ﷺ .

١٥ - استدراكها على أبى طلحة - رضی الله عنه :

عدم دخول الملائكة بيتاً فيه صورة :

روى أبو طلحة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الملائكة
 لا تدخل بيتاً فيه كلب أو تمثال » .

فسئلت عائشة : هل سمعت رسول الله - ﷺ - ذكر ذلك ؟ قالت ، لا ،
 ولكن سأحدثكم بما رأيته فعل ... » (٣) الحديث .

فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - أنكرت أن يروى الحديث على صورته
 المطلقة ، وأخبرت عما رأته من رسول الله - ﷺ - من أنه كره الستر والتصاوير
 فيه .

وبينت أنه لا بأس من اتخاذ الثياب التي فيها تصاوير ؛ وسائد وغيرها مما فيه
 امتهان ، وبالتالي لا تدخل الملائكة البيت الذى فيه التصاوير التي ليست ممتهنة .

(١) السَّمَلُ : الخَلْقُ من الثياب .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى (٨/٨) . رقم (٧٠٠٦) .

(٣) س (الكبرى) : (١٤٣/٦) (٨١) كتاب عمل اليوم والليلة - (١٥٣) باب ما يقول لمن قفل

من غزواته . رقم (١٠٣٩٢) .

١٦ - استدرکها علی ابي الدرداء - رضی اللہ عنہ : من أصبح ولم یوتر :

خطب أبو الدرداء فقال : « من أدرك الصبح فلا وتر له » ، فذكر ذلك لعائشة ، فقالت : « كذب أبو الدرداء ، كان النبي - ﷺ - يصبح فيوتر » (١) .
 ترى السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - أن أبا الدرداء قد أخطأ في روايته للحديث ، فهو لم يرفع الحديث إلى رسول الله - ﷺ - وخالف الثابت من السنة التي تجيز صلاة الوتر بعد الأذان لصلاة الصبح .
 وسنين فيما بعد - إن شاء الله تعالى - أن الكذب هنا بمعنى الخطأ .

١٧ - استدراكها على شيبه بن عثمان - رضی اللہ عنہ : في بيع ثياب الكعبة :

دخل شيبه بن عثمان على عائشة ، فقال : « يا أم المؤمنين ! إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا ، فتكثر ، فنعمد إلى آبار فنحفرها ، فنعمقها ، ثم ندفع ثياب الكعبة فيها ، كيلا يلبسها الجنب والحائض » فقالت عائشة : « ما أحسنت ، وبئس ما صنعت ، إن ثياب الكعبة إذا نزعت منها لم يضرها أن يلبسها الجنب والحائض ، ولكن بعها واجعل ثمنها في المساكين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل » (٢) .

رفضت السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا - ما يقول الصحابي في شأن بيع ثياب الكعبة .

وفي ذلك ما يفهم أن ما ذهب إليه مخالف للسنة .

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٤٧٨/٢ - ٤٧٩) كتاب الصلاة - باب من أصبح ولم يوتر فليوتر ما بينه وبين أن يصلي الصبح .

(٢) المصدر السابق (١٥٩/٥) كتاب الحج - باب ما جاء في مال الكعبة وكسوتها .

١٨ - استدراكها على فاطمة بنت قيس - رضی الله عنها :
 فى السكنى للمبتوتة :

سئلت فاطمة بنت قيس عن قضاء رسول الله - ﷺ - فى السكنى والنفقة للمبتوتة، قالت : « فلم يجعل لى سكنى ولا نفقة » (١) .

ولقد عابت عائشة ذلك أشد العيب - يعنى حديث فاطمة - وقالت : « إنها كانت فى منزل وحش فخيف على ناحيتها ، فلذلك أرخص لها رسول الله - ﷺ » (٢) .

وفى رواية : قيل لعائشة : ألم ترى إلى قول فاطمة ؟ قالت : « أما إنه لا خير لها فى ذكر ذلك » (٣) .

(١) م : (١١١٧/٢) (١٨) كتاب الطلاق - (٦) باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها . رقم (٤٢) / ١٤٨٠ .

ت : (٤٣٢/٣) (٩) كتاب النكاح - (٣٨) باب ما جاء أن يخطب الرجل على خطبة أخيه . رقم (١١٣٥) ، (٤٧٥/٣) (١١) كتاب الطلاق - (٥) باب ما جاء فى المطلقة ثلاثاً لاشكى لها ولا نفقة . رقم (١١٨٠) .

س : (٢٠٨/٦ - ٢٠٩) (٢٧) كتاب الطلاق - (٧٠) باب الرخصة فى خروج المبتوتة من بيتها فى عدتها لسكناها . رقم (٣٥٤٨) .

(٢) خ : (٤١٨/٣) (٦٨) كتاب الطلاق . (٤١) باب قصة فاطمة بنت قيس ، وقوله ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَنحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا أَتَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضُوا لَهُنَّ أُخْرَى ﴿٦١﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِفُ اللَّهُ فَسَا إِلا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ رقم (٥٣٢٦ ، ٥٣٢٥) .

د : (٧١٨/٢) (٧) كتاب الطلاق - (٤٠) باب من أنكر ذلك على فاطمة بنت قيس . رقم (٢٢٩٢) .

(٣) م : (١٢٢٠/٢ - ١٢٢١) (١٨) كتاب الطلاق - (٦) باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها . رقم (١٤٨٢/٥٤ ، ١٤٨١/٥٢) .

د : (٧١٨/٢) (٧) كتاب الطلاق - (٤٠) باب من أنكر ذلك على فاطمة بنت قيس . رقم (٢٢٩٣) .

بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن فاطمة بنت قيس حدثت بالحديث على وجه العموم ، فى حين أنه كان رخصة لها ، فقد روته دون أن تبين ملابساته أو سببه .

١٩ - استدراكها على أزواج النبي - ﷺ :

الأنبياء لا يورثون :

روت عائشة قالت : إن أزواج النبي - ﷺ - حين توفى رسول الله - ﷺ - أردن أن يعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله - ﷺ - فقالت عائشة لهن : قد قال رسول الله - ﷺ - : « لا نورث ، ماتركناه صدقة » (١) .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - بينت خطأ أمهات المؤمنين - رضى الله عنهم - لمخالفتهن قول النبي - ﷺ - بأن الأنبياء لا يورثون .

٢٠ - استدراكها على بعض الصحابة - رضوان الله عليهم :

١ - المرأة لا تقطع الصلاة :

روى بعض الصحابة ، منهم أبو ذر وابن عباس : أن النبي - ﷺ - قال : « يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب ، وبقي ذلك مثل مؤخرزة الرّجل » (٢) . فقالت عائشة : « شبهتمونا بالحمير والكلاب ، والله لقد رأيت رسول الله -

(١) خ : (٤/٢٣٦ - ٢٣٧) (٨٥) كتاب الفرائض - (٣) باب قول النبي - ﷺ - لا نورث ، ماتركناه صدقة . رقم (٦٧٣٠) .

م : (٣/١٣٧٩) (٣٢) كتاب الجهاد والسير (١٦) باب قول النبي - ﷺ - « لا نورث ماتركناه صدقة » . رقم (١٧٥٨/٥١) .

الموطأ : (٢/٩٣٣) (٥٦) كتاب الكلام - (١٢) باب ماجاء فى تركة النبي - ﷺ - . رقم (٢٧) . مسند أحمد : (٦/٢٦٢) .

(٢) م : (١/٣٦٥ - ٣٦٦) (٤) كتاب الصلاة - (٥٠) باب قدر ما يستر المصلى . رقم (٥١١/٢٦٦) .

د : (١/٤٥٠) (٢) كتاب الصلاة - (١١٠) باب ما يقطع الصلاة . رقم (٧٠٢) .

ﷺ - يصلى وأنا على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لى الحاجة ، فأكره أن أجلس فأوذى رسول الله - ﷺ ، - ، فأنسل من عند رجله (١) .
 بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - خطأ ما رواه بعض الصحابة ، لمخالفته الثابت من سنة رسول الله - ﷺ .
 وقيل إن حديث هؤلاء الصحابة منسوخ ، وعليه فالسيدة عائشة بينت أن الراوى أخطأ فيما رواه لعدم علمه بنسخ الحديث .

٢ - الصلاة على الجنائز في المسجد :

أمرت عائشة أن يمر بجنائز سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلى عليها ، فأنكر الناس عليها ذلك ، فقالت : « ما أسرع مانسى الناس ، ماصلى رسول الله - ﷺ - على سهيل بن بيضاء إلا فى المسجد » (٢) .
 وفى رواية : « ما أسرع مانسى الناس أن يعيخوا ما لاعلم لهم به ، عابوا علينا أن يمر بجنائز فى المسجد ، ماصلى رسول الله - ﷺ - على سهيل بن بيضاء إلا فى جوف المسجد » (٣) .

(١) خ : (١/٧٠٠) (٨) كتاب الصلاة - (١٠٥) باب من قال : لا يقطع الصلاة شئ . رقم (٥١٤) .

م : (١/٣٦٦) (٤) كتاب الصلاة - (٥١) باب الاعتراض بين يدي المصلى . رقم (٢٧٠) / (٥١٢) .

(٢) م : (٢/٦٦٨) (١١) كتاب الجنائز - (٣٤) باب الصلاة على الجنائز فى المسجد . رقم (٩٧٣/٩٩) .

الموطأ : (١/٢٢٩) (١٦) كتاب الجنائز - (٨) باب الصلاة على الجنائز فى المسجد . رقم (٢٢) .
 د : (٣/٥٣٠) (١٥) كتاب الجنائز - (٥٤) باب الصلاة على الجنائز فى المسجد . رقم (٣١٨٩) .

ت : (٣/٣٤٢) (٨) كتاب الجنائز - (٤٤) باب ما جاء فى الصلاة على الميت فى المسجد ، رقم (١٠٣٣) .

س : (٤/٦٨) (٢١) كتاب الجنائز - (٧٠) الصلاة على الجنائز فى المسجد . رقم (١٩٦٧) .
 (٣) م : (٢/٦٦٨) (١١) كتاب الجنائز - (٣٤) باب الصلاة على الجنائز فى المسجد . رقم (٩٧٣/٩٩) .

بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - نسيان بعض الصحابة - رضوان الله عليهم ، فأدوا الحديث على غير وجهه الصحيح بإنكارهم الصلاة على الجنابة في المسجد .

٣ - تحريم المتعة :

سئلت عائشة عن المتعة فقالت : « بيني وبينكم كتاب الله ، وقرأت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١﴾ » (١) فممن ابتغى وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا » (٢) .

فالسيدة عائشة - رضی الله عنها - بينت خطأ من يفتون بحل المتعة ؛ لعدم علمهم بنسخه ، وذكرت الحكم من القرآن الكريم بتحريم نكاح السعة .

٤ - البول قائماً :

قالت عائشة : « من حدثكم أن النبي - ﷺ - كان يبول قائماً فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا قاعداً » (٣) .

حكى السيدة عائشة - رضی الله عنها - ما رآته من رسول الله - ﷺ - منكرة ما رواه بعض الصحابة من بول الرسول - ﷺ - قائماً .

٥ - صلاة الضحى :

قالت عائشة : « ما رأيت رسول الله - ﷺ - سبحة الضحى ؛ وإنى لأسبحها » . وقالت : « ما أحدث الناس شيئاً أحب إليّ منهما » (٤) .

(١) سورة المؤمنون : الآيات رقم (٥ - ٧) .

(٢) المستدرک (٣٠٥/٢) كتاب التفسير .

(٣) ت : (١٧/١ - ١٨) أبواب الطهارة (٨) باب ما جاء في النهي عن البول قائماً . رقم (١٢) .

س : (٢٦/١) (١) كتاب الطهارة (٢٥) البول في البيت جالساً . رقم (٢٩) .

ج : (١١٢/١) (١) كتاب الطهارة وسننها (١٤) باب في البول قاعداً . رقم (٣٠٧) .

(٤) خ : (٣٦٤/١) (١٩) كتاب التهجد - (٣٢) باب من لم يصل الضحى ورأه واسعاً ، رقم

تنفى السيدة عائشة - رضى الله عنها - ما أحدثه الناس من المداومة على صلاة الضحى ، واعتبارها من السنن الراتبة .

٦ - غسل الجمعة :

روت عائشة : « كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم من العوالى ، فيأتون فى الغبار ، ويصيبهم الغبار والعرق ؛ فيخرج منهم الريح ، فأتى رسول الله - ﷺ - إنساناً منهم وهو عندى ، فقال : « لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا » (١) .
 بينت السيدة عائشة - رضى الله عنها - السنة المطهرة ، وأن الغسل ليس بواجب ، كما يفتى به بعض الصحابة .

٧ - الاستنجاء بالماء :

قالت عائشة لسنوة عندها : « مُرُون أزواجكن أن يغسلوا عنهن أثر الغائط والبول ؛ فإنى أستحيهن ، وإن رسول الله - ﷺ - كان يفعله » .
 ورؤى عن حذيفة : أنه أنكر الاستنجاء بالماء ، وقال : « لو فعلته لأنتنت يدي » (٢) .

وقال سعيد المسيب : « إنما ذلك وضوء النساء » .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - أوضحت ماتعلمته من سنة رسول الله - ﷺ - من أن الاستنجاء بالماء أفضل .

= السنن الكبرى للبيهقى : (٤٩/٣) كتاب الصلاة - باب ذكر الحديث الذى روى فى ترك النبى - ﷺ - صلاة الضحى ، وأن المراد به أنه كان لا يداوم عليها .

(١) (٢٨٦/١ - ٢٨٧) (١١) كتاب الجمعة (١٥) باب من أين تؤتى الجمعة ، وعلى من

تجب ؟ . رقم (٩٠٢) .

م : (٥٨١/٢) (٧) كتاب الجمعة (١) باب وجوب غسل على كل بالغ من الرجال . وبيان

مأمروا به . رقم (٨٤٧/٦) .

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥٤/١) كتاب الطهارات .

٨ - الوصية إلى علي - رضی الله عنه - :

ذكروا عند عائشة أن عليًا كان وصيًا ، فقالت : « متى أوصى إليه ؟ فقد كنت مسندته إلى صدرى (أو قالت حجرى) فدعا بالطست فى حجرى ، وما شعرت أنه مات ، فمتى أوصى إليه ؟ » (١) .

ردت السيدة عائشة - رضی الله عنها - ما ذكر عندها بما علمته من سنة رسول الله - ﷺ - الصحيحة ، من أنه - ﷺ - لم يوص لأحد .

٩ - صيام النبى - ﷺ - لعشر ذى الحجة :

قال بعض أزواج النبى - ﷺ - : « كان النبى - ﷺ - يصوم لتسع ذى الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وأول اثنين من الشهر والخميس » (٢) .

قالت عائشة : « ما رأيت رسول الله - ﷺ - صائمًا العشر قط » (٣) .
 وفى رواية : « لم يُر رسول الله - ﷺ - صائمًا العشر قط » .
 بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - ما ثبت عندها من سنة رسول الله - ﷺ - من أنه لم يصم العشر لذى الحجة قط .

* * *

(١) الإجابة (ص : ٧٦ - ٧٧) .

(٢) د : (٢ / ٨١٥) (٨) كتاب الصوم - (٦١) باب فى صوم العشر . رقم (٢٤٣٧) .

س : (٤ / ٢٢٠) (٢٢١) (٢٢) كتاب الصوم - (٨٢) كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر . رقم (٢٤١٧ - ٢٤١٨) .

(٣) د : (٢ / ٨١٦) (٨) كتاب الصوم - (٦٢) باب فى فطر العشر . رقم (٢٤٣٩) ؟

الفصل الثالث

توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث متونها

اهتمت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بالتوثيق الداخلى للحديث بالنظر إلى متنه والتأمل فيه ، وكونه ملائمًا لأن يصدر عن رسول الله - ﷺ - ؛ وذلك من خلال عرضه على النصوص والمبادئ الإسلامية ؛ للوقوف على مدى ملاءمته أو معارضته لها .

ومن هنا نشأ ما يعرف بالنقد الداخلى أو نقد المتون ؛ حيث ترى - رضى الله عنها - أن فى بعض هذه المتون التى رواها الصحابة - رضوان الله عليهم - خطأ ما ، ولم تصدر عن رسول الله - ﷺ - على هذا النحو .

وبذلك عملت السيدة عائشة مع بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - على وضع أسس ومقاييس فى النقد الداخلى ، تحفظ السنة من التحريف أو الوضع . وكانت فى توثيقها لمتون السنة تعتمد على مقاييس ثابتة لم تحد عنها ، تلك المقاييس قد رجعت بكثير من الصحابة إلى الصواب ، فيما أخطأوا أو نسوا فيه ، بالإضافة إلى أنها قد مهدت الطريق لمن أتى بعدها ، فقد وضعت البذور للضوابط والمقاييس التى توثقت السنة بها ، وتخلصت من الدخيل الذى علق بها ، عن قصد ، أو عن غير قصد .

وقد كان نظر السيدة عائشة - رضى الله عنها - فى متن الحديث - ملازمًا لنظرها فى عدالة الرواة وضبطهم ، فصار جهدها فى توثيق السنة شاملًا لجميع جوانبها ضابطًا لها .

وكانت - رضى الله عنها - فى نقدها لمتون السنة لا تكتفى ببيان خطئها ، وإنما كانت تبيّن الصواب .

وباستقراء استدراعاتها على الصحابة - رضوان الله عليهم - يتبين أن المقاييس التى اعتمدها فى توثيقها لمتون السنة هى :

- (١) عرض السنة على القرآن الكريم .
 (٢) عرض السنة على السنة المطهرة الثابتة التي تأكدت من ثبوتها .
 (٣) عرض السنة على القياس وعلى المبادئ الإسلامية .
 وسنبين في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - تطبيقات على هذا النوع من التوثيق كأمثلة ، وسيرد تفصيلها في باب تالي - إن شاء الله تعالى .

(١) مقياس عرض السنة على القرآن الكريم :

أنكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - ما رواه بعض الصحابة ؛ لأنها ترى أن رواياتهم تخالف ما جاء في القرآن الكريم .
 بمعنى أنها تعرض الحديث على كتاب الله - عز وجل - ، فما وافق منه القرآن قبلته ولم تتعرض له بالإنكار ، وما خالفه رفضته ، وأنكرت كونه صادرًا من رسول الله - ﷺ ؛ لأن حديثه - ﷺ - لا يتعارض مع القرآن الكريم .
 ولم تكن السيدة عائشة تكتفى ببيان مخالفة الرواية للقرآن الكريم ، وإنما كانت تبين الصواب فيها ، وكيف جاء الخطأ مما نتج عنه المخالفة مع القرآن الكريم .

والآن مع أمثلة لتطبيق مقياس عرض السنة على القرآن الكريم سبيلًا إلى توثيقها ، وتمييز ما وقع في بعضها من خطأ ، مما يكون له الأثر في توثيق السنة .

١ - ففي مسألة الرؤية ، أنكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن يكون النبي - ﷺ - قد رأى ربه .

واحتكمت في رفضها لما روى بعض الصحابة إلى القرآن الكريم ، في أن رؤية الله - عز وجل - ممتنعة من المؤمنين في الدنيا ، وتلت قول الله تعالى :
 ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ .

وكانت في استنادها إلى كتاب الله عز وجل - تهدف إلى توثيق سنة نبيه - ﷺ .

٥ - وفي قضية سماع أهل القبور لمن يخاطبونهم أنكرت السيدة عائشة ماروى عن الرسول - ﷺ - من أنه خاطب أهل قليب بدر من المشركين ، وأنهم يسمعونه - أنكرته ؛ لأنه فى رأيها يخالف القرآن الكريم .

وقد احتكمت إلى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْنَ ﴾ .
 ٦ - وفى إنكارها لما روى من أن رسول الله - ﷺ - قال : الشؤم فى ثلاثة ؛ فى الدار ، والمرأة ، والفرس احتكمت إلى مخالفته للقرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ .

والأمثلة على ذلك كثيرة سنتناولها فى الدراسة التطبيقية - إن شاء الله تعالى .
 وهكذا استعملت السيدة عائشة - رضى الله عنها - مقياس عرض القرآن على السنة لتعديل الرواية وتوثيقها .

ولم تكن السيدة عائشة بدعاً فى ذلك ، وإنما هناك من الصحابة من سار على نفس المنهج فى توثيق متون السنة .
 فمثلاً نرى ابن عباس يستعمل هذا المقياس نفسه فى توثيق السنة .
 ومن أمثلة ذلك .

١ - فى نكاح المتعة ذهب ابن عباس إلى جوازه ، وتبعه فى ذلك أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن ، واستدل ابن عباس بالقرآن الكريم ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ ^(١) ، وروى فى قراءة عنه زيادة ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ ^(٢) .

فهو قد عرض ماروى من الحديث فى المتعة على القرآن الكريم ، وكان الأحاديث التى رويت فى نسخ نكاح المتعة لم تصح عنده ^(٣) .

(١) سورة المؤمنون الآيتان (٥ ، ٦) .

(٢) بداية المجتهد (٤٨/٢) .

(٣) وقد رجح بعض العلماء أنه رجع عن رأيه فى المتعة إلى رأى الجمهور ، ومن هؤلاء =

وابن عباس وإن كان يخالف السيدة عائشة وجمهور المسلمين في تحريمهم
 لنكاح المتعة ، إلا أن الذي يجمعهما هو وحدة المنهج في إثبات يريانه ، إذ
 كلاهما يعرض السنة على القرآن الكريم .

٢ - وفي مسألة تحريم أكل الحمر الأهلية عرض ابن عباس - رضى الله عنه
 - السنة على القرآن الكريم ، فقد ذهب إلى أنهما حلال ، واستدل بالآية الكريمة :
 ﴿ قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ
 دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ .
 وهو في ذلك يهدف إلى توثيق السنة عن طريق عرضها على القرآن الكريم .

* * *

= الترمذى ، حيث قال (وإنما روى عن ابن عباس شىء من الرخصة فى المتعة ، ثم رجع عن قوله) ،
 ثم روى عن ابن عباس قال : (إنما المتعة فى أول الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة ،
 فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه مقيم ، فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه ، حتى إذا نزلت الآية : ﴿ إِلَّا عَلَى
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ ، قال ابن عباس : فكل فرج سوى هذين حرام) (جامع الترمذى
 . (٤٣٠/٣) .

وروى عنه أنه قال : (ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد ، ولولا نهى محمد
 عنها ما اضطر إلى الزنا إلا شقى) ، (بداية المجتهد ٤٨/٢) .

(٢) مقياس عرض السنة على السنة :

استخدمت السيدة عائشة - رضى الله عنها - مقياساً آخر لتوثيق السنة ، وبيان صحيحها من غير صحيحها ، وهو مقياس عرض السنة على السنة التي سمعتها من رسول الله - ﷺ - أو على ما رآته منه - ﷺ .
 وفى هذا المقياس يتبين لنا شدة وعى وحفظ السيدة عائشة لكل ماصدر عن الرسول - ﷺ - إلى جانب حرصها على رد كل ما يخالف ما هو موثوق به عندها .

وقد استطاعت السيدة عائشة بجهدتها فى هذا المجال أن تصحح ما وقع من خطأ فى روايات بعض الصحابة ، وتردهم إلى الصواب ، حافظه بذلك السنة مما وقع فيها من أخطاء أو أوهام أو نسيان .

والأمثلة على هذا المقياس كثيرة ، وكلها تبين جهود السيدة عائشة فى توثيق متون السنة من خلال عرضها على السنة الثابتة ، ولكن يجدر بنا أولاً أن نبين أن السيدة عائشة فى تطبيقها للمقياس الأول - وهو عرض السنة على القرآن - كانت تضم إلى فهمها مخالفة الرواية للقرآن ما عندها مما سمعته ، أو علمته من رسول الله - ﷺ - مما يخالف هذه الرواية التى تخالف القرآن الكريم .

ومن الأمثلة على مقياس عرض السنة على القرآن والسنة معاً :

١ - إنكارها ما يروى عن رسول الله - ﷺ - من أنه رأى ربه ، واستندت إلى القرآن الكريم - كما سبق .

كما استندت فى حكمها إلى السنة ؛ لتبين مخالفة ما يروى لها .

وقالت : « أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - ، فقال : « إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض » .

٢ - وفى رواية : « إن الميت ليعذب بكاء أهله عليه » ، بينت أنها رويت على وجه العموم مما جعلها تخالف القرآن وتخالف السنة .

وقد بينت مخالفتها للقرآن الكريم - كما سبق .

أما مخالفتها للسنة التي عندها ، فقد وضحت أن الحديث لم يصدر عن رسول الله - ﷺ - على وجه العموم ، وإنما صدر في مخصوصين هم اليهود . كما بينت أن تعذيبهم لم يكن بسبب البكاء عليهم ، وإنما بسبب ذنوبهم . وقالت في ردها على هذه الرواية : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن - أي ابن عمر - أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مر رسول الله - ﷺ - على يهودية يُكَيِّ عليها ، فقال : إنهم سيكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها » . وفي رواية : « يرحم الله أبا عبد الرحمن ، سمع شيئاً فلم يحفظ إنما مرت على رسول الله - ﷺ - جنازة يهودى ، وهم سيكون عليها ، فقال : « إنهم سيكون ، وإنه ليعذب » .

٣ - وفي إنكارها ما وراه بعض الصحابة من أن « ولد الزنا شر الثلاثة » ، احتكمت إلى القرآن الكريم ، لورود الرواية على وجه العموم - كما سبق . كما أنها - رضی الله عنها - احتكمت إلى السنة ؛ حيث قالت : « رحم الله أبا هريرة ، أساء سمعاً فأساء إجابة ، أما قوله : « ولد الزنا شر الثلاثة » ، فلم يكن الحديث على هذا ، إنما كان رجل من المنافقين يؤذى رسول - ﷺ - فقال : من يعذرني من فلان ؟ فقيل : يارسول الله إنه مع ما به ولد زنا ، فقال : هو شر الثلاثة .

٤ - وفي رواية قصة أهل القليب أنكرت صدورها عن رسول الله - ﷺ - لمخالفتها للقرآن الكريم - كما سبق .

كما أنها احتكمت إلى السنة ، فوجدت أن ماعندها من سنة رسول الله - ﷺ - مخالف لتلك الرواية .

وقالت : « إنما قال رسول الله - ﷺ - : إنهم ليعلمون الآن أن ماكنت أقول حق » .

٥ - وفي إنكارها لرواية « الشؤم في ثلاثة ؛ في الدار ، والمرأة ، والفرس » احتكمت إلى مخالفتها للقرآن الكريم - كما سبق .

وقد احتكمت أيضاً إلى السنة ، فقالت : « لم يحفظ أبو هريرة ، إنه دخل

ورسول الله - ﷺ - يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون : الشؤم في ثلاثة ؛ في الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر للحديث ، ولم يسمع أوله » .

وفي رواية : « ولكن كان نبي الله - ﷺ - يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدابة والدار » .

أما الأمثلة التي تبين مقياس عرض السنة على السنة فقط فهي كثيرة ، سنعرض لبعض منها ، لإبراز جهود السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا في توثيق السنة .

٦ - ففي إنكار السيدة عائشة ماروي من أن امرأة عذبت من جرّى هرة ، احتكمت إلى علمها من السنة أن المرأة « كانت كافرة » ، فكان دخولها النار بسبب كفرها وتعذيبها للهرة .

وقالت في ردها : « المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جرّى هرة - أي إن المرأة مع ذلك كانت كافرة - يا أبا هريرة ، إذا حدثت عن رسول الله - ﷺ - فانظر كيف تحدث » .

٧ - وفي ردها على سؤال عمر بن الخطاب في رواية : « الماء من الماء » أنكرت ما قيل بما علمته من سنة رسول الله - ﷺ - فكانها عرضت ما زوى على السنة التي عندها ، فوجدته مخالفاً لها ، فرفضته وصححته .

وقالت : « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل » .

وقد سلم لها عمر والصحابة - رضوان الله عليهم - بما قالت ؛ لأنه أعلم بذلك منهم . وفي ذلك توثيق لسنة رسول الله - ﷺ .

٨ - وفي إنكارها على بعض الصحابة أنهم نهوا عن صلاة النافلة بعد العصر احتكمت إلى السنة التي رأتها من رسول الله - ﷺ .

فقالت في ردها على عمر بن الخطاب : « وهم عمر ، إنما نهى رسول الله - ﷺ - أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها » .

وفي رواية قالت : « ماترك رسول الله - ﷺ - ركعتين بعد صلاة العصر عندي قط » .

كل ذلك يدل على يقظتها ووعيتها لما يصدر عن رسول الله - ﷺ ، مما يمكنها من القيام بدور التصحيح توثيقاً للسنة .

٩ - وفي مسألة قطع المرأة للصلاة بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن المرأة لا تقطع الصلاة ، واستندت في حكمها للسنة ، التي وجدت ما فيها يتعارض مع ما روى ، فأنكرته بما فعلته مع رسول الله - ﷺ - من أنه - ﷺ - كان يصلى وهي معترضة في قبلته ، فإذا سجد غمزها ؛ لتوسع له المكان كي يسجد .

وقالت : « والله لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يصلى وإنى على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة ، فتبدو لى الحاجة ، فأكره أن أجلس فأوذى رسول الله - ﷺ - فأنسل من عند رجليه » .

وهى فى ذلك تهدف إلى توثيق سنة رسول الله - ﷺ - وبيان لصحتها من غيره .

١٠ - وفى ردها على من يرى أن السعى بين الصفا والمروة غير واجب احتكمت إلى السنة ، لتبين الفهم غير الصحيح لمراد الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ .

وقد بينت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أن الطواف بين الصفا والمروة واجب بالسنة التى بينها سبب نزول الآية ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية .

وقالت فى ردها على عروة بن الزبير : « بئس ماقلت يا ابن أختى ، طاف رسول الله - ﷺ - وطاف المسلمون فكانت سنة » .

وقالت : « وقد سن رسول الله - ﷺ - الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما » .

ولولا توضيحها - رضی الله عنها - وإثباتها لسنة رسول الله - ﷺ - لفهمت الآية على غير وجهها الصحيح .

١١ - وفي مسألة إنكارها على بعض الصحابة أنه حدث : من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر ، ردت ذلك بالسنة التي تعارض ما قد روى عن رسول الله - ﷺ .

وقالت : « ليس كما قال ابن عباس : أنا فلتت فلتاً هدى رسول الله - ﷺ - بيدي ، ثم قلدها رسول الله بيده ، ثم بعث بها مع أبي ، فلم يحرم على رسول الله - ﷺ - شيء أحله الله له حتى نحر الهدى » .

فهي في ذلك تحتكم إلى ما علمته مشاهدة عن رسول الله - ﷺ .
 وفي قراءة من قرأ ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ مخففة ، ردت السيدة عائشة تلك القراءة بقراءة علمتها من رسول الله - ﷺ - وفي ذلك تحكيم لسنة النبي - ﷺ .

فهي ترى أن ظاهر قراءة التخفيف يقتضي أن الرسل ظنوا أن ما جاءهم من الرسالة كذب ولا أساس له ، أي شكوا فيما جاءهم من الوحي ، وهذا غير جائز على الرسل ، لذا تمسكت بقراءة التشديد ، أي ظنوا أنهم كذبهم قومهم الذين آمنوا بهم من قبل .

وقد استعمل ابن عباس - رضي الله عنه - المقياس نفسه في توثيق السنة ، وهو مقياس عرض السنة على السنة .
 ومن أمثلة ذلك :

في مسألة قطع المرأة للصلاة يذهب ابن عباس إلى ما ذهبت إليه السيدة عائشة من إنكارها ما قيل في قطع المرأة للصلاة ، وتسويتها بالحمار والكلب في ذلك .
 وقد روى عن ابن عباس قال : « كنت رديف الفضل على أتان ، فجئنا والنبي - ﷺ - يصلي بأصحابه بمنى ، قال : فنزلنا عنها ، فوصلنا الصف ، فمرت بين أيديهم فلم تقطع صلاتهم .

فهو قد عرض ما جاء في السنة على السنة التي علمها ، والتي جاء فيها أنه لا يقطع الصلاة شيء . وفي ذلك تطبيق للمقياس نفسه الذي طبقته السيدة عائشة في توثيقها لمتن الحديث .

(٣) مقياس عرض السنة على القياس ، وعلى الأصول الإسلامية :

لم تكتف السيدة عائشة - رضى الله عنها - فى توثيقها لمتون السنة بتطبيق مقياس عرض السنة على القرآن وعلى السنة ، بل امتد إلى عرض السنة على القياس وعلى الأصول ، وتصدر أحكامها بناء على ذلك .

ومن الأمثلة على هذا المقياس :

١ - فى مسألة إنكارها على بعض الصحابة أنه حدث أن امرأة عذبت من جوى هرة ، ردت ذلك بالسنة - كما سبق .

كما أنها رضى الله عنها لجأت إلى بعض الأصول الإسلامية التى تقول : إن المؤمن بما له من رصيد الإيمان ، والعمل الصالح يكون أكرم بهما عند الله من أن يعذبه من أجل حبس هرة .

وقالت فى ردها على أبى هريرة : « المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جرى هرة » .

٢ - وفى إنكارها على من روى بقطع المرأة للصلاة احتكمت السيدة عائشة إلى السنة - كما سبق .

كما أنها عرضت السنة على القياس ، فقااست حال مرور المرأة أمام المصلى بحالة اعتراضها فى قبلة الرسول - ﷺ .

كما أنها احتكمت فى هذه المسألة إلى الأصول الإسلامية التى تعطى للمرأة كرامتها ، وذلك يتنافى فى كونها تقترن بالكلب والحمار فى أن ثلاثهم يقطعون الصلاة .

فقد قالت : « قد شبهتمونا بالحمير والكلاب » .

وفى رواية عنها : « بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار » .

٣ - وفى مسألة الوضوء من حمل الجنابة ، استندت السيدة عائشة - رضى الله عنها - إلى الأصول الإسلامية ، والتى منها أن المؤمن لا ينجس ، وهو حديث عن رسول الله - ﷺ .

ثم استندت بعد ذلك إلى القياس ، فالميت في نظرها كالعود الجاف ، وإذا كان حمل العود الجاف لا ينقض الوضوء ، فكذلك حمل الميت .

وقالت في ردها : « أوتجس موتى المسلمين ، وما على رجل لو حمل عودًا » .
 ٤ - وفي إنكارها على من نهى عن سفر المرأة بدون محرم لجأت إلى القياس اجتهدًا منها - رضى الله عنها - حيث ألحقت حالة الحج مثلًا بحالة الزاد والراحلة ، فيجب عليها الحج ، لأن رسول الله - ﷺ - سئل عن الاستطاعة في الحج ؟ فقال : الزاد والراحلة .

لهذا نقل عنها أن المرأة تسافر للحج بدون محرم إذا كانت مع نسوة ثقات .
 وقد استعمل ابن عباس - رضى الله عنه - أيضا مقياس عرض السنة على القياس سبيلًا إلى توثيق السنة .
 ومن أمثلة ذلك :

١ - في مسألة نقض الوضوء بأكل ما مست النار ، رد ابن عباس - رضى الله عنه - الحديث الوارد في ذلك بالقياس .

وقد قال لأبي هريرة : « يا أبا هريرة أنتوضأ من الدهن ؟ أنتوضأ من الحميم ؟! » .
 وهو في هذه المسألة قد عرض ما روى عن رسول الله - ﷺ - على كتاب الله عز وجل - لتوثيق السنة المطهرة .

٢ - وفي مسألة « من غسل ميتًا اغتسل ، ومن حملة توضأ » أنكر ابن عباس ذلك ، واحتكم في إنكاره إلى القياس .

فقد قاس ذلك على غير الجسد الميت ، مما يحمل فلا ينقض الوضوء .
 وقال في رده : « لا يلزمننا الوضوء من حمل عيدان يابسة » ^(١) .

وقد طبق ابن عباس نفس المقياس الذى طبقته السيدة عائشة على هذه المسألة ، وهى عرض السنة على القياس .

(١) الاتجاهات الفقهية ومصادره ص (١١٤) .

البَابُ الثَّالِثُ

دراسة مقارنة للموضوعات التي استدركتها
 السيدة عائشة على الصحابة

الفصل الأول : مقياس عرض السنة على القرآن الكريم
 الفصل الثاني : مقياس عرض السنة على السنة
 الفصل الثالث : مقياس عرض السنة على القياس والأصول الإسلامية



الفصل الأول

مقياس عرض السنة على القرآن الكريم

تَمَثَّل توثيق السيدة عائشة للسنة في نقدها للمرويات التي كان يرويها الصحابة ، والتي كانت ترى فيها أخطاء ، ورواية لها على غير وجهها الصحيح ، وكان هذا النقد يتمثل في جانبين :

الجانب الأول : نقد الرواة الذين نقلوا السنة عن رسول الله - ﷺ ، وذلك كان منها ومن غيرها نواة لنقد الأسانيد التي تكونت فيما بعد ، وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي .

والجانب الثاني : نقد المتون أو النقد الداخلي ، حيث ترى أن في بعض هذه المتون خللاً ما ، ولم تصدر عن رسول الله - ﷺ - بهذا الخلل .

السنة لا تتعارض مع القرآن الكريم :

ترى السيدة عائشة - رضوان الله عليها - كما يرى غيرها من علماء الصحابة ومن بعدهم ، أن السنة لا تتعارض مع القرآن الكريم ، وإنما هي بيان له ، كما قال ربنا عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية رقم : ٤٤] .

وترى أنه إذا جاءت مرويات فيها معارضة للقرآن الكريم - فإن فيها الخلل الذي نتج عن الخطأ أو النسيان ، أو غير ذلك .
 على أنه ينبغي أن تنتبه إلى أمرين :

الأمر الأول : أنها لم تر شيئاً من الكذب على رسول الله - ﷺ - وهذا طبعى ؛ لأن الصحابة عدول بتعديل الله عز وجل لهم ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١٠٠] .

الأمر الثاني : أن هذا النقد يمثل وجهة نظرها هي ، فعندما توجه نقداً إلى أحد الصحابة ، وترى أن هناك خطأ ، نرى في كثير من الأحيان وجهة النظر

الأخرى قوية وصحيحة ، وأن الأمر لا يخلو من وجهات ، أو أن الأمر لا يعدو أن يكون أمر اختلاف روايات يمكن الجمع بينها ، والكل صحيح .
 لكننا فى النهاية نجنى أسسًا وقواعد فى النقد الداخلى والخارجى فى نقد السنة وتوثيقها وتمييز صحيحها من ضعيفها ، أو موضوعها .
 وستناول فى هذا الفصل الأمثلة التى استعملت فيها السيدة عائشة مقياس عرض السنة على القرآن الكريم ، فما اختلف منها مع القرآن الكريم رفضته .
 وهذا بالتالى يؤدى إلى أنها سكنت عن المرويات الكثيرة التى رأت أنها لا تتعارض مع القرآن الكريم ، سواء أكانت بيانًا له ، أو أتت بجديد لا يختلف معه .

ونعيش الآن مع الأمثلة التى استعملت السيدة عائشة رضى الله عنها فيها هذا المقياس :

١ - لا يُعَذَّبُ الميت ببيكاء أهله عليه :

روى البخارى ومسلم بسنديهما ^(١) عن ابن أبى مليكة قال « توفيت ابنة لعثمان رضى الله عنه بمكة ، وجئنا لنشهدها ، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم ، وإنى لجالس بينهما - أو قال : جلست إلى أحدهما ، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبى - فقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لعمر بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء ؟ فإن رسول الله - ﷺ - قال : إن الميت ليعذب ببيكاء أهله عليه . »

« فقال ابن عباس رضى الله عنهما : قد كان عمر رضى الله عنه يقول ذلك ثم حَدَّثَ قال : صدرت مع عمر رضى الله عنه من مكة ، حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سَمُرَةٍ ، فقال : اذهب فانظر من هؤلاء الركب . قال :

(١) خ (٣٩٧/١) (٢٣) باب قول النبى - ﷺ - : يعذب الميت ببيكاء أهله عليه .

رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨

م : (٦٤١/٢ - ٦٤٢) (١١) كتاب الجنائز (٩) باب الميت يعذب ببيكاء أهله عليه .

رقم ٩٢٨/٢٣

فنظرت فإذا صهيب ، فأخبرته فقال : اذعُهُ لى . فرجعت إلى صهيب فقلت : ارتحل فالحق بأمر المؤمنين . فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكى يقول : وأخاه واصحابه . فقال عمر رضى الله عنه : يا صهيب أتبكى علىّ وقد قال رسول الله ﷺ إِنَّ الْمَيِّتَ يَعَذَّبُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ؟ » .

قال ابن عباس رضى الله عنهما « فلما مات عمر رضى الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فقالت : رحم الله عمر ، والله ما حدث رسول الله ﷺ - أن الله ليُعَذَّبُ المؤمن بيكاء أهله عليه ، ولكن رسول الله ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ لِيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، وقالت : حسبكم القرآن ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [سورة فاطر : ١٨] .

وفى رواية : « إنكم لتحدثونى عن غير كاذبين ولا مُكذِّبين ، ولكن السمع يخطيء » (١) .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - رأت أن هناك خطأ فى هذه الرواية ، وليس الحديث عامًّا كما روى عن عمر - رضى الله عنه - بحيث يشمل المؤمن وغيره .

واستندت فى هذا إلى علمها بما قال - ﷺ - فى هذا الشأن ، وهذا ما سنتناوله فى الفصل الثانى .

واستندت كذلك ، وهذا هو الأهم هنا ، إلى معارضة الحديث للقرآن الكريم ، إذ هى ترى أنه ما ذنب الميت فى أن يبكى أهله عليه ، فيعذب بسبب ذلك ، وهو لم يرتكب فى هذا ما يعاقب عليه ؟ .

ولهذا قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - : حسبكم القرآن ، وتلت الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

فالرواية فى رأيها تخالف هذه الآية الكريمة ؛ لأنه معنى أن يعذب الميت بيكاء أهله عليه أنه يعاقب على ذنب لم يرتكبه ، وهو بكاء أهله عليه ، ولكن الحديث إنما هو فى كافر يبكى أهله عليه وهو يعذب .

(١) م : فى الكتاب والباب السابقين رقم (٩٢٩)

قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « أنتم تبكون وإنه ليعذب » (١) .
 والفائدة الكبرى التي استفدناها من هذا أنها أرست مع بعض الصحابة -
 رضوان الله عليهم - « مقياس عرض السنة على القرآن الكريم » فما توافق معه
 قبلته ، وما تعارض معه رفضته وصححته .

وهذا سيكون له الأثر الكبير عند الفقهاء والمحدثين .

على أنه إنصافاً للحق ، ودرءاً للوهم الذي قد يتوهمه البعض ، وهو أن عمر
 وابنه أخطأ في هذا المجال - أن نعرض لوجهة النظر الأخرى التي ترى أن عمر
 وابنه لم يخطئا .

قال القرطبي - رحمه الله - : إنكار عائشة ذلك وحكمها على الراوى
 بالتخطئة أو النسيان ، أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد ؛ لأن الرواة
 لهذا المعنى من الصحابة كثيرون ، وهم جازمون فلا وجه للنفي ، مع إمكان حمله
 على محمل صحيح ، ومن هؤلاء عمر ، وابن عمر ، والمغيرة بن شعبة ، وقيلة
 بنت مخزومة (٢) .

قال ابن حجر : وقد جمع كثير من أهل العلم بين حديثي عمر وعائشة
 بضروب من الجمع . ثم أفاض في ضروب هذا الجمع (٣) .

(١) م (٦٤٢/٢) في الكتاب والباب السابقين رقم ٩٣١/٢٥

(٢) المفهم ، (٥٨١/٢) .

(٣) فصل ابن حجر ذلك ، فقال في فتح الباري (٣/١٨٤ - ١٨٥) بعد أن ذكر أن من ضروب
 الجمع أن ذلك خاص بالكافر وثانيها : أنه يعذب إذا أوصى أهله بذلك ، وبه قال المزني وإبراهيم الحري
 وآخرون من الشافعية وغيرهم حتى قال أبو الليث السمرقندي : إنه قول عامة أهل العلم ، وكذا نقله
 النووي عن الجمهور قالوا : وكان معروفاً للقضاء حتى قال طرفة بن العبد :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

واعترض بأن التعذيب بسبب الوصية يستحق بمجرد صدور الوصية ، والحديث دال على أنه إنما
 يقع عند وقوع الامتثال . والجواب أنه ليس في السياق حصر ، فلا يلزم من وقوعه عند الامتثال أن
 لا يقع إذا لم يمتثلوا مثلاً .

ثالثها يقع ذلك أيضاً لمن أهمل نهى أهله عن ذلك ، وهو قول داود وطائفة . =

وقد قرر البخارى عندما تعرض لهذا الحديث من أول وهلة الجمع بين
 الحديثين وأن كليهما صحيح ، ولكن ليسا على عمومهما ، فحديث عمر إنما هو

= قال ابن المرباط : إذا علم المرء بما جاء فى النهى عن النوح وعرف أن أهله من شأنهم ذلك ولم يعلمهم
 بتحريمه ولا زجرهم عن تعاطيه فإذا عذب على ذلك عذب بفعل نفسه لا بفعل غيره .

رابعها معنى قوله « يعذب ببيكاء أهله » أى بنظير ما يكيه أهله به ، وذلك أن الأفعال التى يعددون
 بها عليه غالبًا تكون من الأمور المنهية فهم يمدحونه بها وهو يعذب بصنيعه ذلك وهو عين ما يمدحونه
 به ، وهذا اختيار ابن حزم وطائفة ، واستدل له بحديث ابن عمر فى قصة موت إبراهيم ابن النبى ﷺ
 وفيه « ولكن يعذب بهذا ، وأشار إلى لسانه » قال ابن حزم : فصح أن البكاء الذى يعذب به الإنسان
 ما كان منه باللسان ؛ إذ يندبونه برياسته التى جار فيها ، وشجاعته التى صرفها فى غير طاعة الله ،
 وجوده الذى لم يضعه فى الحق ، فأهله ييكون عليه بهذه المفاخر ، وهو يعذب بذلك .

وقال الإسماعيلي : كثر كلام العلماء فى هذه المسألة ، وقال كل مجتهد على حسب ما قدر له ،
 ومن أحسن من حضرني وجه لم أرهم ذكروه ، وهو أنهم كانوا فى الجاهلية يغيرون ويسبون ويقتلون ،
 وكان أحدهم إذا مات بكنهه باكيته على تلك الأفعال المحرمة ، فمعنى الخبر أن الميت يعذب بذلك الذى
 يكي عليه أهله به ؛ لأن الميت يندب بأحسن أفعاله ، وكانت محاسن أفعاله ماذكر ، وهى زيادة ذنب
 فى ذنوبه يستحق العذاب عليه .

خامسها معنى التعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله به كما روى أحمد من حديث أبى موسى
 مرفوعًا « الميت يعذب ببيكاء الحى ، إذا قالت النائحة : واعضدها واناصراه واكاسياه ، جبد الميت وقيل
 له : أنت عضدها أنت ناصرها ، أنت كاسيها » ورواه ابن ماجه بلفظ « يتعجب به ويقال : أنت كذلك » ؟
 ورواه الترمذى بلفظ « ما من ميت يموت فتقوم نادبته فتقول : واجبلاه واسنده أو شبه ذلك من القول
 إلا وكل به ملكان يلhezانه ، أهكذا كنت » ؟ وشاهده ما روى المصنف فى المغازى من حديث النعمان
 ابن بشير قال « أغمى على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته تكي وتقول : واجبلاه واكذا واكذا ،
 فقال حين أفاق : ماقلت شيئًا إلا قيل لى أنت كذلك » ؟

سادسها معنى التعذيب تألم الميت بما يقع من أهله من النياحة وغيرها ، وهذا اختيار أبى جعفر
 الطبرى من المتقدمين ، ورجحه ابن المرباط وعياض ومن تبعه ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين ،
 واستشهدوا له بحديث قَيْلَةَ بنت مَخْرَمَةَ وهى بفتح القاف وسكون التحتانية وأبوها بفتح الميم وسكون
 المعجمة ثقافية « قلت : يا رسول الله قد ولدته فقاتل معك يوم الربيعة ثم أصابته الحمى فمات ونزل على
 البكاء ، فقال رسول الله ﷺ : أيعلب أحدكم أن يصاحب صويحبه فى الدنيا معروفًا ، وإذا مات
 استرجع ، فوالذى نفس محمد بيده إن أحدكم ليكي فيستعبر إليه صويحبه ، فيأعباد الله لا تعذبوا
 موتاكم . »

فى النوح المنهى عنه ، وإذا كان هذا النوح من سنة الميت ، أى من طريقته ، أى هو يرضى عنه ويحث عليه قبل موته .

قال البخارى فى الترجمة التى أورد حديث عائشة تحتها : « باب قول النبى - ﷺ - يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته » أى لا يعذب بكل البكاء ، وإنما من البكاء الذى هو نوح فيه التَّقَوُّه بمعارضة القدر والتمرد عليه ، وإذا كان من سنته ؛ فيعذب بسبب توجهه هذا ، ولا يكون فيه معارضة للآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

وقال ابن حجر فى فتح البارى : ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات ، فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً : من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته ، أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه ، ومن كان ظالمًا فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به ، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها ، فإن كان راضيًا بذلك التحق بالأول ، وإن كان غير راضٍ عُذِبَ بالتوبيخ كيف أهمل النهى ، ومن سلِمَ من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ، وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره ، وإقدامهم على معصية ربهم (١) .

= وهذا طرف من حديث طويل حسن الإسناد أخرجه ابن أبى خيثمة وابن أبى شيبة والطبرانى وغيرهم ، وأخرج أبو داود والترمذى أطرافاً منه .

قال الطبرى : ويؤيد مقاله أبو هريرة أن أعمال العباد تعرض على أقربائهم من موتاهم ، ثم ساقه بإسناد صحيح إليه وشاهده حديث النعمان بن بشير مرفوعاً أخرجه البخارى فى تاريخه وصححه الحاكم ، قال ابن المرباط : حديث قيلة نص فى المسألة فلا يعدل عنه . واعترضه ابن رشيد بأنه ليس نصًا ، وإنما هو محتمل ، فإن قوله « فيستعبر إليه صويحبه » ليس نصًا فى أن المراد به الميت ، بل يحتمل أن يراد صاحبه الحى ، وأن الميت يعذب حينئذ ببكاء الجماعة عليه .

وحكى الكرمانى تفصيلاً آخر وحسنه ، وهو التفرقة بين حال البرزخ وحال يوم القيامة ، فيحمل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ على يوم القيامة ، وهذا الحديث وما أشبهه على البرزخ ويؤيد ذلك أن مثل ذلك يقع فى الدنيا ، والإشارة إليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْقُضُوا فَتَنَهُ لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ فإنها دالة على جواز وقوع التعذيب على الإنسان بما ليس له فيه تسبب ، فكذلك يمكن أن يكون الحال فى البرزخ بخلاف يوم القيامة ، والله أعلم .

(١) فتح البارى - (١٨٥/٣)

ومهما يكن من أمر فنقد السيدة عائشة رضى الله عنها أرسى قاعدة أن السنة لا تتعارض مع القرآن الكريم ، وهذا ما لم يخالفها فيه أحد ، كما أنه من ثمرات هذا النقد تلك الجهود المضادة - إن صح هذا التعبير - لبيان أن السنة من وجهة النظر الأخرى - لا تتعارض مع القرآن ، وهذه جهود في خدمة السنة أطلقت شرارتها السيدة عائشة - رضى الله عنها .

٢ - رؤية الرسول - ﷺ ربه :

أخرج الحاكم في مستدركه من جهة معاذ بن هشام : حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : « أتعجبون أن تكون الخُلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ﷺ ؟ » .

ثم قال : صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
 ثم قال : « وله شاهد صحيح عن ابن عباس فى الرؤية . ثم ساقه من جهة إسماعيل بن زكريا عن عاصم عن الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس قال : « رأى محمد ربه » .

وله شاهد آخر صحيح الإسناد ، ثم ساقه عن يزيد بن هارون : أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس قال : « قد رأى محمد - ﷺ - ربه » .

وعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : « رآه مرتين »
 ثم قال الحاكم : قد اعتمد الشيخان فى هذا الباب أخبار عائشة بنت الصديق وأبي بن كعب وابن مسعود وأبي ذر : « أن رسول الله - ﷺ - رأى جبريل عليه السلام » وهذه الأخبار التى ذكرتها صحيحة (١) .
 ولكن السيدة عائشة - رضى الله عنها أنكرت أن يكون رسول الله - ﷺ - رأى ربه .

واستندت فى هذا إلى مقياس عرض السنة التى رواها ابن عباس على القرآن الكريم .

فقد أخرج البخارى من حديث القاسم عن عائشة قالت : « من زعم أن محمداً

(١) المستدرک : (٦٤/١ - ٦٥) .

رأى ربه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريل فى صورته وخلقته سادًا ما بين الأفق (١).

وفى الصحيحين من حديث مسروق قلت لعائشة : « يا أمتاه هل رأى محمد ربه ؟ » فقالت : « لقد قفَّ شعرى مما قلت ، من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين » (٢) .

وفى رواية : « من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية » .
 فقلت : يا أم المؤمنين أنظرنى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله عز وجل :
 ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ [سورة التكويد : ٢٣] ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [سورة النجم : ١٣] .

فقلت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : « إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأته منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، وقالت : أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [سورة الشورى : ٥١] (٣) .

فالسيدة عائشة - كالمثال السابق - احتكمت فى رفضها لما روى بعض الصحابة إلى القرآن الكريم ، فى أن رؤية الله ممتنعة عن المؤمنين فى الدنيا ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣] .

(١) خ : (٤٢٩/٢) (٥٩) كتاب بدء الخلق (٧) باب إذا قال أحدكم آمين ، رقم (٣٤ - ٣٢) .

(٢) خ (٢٩٨/٣) (٦٥) كتاب التفسير . (٥٣) سورة النجم .

(٣) م : (١٥٩/١) (١) كتاب الإيمان - (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [سورة النجم : ١٣] رقم ١٧٧/٢٨٧

كما ارتكزت في رفضها على مقياس آخر ، وهو عرض السنة على السنة التي وثقت بها وسمعتها من رسول الله - ﷺ .

وسياتى تفصيل ذلك في الفصل القادم إن شاء الله عز وجل .

وكما رأينا حديث ابن عباس صحيح ، وحديث عائشة صحيح ، ولهذا حاول العلماء الجمع بينهما .

قال ابن حجر : فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفى عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر ، وإثباته على رؤية القلب (١) .

والمراد برؤية الفؤاد في قوله تعالى ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [سورة النجم : ١١] رؤية القلب ، لا مجرد حصول العلم ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالمًا بالله على الدوام ، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه ، كما تخلق الرؤية بالعين لغيره ، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ، ولو جرت العادة بخلقها في العين (٢) .

وينبغي ألا يظن أن من يثبت الرؤية كابن عباس يعارض الآية الكريمة ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ فالآية الكريمة يمكن تفسيرها بما لا يتعارض مع الرؤية ، ولقد أحسن الشوكاني في ذلك حين قال : « وقوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ الأبصار : جمع بصر ، وهو الحاسة ، وإدراك الشيء عبارة عن الإحاطة به . قال الزجاج : أى لا تبلغ كنه حقيقته ، فالمنفى هو هذا الإدراك لا مجرد الرؤية ، فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواتراً لا شك فيه ولا شبهة ، ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلاً عظيماً ، وأيضاً قد تقرر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلى سلب جزئى ، فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار ، هذا على تسليم أن نفى الإدراك يستلزم نفى الرؤية ، فالمراد به هذه الرؤية الخاصة ، والآية من سلب العموم لا من عموم السلب ، والأول تخلفه الجزئية ، والتقدير : لا تدركه كل الأبصار بل بعضها . وهي أبصار المؤمنين . والمصير إلى أحد الوجهين متعين ؛

(١) فتح الباري (٤٧٤/٨) .

(٢) المصدر السابق (٤٧٤/٨) .

لما عزفتناك من تواتر الرؤية في الآخرة . واعتضادها بقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة : ٢٢] الآية .

قوله ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ ﴾ أى يحيط بها ويبلغ كنهها لا تخفى عليه منها خافية ، وخص الأبصار ليجانس ما قبله .

وقال الزجاج : فى هذا دليل على أن الخلق لا يدركون الأبصار : أى لا يعرفون كيفية حقيقة البصر وما الشئ الذى صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ^(١) .

وأخرج ابن أبى حاتم والعقيلي وابن عدى وأبو الشيخ وابن مردويه بسند ضعيف عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله - ﷺ - فى قوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ ﴾ قال : لو أن الإنسان والجن والملائكة والشياطين منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفًا واحدًا ما أحاطوا بالله أبدًا . قال الذهبى : هذا حديث منكر . انتهى . وفى إسناده عطية العوفى وهو ضعيف .

وأخرج الترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه . قال عكرمة : فقلت له : أليس الله يقول ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ ﴾ . قال : لا أم لك ذلك نوره ، إذا تجلى بنوره ، لا يدركه شئ ^(٢) .

وفى لفظ : « إنما ذلك تجلى بكيفيته لم يقر له بصر » .

وأخرج ابن جرير عنه قال : « لا يحيط بصر أحد بالله » ^(٣) .

وأخرج أبو الشيخ والبيهقى فى كتاب الرؤية عن الحسن فى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ ﴾ قال : فى الدنيا .

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن إسماعيل بن عُلَيْبٍ مثله ^(٤) .

(١) فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠) - مكتبة مصطفى البابى الحلبى (١٤٨/٢) .

(٢) المصدر السابق : (١٤٨/٢) .

(٣) المصدر السابق : (١٤٩/٢) .

(٤) المصدر السابق : (١٤٩/٢) .

٣ - سماع أهل القبور لمن يخاطبونهم :

روى البخارى بسنده عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : اطلع النبي - ﷺ - على أهل القليب (١) (أى قليب بدر) فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فقبل له : تدعو أمواتاً ؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم ، ولكن لا يجيبون (٢) .
 وروى أيضا بسنده عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : إنما قال النبي - ﷺ - : إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [سورة النمل : ٨٠] (٣) .
 فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - لم تقبل رواية ابن عمر رضى الله عنهما ؛ لأنها فى رأيها تخالف القرآن الكريم .
 وهو اجتهاد منها - رضى الله عنها - فى فهم الآية ، وفى تصور أن الحديث الذى رواه ابن عمر - رضى الله عنهما - مخالف لها .
 وقد خالفها الجمهور فى ذلك ، وقبلوا حديث ابن عمر ؛ لموافقة من رواه غيره عليه .

وأما استدلالها بقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ فقالوا : معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم ، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله (٤) .
 وقال السهيلي : عائشة لم تحضر قول النبي - ﷺ - ، فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ النبي - ﷺ - ، وقد قالوا له : « يارسول الله أتخاطب قوماً قد جئقوا ؟ فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . قال : وإذا جاز أن يكونوا فى تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين إما بأذان رعوسهم كما هو قول الجمهور ، أو بأذان الروح على رأى من يوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد (٥) .
 قال : وأما الآية فإنها كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْأُصْرَ أَوْ تَهْدَى الْعُمَى ﴾ [سورة الزخرف : ٤٠] أى إن الله هو الذى يسمع ويهدى .

(١) القليب : البئر

(٢) خ : (٤٢١/١) (٢٣) كتاب الجنائز (٨٦) باب ماجاء فى عذاب القبر رقم (١٣٧٠) .

(٣) المصدر السابق . فى الكتاب والباب السابقين . رقم (١٣٧١) .

(٤) فتح البارى (٢٧٧/٣) . (٥) الروض الأنف : (٦٢/٣)

وقوله : « إنها لم تحضر » صحيح ، لكن لا يقدر ذلك في روايتها ؛ لأنه مرسل صحابي ، وهو محمول على أنها سمعت ذلك ممن حضره ، أو من النبي - ﷺ - بعد ، ولو كان ذلك قادمًا في روايتها لقدح في رواية ابن عمر ؛ فإنه لم يحضر أيضًا ، ولا مانع أن يكون النبي - ﷺ - قال اللفظين معًا ، فإنه لا تعارض بينهما .

وقال ابن التين : لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية ؛ لأن الموتى لا يسمعون بلا شك ، لكن إذا أراد الله إسماع مالميس من شأنه السماع لم يمتنع ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] الآية ، وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنثِيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [سورة فصلت : ١١] الآية . وقال قتادة : إن الله أحياهم حتى سمعوا كلام نبيه توبيخًا ونقمة (١) .

وقد أخذ ابن جرير وجماعة من الكراميين من هذه القصة أن السؤال في القبر يقع على البدن فقط ، وأن الله يخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويَلدَّ ويألم . وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد .

وخالفهم الجمهور فقالوا : تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث ، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص ، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزأؤه ؛ لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ، ويقع عليه السؤال ، كما هو قادر على أن يجمع أجزأؤه (٢) .

والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره ، ولا ضيق في قبره ولا سعة ، وكذلك غير المقبور كالمصلوب .

وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة ، بل له نظير في العادة وهو النائم ، فإنه يجد لذة وألمًا لا يدركه جليسه ، بل يقظان قد يدرك ألمًا أو لذة لما يسمعه

(١) فتح الباري (٣/٢٧٧) .

(٢) المصدر السابق (٣/٢٧٧ - ٢٧٨) .

أو يفكر فيه ، ولا يدرك ذلك جليسه ، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله .

والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم ؛ إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا ، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله .

وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور كقوله : « إنه ليسمع خفق نعالهم » وقوله : « تختلف أضلاعه لضممة القبر » وقوله : « يسمع صوته إذا ضربه المطراق » وقوله : « يضرب بين أذنيه » وقوله : « فيقعدهانه » .
 وكل ذلك من صفات الأجساد .

وذهب أبو الهذيل ومن تبعه إلى أن الميت لا يشعر بالتعذيب ولا بغيره إلا بين النفختين ، قالوا : وحاله كحال النائم والمغشى عليه لا يحس بالضرب ولا بغيره إلا بعد الإفاقة .

والأحاديث الثابتة في السؤال حالة تولى أصحاب الميت عنه ترد عليهم ^(١) .
 ومهما يكن من أمر فقد أرست السيدة عائشة دعائم هذا المقياس « عرض السنة على القرآن الكريم » وطبقته على هذا النحو الذي طبقته فيه .

* * *

(١) المصدر السابق : (٣/٢٧٨) .

٤ - الشؤم في ثلاثة :

روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن مكحول قال: قيل لعائشة إن أبا هريرة يقول قال رسول الله - ﷺ -: « الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس » . فقالت عائشة : لم يحفظ أبو هريرة ، إنه دخل ورسول الله - ﷺ - يقول : « قاتل الله اليهود يقولون : الشؤم في ثلاثة ؛ في الدار والمرأة والفرس » . فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله (١) .

قد جاء الإنكار على وجه آخر ، روى الإمام أحمد في مسنده ، بسنده عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة فقالا : إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله كان يقول : « إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار » ، قال : فطارت شقة منها في السماء وشقة منها في الأرض ، وقالت : والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ، ولكن كان نبي الله - ﷺ - يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدابة والدار ، ثم قرأت عائشة : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [سورة الحديد : ٢٢] (٢) الآية .

هكذا استعملت السيدة عائشة مقياس عرض السنة على القرآن لتعديل الرواية وتوثيقها .

ولكن هل أخطأ أبو هريرة ؟

لقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن عمر وغيره (٣)

(١) مسند أبي داود الطيالسي : (ص ٢١٥) . رقم (١٥٣٧) .

(٢) مسند أحمد (٢٤٦/٦) .

(٣) خ (٣٢٠/٢ - ٣٢١) (٥٦) كتاب الجهاد والسير - (٤٧) باب ما يذكر من شؤم الفرس ، عن ابن عمر ، وسهل بن سعد الساعدي ولفظه : « إن كان في شيء ففي المرأة والفرس والمسكن » رقم (٢٨٥٨ - ٢٨٥٩) .

م : (١٧٤٦/٤ - ١٧٤٧) (٣٩) كتاب السلام - (٣٤) باب الطيرة والفأل ، وما يكون فيه من الشؤم - عن ابن عمر ، وسهل بن سعد ، وجابر . أرقام (١١٥ - ٢٢٢٥/١٢٠ - ٢٢٢٧) .

دون اعتراض السيدة عائشة - رضى الله عنها - قال ابن حجر : ولا معنى لإنكار ذلك على أبى هريرة مع موافقة من ذكر من الصحابة له فى ذلك ^(١) .

كما بين العلماء معنى الحديث بما لا يتعارض مع الآية الكريمة .

فقال بعضهم : إنما عنى أن هذه الأشياء هى أكثر ما يتطير به الناس . فمن وقع فى نفسه شىء أبيض له أن يتركه ويستبدل به غيره .

وقد وقع فى رواية لهذا الحديث : « ذكروا الشؤم فقال : « إن كان فى شىء ففى ... » ولمسلم : « إن يك من الشؤم شىء حق ... » وكذا فى حديث جابر عند مسلم .

قال ابن العربى : معناه : إن كان خلق الله الشؤم فى شىء مما جرى من العادة فإنما يخلقه فى هذه الأشياء .

وقال المازرى : محمل هذه الرواية : إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به ، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها .

وقيل معنى الحديث : أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحية ، ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها ، فأشار الحديث إلى الأمر بفراقها ليزول التعذيب ^(٢) .

(١) فتح البارى (٦/٦٢) .

(٢) أفاض ابن حجر فى شرح هذا الحديث ، ومما قاله زيادة على ماسبق (فتح ٦/٦٢) : والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شىء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى من الطيرة فيقع فى اعتقاد مانهى عن اعتقاده ، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك . والطريق فيمن وقع له ذلك فى الدار مثلاً أن يبادر إلى التحول منها ؛ لأنه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم .

وأما ما رواه أبو داود وصححه الحاكم من طريق إسحق بن طلحة عن أنس « قال رجل : يا رسول الله إنا كنا فى دار كثير فيها عددنا وأموالنا ، فتحولنا إلى أخرى فقل فيها ذلك ، فقال : ذروها ذميمة . وأخرج من حديث فروة بن مسيك بالمهملة مصغراً ما يدل على أنه هو السائل ، وله شاهد من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد أحد كبار التابعين ، وله رواية بإسناد صحيح إليه عند عبد الرزاق ، قال ابن العربى : ورواه مالك عن يحيى بن سعيد منقطعاً قال : والدار المذكورة فى حديثه كانت دار مكجيل بضم الميم وسكون الكاف وكسر الميم بعدها لام - وهو ابن عوف أخو عبد الرحمن بن =

= عوف - قال : وإنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها ، وليس كما ظنوا ، لكن الخالق جل وعلا جعل ذلك وفقاً لظهور قضائه ، وأمرهم بالخروج منها لئلا يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم . قال ابن العربي : وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك ، وأن ذكرها بقبیح ما وقع فيها سائغ من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها ، ولا يمتنع ذم محل المكروه وإن كان ليس منه شرعاً كما يذم العاصي على معصيته وإن كان ذلك بقضاء الله تعالى .

وقال الخطابي : وهو استثناء من غير الجنس ، ومعناها إبطال مذهب الجاهلية في التطير ، فكأنه قال : إن كانت لأحدكم دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره سيره فليفارقه قال : وقيل إن شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها ، وشؤم المرأة أن لا تلد ، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليه . وقيل : المعنى ماجاء بإسناد ضعيف رواه الدمياطي في الخيل « إذا كان الفرس حروناً فهو مشثوم ، وإذا حنت المرأة إلى بعلها الأول فهي مشثومة ، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الأذان فهي مشثومة .

وقيل : كان قوله ذلك في أول الأمر ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ الآية ، حكاه ابن عبد البر ، والنسخ لا يثبت بالاحتمال ، لاسيما مع إمكان الجمع ولا سيما وقد ورد في نفس هذا الخبر نفى التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة .

وقيل يحتمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع ، وهو كحديث سعد بن أبي وقاص رفعه « من سعادة المرء المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح والمركب الهنيء . ومن شقاوة المرء المرأة السوء والمسكن السوء ، والمركب السوء » أخرجه أحمد .

وهذا يختص ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض ، وبه صرح ابن عبد البر فقال : يكون لقوم دون قوم ، وذلك كله بقدر الله . وقال المهلب ما حاصله : إن المخاطب بقوله « الشؤم في ثلاثة » من التزم التطير ولم يستطع صرفه عن نفسه فقال لهم : إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال ، فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها . ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفى الطيرة . واستدل لذلك بما أخرجه ابن حبان عن أنس رفعه « لا طيرة ، والطيرة على من تطير ، وإن تكن في شيء ففي المرأة ... » الحديث ، وفي صحته نظر ؛ لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس ، وعتبة مختلف فيه

٥ - ولد الزنى :

روى الحاكم فى مستدركه بسنده عن الزهرى ، عن عروة قال : بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول : إن رسول الله - ﷺ - قال : « لأن أفتع بسوط فى سبيل الله أحب إلي من أن أعتق ولد الزنى » ؛ وإن رسول الله - ﷺ - قال : « ولد الزنى شر الثلاثة » و« إن الميت ليعذب ببكاء الحى » .

فقلت عائشة : « رحم الله أبا هريرة ؛ أساء سمعاً فأساء إجابةً » .

أما قوله : « لأن أفتع بسوط فى سبيل الله أحب إلى من أن أعتق ولد زنى » فإنها لما نزلت : ﴿ فَلَا أَقْنَعُ الْعَقَبَةَ ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ ١٢ ﴾ فَكَ رَقَبَةٍ ﴿ [سورة البلد : ١١ - ١٣] قيل : يارسول الله ، ما عندنا ما نعتق ، إلا أن أحدنا له الجارية السوداء تخدمه وتسعى عليه ، فلو أمرناهن فزنين ، فجنن بأولاد فأعتقناهم فقال : رسول الله - ﷺ - « لأن أفتع بسوط فى سبيل الله أحب إلى من أمر بالزنى ، ثم أعتق الولد » .

« وأما قوله : « ولد الزنى شر الثلاثة » فلم يكن الحديث على هذا ، إنما كان رجل من المنافقين يؤذى رسول الله - ﷺ - فقال : من يعذرني من فلان ، قيل يارسول الله ، إنه مع ما به ولد زنى ، فقال : هو شر الثلاثة ، والله تعالى يقول ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [سورة فاطر : ١٨] .

« وأما قوله : « إن الميت يعذب ببكاء الحى ، فلم يكن الحديث على هذا ، ولكن رسول الله - ﷺ - مر بدار رجل من اليهود قد مات وأهله يبكون عليه فقال : « إنهم ليبكون عليه ، وإنه ليعذب ، والله تعالى يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

(١) المستدرک : (٢١٥/٢) كتاب العتق .

وحديث « ولد الزنا شر الثلاثة على إطلاقه » .

رواه أبو جعفر الطحاوى بإسناد حسن من طريق أبى حذيفة عن الثورى عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة .

ورواه الحاكم (١٠٠/٤) والبيهقى (٥٩/١٠) من طريقين عن أبى حذيفة بهذا الإسناد ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى .

وفى رواية أنها قالت : « ليس عليه من وزر أبويه شيء » ^(١) ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

وقد سبق أنها استشهدت فى مسألة تعذيب الميت ببقاء أهله عليه بالآية الكريمة ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ وهنا استشهدت بالآية الكريمة ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أى لا يتحمل الميت وزر من يكون عليه ولا ولد الزنى جرم والديه .

وفى مسألة ولد الزنى أنكرت الرواية ؛ لأنها رأت أنها تتعارض مع القرآن الكريم الذى يقرر أنه لا يتحمل إنسان وزر غيره ، فلا يتحمل ولد الزنى جرم والديه . وقد تناول أبو جعفر الطحاوى هذا الحديث فى شرح مشكل الآثار ، وبين أن المطلق منه الذى رواه أبو هريرة يحمل على المقيد الذى روته السيدة عائشة ، وبهذا لا يتعارض الحديث مع القرآن الكريم .

قال : عن أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « فرخ الزنى شر الثلاثة » . قال أبو جعفر : فتأملنا هذا ، فوجدناه مطلقاً على جميع أولاد الزنى ، موجباً أن كل أولاد الزنى شر من أمهاتهم ، وممن حملن بهم منه من الزانين بهن ، وقد كان الزنى من أمهاتهم ، ومن الزانين بهن اختياراً منهم له ، وكان أولادهم برآء من ذلك . فسأل سائل : فقال : كيف يكون أولاد الزنى الذين لا أفعال لهم فى الزانين . فكان جوابنا له أن أبا هريرة نقل عنه هذا الحديث لما ذكرنا ، وقد روى عن عائشة إنكارها ذلك عليه ، وإخبارها أن النبى عليه السلام إنما كان قصد بذلك القول إلى إنسان بعينه لمعنى كان فيه يبينُ به عن سائر أولاد الزناة ^(٢) . ثم روى حديث عائشة التى اعترضت فيه على أبى هريرة من طريق الزهرى

(١) السنن الكبرى : (٥٨/١٠) كتاب الأيمان - ماجاء فى ولد الزنا .

قال البيهقى عند روايته : رفعه بعض الضعفاء والصحيح موقوف .

ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط (٩٦/٥) وقال : تفرد به جعفر بن محمد المدائنى .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٥٧/٦) : له أحرفه .

(٢) شرح مشكل الآثار : أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوى (٢٣٩ هـ - ٣٢١ هـ) تحقيق

شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة (٢/٣٦٦ - ٣٦٧) .

عن عروة بن الزبير ، عن عائشة - قال عروة : بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول : قال رسول الله - ﷺ : « ولد الزنى شر الثلاثة » فقالت : يرحم الله أبا هريرة ، أساء سمعًا ، فأساء إجابة - هكذا في الحديث ، وأما أهل اللغة فيقولون : إنه أساء سمعًا فأساء جابئًا بلا ألف - ثم رجعنا إلى حديث الزهري عن عروة ، عن عائشة : لم يكن الحديث على هذا ، إنما كان رجل يؤذى رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - : « أما إنه مع مابه ولد زنا » وقال رسول الله - ﷺ - « هو شر الثلاثة » (١) .

ثم قال مبينًا أن الحديث الذي روته السيدة عائشة لا يتعارض مع القرآن الكريم ، قال : فكان في هذا الحديث من رسول الله - ﷺ - دفع لما في حديث أبي هريرة الذي رويناه قبله ، وكان الذي في هذا الحديث أشبه برسول الله - ﷺ - مما في حديث أبي هريرة ؛ لأن الله قال في كتابه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، وقال : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (٣٩) وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ [النجم : ٣٩ - ٤١] فكان ولد الزنى ليس ممن كان له في زنى أمه ، ولا في زنى الزانى بها حتى حملت به منه سعى ، وبان لنا بحديث عائشة أن قول رسول الله - ﷺ - الذى ذكره عنه أبو هريرة : « ولد الزنى شر الثلاثة » إنما كان لإنسان بعينه كان منه من الأذى لرسول الله - ﷺ - ما كان منه مما صار به كافرًا شرًا من أمه ، ومن الزانى بها الذى كان حملها به منه (٢) .

ثم تعرض الطحاوى لحديث آخر ، وهو فى معنى حديث « ولد الزنا شر الثلاثة » وهو عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يدخل الجنة ، ولد زنا » .

فبين أنه لا يتعارض مع القرآن الكريم ، ولا يعضد حديث « ولد الزنا شر الثلاثة » على إطلاقه ، وأنه ليس المراد به الولد بمعنى الولادة ، وإنما المراد من تحقق بالزنا حتى صار غالبًا عليه فاستحق أن ينسب إليه . قال : فتأملنا ما فى هذا

(٢) المصدر السابق (٢/٣٦٨ - ٣٦٩) .

(١) المصدر السابق (٢/٣٦٧) .

الحديث ، إذ كان ما فيه مضافاً إلى رسول الله - ﷺ - ، وإذ كان مما قد سأل عنه من سأل عما في الحديث الأول الذى ذكرناه فى الباب الذى قبل هذا الباب . فكان ما فى هذا الحديث عندنا - والله أعلم - أريد به من تحقق بالزنى حتى صار غالباً عليه ، فاستحق بذلك أن يكون منسوباً إليه ، فيقال : هو ابن له ، كما ينسب المتحققون بالدنيا إليها ، فيقال لهم : بنو الدنيا ، لعملهم لها ، وتحققهم بها ، وتركهم ما سواها ، وكما قيل للمتحقق بالحدز : ابن أحدار ، وللمتحقق بالكلام : ابن أقوال ، وكما قيل للمسافر : ابن سبيل ، وكما قيل للمقطوعين عن أموالهم لبعده المسافة بينهم وبينها : أبناء السبيل . كما قال تعالى فى أصناف أهل الزكاة : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ [التوبة : ٦٠] حتى ذكر فيهم ابن السبيل ، وكما قال بدر بن حزاز للنابغة .

أَبْلُغْ زِيَادًا وَخَيْرِ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ فلو تَكَيَّسَ أو كان ابن أَحْدَارٍ
 أى لو كان حدراً وذا كَيْسٍ . وكما يقول : فلان ابن مدينة للمدينة التى هو متحقق بها ، ومنه قول الأخطل :

رَبْتُ وَرَبَا فِي حَجْرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ يَظَلُّ عَلَى مِسْحَاتِهِ يَتَرَكُّ

فمثل ذلك ابن زنية ، قيل لمن قد تحقق بالزنى ، حتى صار بتحقيقه به منسوباً إليه ، وصار الزنى غالباً عليه - أنه لا يدخل الجنة بهذه المكان التى فيه ، ولم يرد به من كان ليس من ذوى الزنى الذى هو مولود من الزنى ، وهذا أشبه بمعنى هذا الحديث للمعانى التى ذكرناها فى مثله فى الباب الذى قبل هذا الباب (١) .

وسعود إلى هذه المسألة عند مقياس عرض السنة على السنة - فى فصل تال - إن شاء الله تعالى .

(١) المصدر السابق (٢/٣٧٢ - ٣٧٧) .

٦ - تحريم متعة النساء :

روى الحاكم فى مستدرکه بسنده عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة قال : سئلت عائشة عن متعة النساء فقالت : بينى وبينكم كتاب الله - قال - :
 وقرأت هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ [سورة المؤمنون . الآيات ٥ - ٦] .
 فمن ابتغى وراء ما زَوَّجَهُ اللهُ أَوْ مَلَكَهُ فَقَدْ عَدَا ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه (١) ووافقهُ الذهبى .

فالسيدة عائشة سئلت عن زواج المتعة ، وهو عقد زواج مؤقت ينتهى بانتهاء الوقت ، فبينت أنه محرم بالآية الكريمة .

ونكاح المتعة كان مباحاً فى صدر الإسلام ، ثم حُرِّمَ .

وقد ترجم له البخارى فى كتاب النكاح بقوله : « باب نهى رسول الله - ﷺ - عن نكاح المتعة أخيراً (٢) ، وأورد الأحاديث التالية :

١ - أن علياً - رضى الله عنه - قال لابن عباس : « إن النبى - ﷺ - نهى عن المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير » (٣) .

٢ - وعن أبى جمره قال : سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء فرخص ، فقال له مولى له : إنما ذلك فى الحال الشديد ، وفى النساء قلة أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم (٤) .

٣ - وعن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالوا : كنا فى جيش فأثانا رسول الله - ﷺ - فقال : « إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا » (٥) .

٤ - وعن سلمة بن الأكوع عن رسول الله - ﷺ - قال : « أيما رجل

(١) المستدرک (٣٠٥/٢) كتاب التفسير .

(٢) خ : (٣٦٦/٣ - ٣٦٧) كتاب النكاح - باب رقم (٣١)

(٣) رقم : (٥١١٥) . (٤) رقم : (٥١١٦) .

(٥) رقم : (٥١١٧ - ٥١١٨) .

وامرأة توافقا فَعِشْرَةَ مابينهما ثلاث ليال ، فإن أَحَبًّا أن يتزايد أو يتتاركا تتاركا فما أدرى أشيء كان لنا خاصة أم للناس عامة » (١) .

وبعض هذه الأحاديث يفهم منه الإذن دون النسخ والنهي .
 ولعل السيدة عائشة قد بلغتها هذه الأحاديث مطلقة الإذن فبادرت بأنها تخالف كتاب الله عز وجل .

وقد صح أنه نهى - ﷺ - أخيراً عن نكاح المتعة .
 وقد وردت عدة أحاديث صحيحة صريحة بالنهي عنها بعد الإذن فيها ، وأقرب مافيها عهداً بالوفاة النبوية ما أخرجه أبو داود من طريق الزهري قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز فذاكرنا متعة النساء ، فقال رجل يقال له الربيع بن سبرة : أشهد على أبي أنه حدث أن رسول الله - ﷺ - نهى عنها فى حجة الوداع (٢)
 ومعنى ذلك أن هذا نسخ أحاديث الإذن .

وأحاديث البخارى السابقة تدل على هذا النسخ ، وترجمة البخارى تدل على هذا النسخ « باب نهى رسول الله - ﷺ - عن نكاح المتعة أخيراً » .

فالسيدة عائشة - رضى الله عنها - ردت أحاديث الإذن بالقرآن الكريم ، ومعنى هذا أنها ترى أن القرآن الكريم فى الآيات الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ . يتعارض مع إباحة المتعة .
 وإذا كانت السيدة عائشة قد ردت الأحاديث التى تبيح المتعة بالقرآن فهناك من ردها بالسنة ، وخاصة ماروى عن على - رضى الله عنه .

وقد أورد أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسى الكثير منها فى كتاب تحريم المتعة ، وخاصة ما كان بين على وابن عباس - رضى الله عنهم - الذى كان

(١) رقم : (٥١١٩) .

(٢) د : (٥٥٨/٢ - ٥٥٩) (٦) كتاب النكاح (١٤) باب فى نكاح المتعة .

وأصل الحديث عند مسلم (١٠٢٤/٢ - ١٠٢٥) فى (١٦) كتاب النكاح - (٣) باب نكاح المتعة ، وبيان أنه أبيع ، ثم نسخ ، ثم ، أبيع ، ثم نسخ ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة ، ولكن ليس فى رواية مسلم تحريمه فى حجة الوداع كما هنا عند أبى داود مما يبين أن التحريم متأخر جداً .

يبيحها ثم رجع عن هذه الإباحة . قال أبو الفتح : « وهذه كلها طرق صحاح متصلة إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام ثابتة عن النبي - ﷺ - ، وفيها ما يدل على بطلان نكاح المتعة وتحريمه ، وفيها ما يدل على رجوع ابن عباس فيما كان يرخص فيه ومنعه منه ، وقد ثبت رجوع ابن عباس عن ذلك بكلام على عليه السلام . وفي هذا دليل لمن بَصَّرَهُ اللهُ ووقفه لدينه واستعمال أمر الله عز وجل وأمر رسوله - ﷺ - . ورواية أمير المؤمنين على رضي الله عنه وسواه في ذلك .

« والعجب كل العجب أنه لم يجز نكاح المتعة إلا من يتولَّى أمير المؤمنين عليًّا ويحبه ، فكيف استجازوا مخالفته مع ذلك ؟ وكل من روى عنه هذه الروايات علماء ثقات يجب على جميع المسلمين تصديقهم والثقة بنقلهم ، وبهم وبأمثالهم وصلت إلينا شريعة رسول الله - ﷺ - .

و« أوجب الله تعالى علينا قبول أخبارهم وكذلك رسول الله - ﷺ - في غير حديث لا يتسع له هذا الموضع ، ولا يخالف هذه الجملة ويركب مخالفة سائر الأمة إلا من بخش في الدين حظه وخالف رُشدَه ، ونعوذ بالله من سوء التوفيق » (١) .

وهذه قدوة حسنة في عرض الأحاديث على كتاب الله ، ورد ما يخالفه وخاصة عندما تنتشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بعد ذلك .

* * *

هذه أمثلة لتطبيق مقياس عرض السنة على القرآن الكريم سبيلاً إلى توثيقها وتمييز ما وقع في بعضها من خطأ ، مما يكون له أثره في توثيق السنة وبيان صحيحها من غير صحيحها .

وهذا يدل على أن ما سكتت عنه وخاصة ما روته موافق للقرآن الكريم فكأنها عرضت السنة كلها على القرآن الكريم ، وبينت المخالف من غيره .

(١) تحريم نكاح المتعة : أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) - تحقيق حماد الأنصاري - مكتبة التراث بالمدينة المنورة (ص ١٢٣ - ١٢٤) .

على أنه ينبغي أن نلاحظ أنها لم تكن تكتفى ببيان أن هذه الرواية أو تلك مخالفة للقرآن الكريم ، وإنما كانت تبين الصواب في الرواية ، وكيف جاء الخطأ فيها مما نتج عنه المخالفة مع القرآن الكريم ، وكانت تبين ذلك بناء على ما سمعت أو فهمت .

أقول ذلك حتى لا يقع في الوهم أن السيدة عائشة قد أخذت هذا المقياس مجرداً ليفتح الباب لكل من يتخيل أن هناك مخالفة بين الروايات وبين القرآن فيرفض الروايات الصحيحة .

فما فعلت ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها . وإنما كانت تضم فهمها مخالفة الرواية للقرآن إلى ما عندها مما سمعته من رسول الله - ﷺ - مما يخالف هذه الرواية التي تخالف القرآن الكريم .

كما أنها لم توجه تهمة الكذب إلى أحد من الصحابة - رضوان الله عليهم - وإنما كانت تتهم بعضهم بالخطأ ، فمعاذ الله تعالى أن يكذب الصحابة وقد عدلهم سبحانه وتعالى وجعلهم الوسطة بين رسوله ومن بعدهم في تبليغ وحيه وسنة رسوله - ﷺ .

وكما رأينا - وكما سنرى - أن الأحاديث التي اعترضت عليها هي من وجهة نظر أخرى - غير وجهة نظر السيدة عائشة - صحيحة ، وأنه يمكن الجمع بين الروايات من الجانبين على نحو يبين أنه ليس هناك خطأ من وجهة النظر الأخرى . ولكن يبقى المقياس الذي استخدمته السيدة عائشة نبراساً لغيرها ؛ كى ترد به الأحاديث المكذوبة والأحاديث التي وقع فيها خطأ أثناء تحمل الرواة لها فيما بعد .

وأنتقل إلى مقياس آخر استخدمته السيدة عائشة في توثيق السنة وهو مقياس عرضها على السنة التي سمعتها من رسول الله - ﷺ - أو على ما رآته منه - ﷺ .

والأمثلة فيه كثيرة ، وسنعرض لمعظمها تبياناً لجهود السيدة عائشة - رضي الله عنها - في هذا الشأن .

الفصل الثاني

مقياس عرض السنة على السنة

إن قرب السيدة عائشة من رسول الله - ﷺ - وشغفها حبًا لما يصدر عنه ، وتطبيقًا لتوجيه القرآن الكريم ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٤] .

وكما قال العلماء : الحكمة هي السنة ، وكذلك صغر سنها ؛ إذ عاشت مع رسول الله - ﷺ - مابين التاسعة والتاسعة عشرة - كل ذلك جعلها من أكثر الصحابة حفظًا لسنة رسول الله - ﷺ - ورواية لها . وقد رزقها الله مع ذلك حافظة قوية وشدة وعى لما يقوله - ﷺ .

ويتجلى ذلك في توثيقها للسنة التي يرويها الصحابة بعرضها على ما عندها من السنة التي وثقت بها أشد الوثوق .

ويشهد لهذا أنه لم تكن بدعًا فيما نقلته عن رسول الله - ﷺ - سواء فيما روته من الأحاديث أو فيما نقدته منها .

ونعيش مع الأمثلة - وإن كانت كثيرة إلى حد ما - ليتبين جهودها في توثيق السنة من خلال تبيان ما يخالف منها ما هو موثوق به عندها .

أولاً : تطبيق مقياس عرض السنة على القرآن والسنة معاً :

وفي الأمثلة التي سبقت كانت تضم إلى مقياس عرض السنة على القرآن عرضها على السنة .

ففي رواية « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ، بينت أن هذه الرواية رويت على وجه من العموم جعلها تخالف القرآن وتخالف السنة .

أما مخالفتها للقرآن فقد مرت في الفصل السابق .

وأما مخالفتها للسنة التي عندها فقد بينت أن الحديث لم يصدر عن رسول الله - ﷺ - عامًا هكذا ، وإنما صدر على نحو من الخصوص .

فلم يصدر هذا في شأن الناس عامة ، وإنما هو عن مخصوصين وهم اليهود أو الكفرة .

كما بينت أن البكاء لم يكن سبباً في تعذيبهم ، وإنما تعذيبهم بسبب ذنوبهم ، وصاحب هذا ذاك ، فهم يعذبون بسبب ذنوبهم في حالة بكاء أهلهم عليهم .

تقول السيدة عائشة في بعض روايات هذا الحديث ، وقد رواه الشيخان : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن - أي ابن عمر - أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ » ، إنما مر رسول الله - ﷺ - على يهودية يُكفى عليها ، فقال ، إنهم سيكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها (١) .

وفي رواية : « يرحم الله أبا عبد الرحمن ، سمع شيئاً فلم يحفظه ، إنما مرت على رسول الله - ﷺ - جنازة يهودى ، وهم سيكون عليه ، فقال : « أنتم تبكون ، وإنه ليعذب » (٢) .

ونعود فنقول : إنها وجه نظر للسيدة عائشة لا تمنع أن يكون من في الجانب الآخر على صواب أيضاً .

قال الزركشى في الإجابة موضعاً هذا : واللائق لنا في هذا المقام التأويل ، وهي حمل الأحاديث المخالفة لها ؛ إما على من أوصى بذلك فعليه إثم الوصية بذلك ؛ لأنه قد تسبب إلى وجوده ؛ وإما غير ذلك مما ذكره العلماء في كتبهم .

(١) خ : (٨٧ - ٨٦/٣) (٦٣) كتاب مناقب الأنصار (٨) باب قتل أبي جهل ، ولفظه : « ذكر عند عائشة - رضی الله عنها - أن ابن عمر رفع إلى النبي - ﷺ - : إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله ، فقالت : وهل (أي غلط) إنما قال رسول الله - ﷺ - : « إنه ليعذب بخطيئته وذنوبه ، وإنهم ليبكون عليه الآن » رقم : (٣٩٧٨)

م : (٦٤٣/٢) (١١) كتاب الجنائز (٩) باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه - وفيه : « لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت : إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين ، ولكن السمع يخطيء » (رقم ٩٢٩) .

وفي رواية قالت : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، أما إنه لم يكذب ، ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مر رسول الله - ﷺ - على يهوديه يكى عليها ، فقال : إنهم ليبكون عليها ، وإنها لتعذب في قبرها » رقم (٩٣٢/٢٧) .

(٢) م : (٦٤٢/٢) في الكتاب والباب السابق رقم (٩٣١/٢٥) .

والذى يؤكد قول عائشة فى « وهم » قولها : « إنه عليه السلام قال لرجل مات يهوديًا : « إن الميت ليعذب » .. بلام العهد ، فالظاهر أن ابن عمر خفى عليه موت اليهودى ، فحملها على الاستغراق . ونظير هذا ماروى أنه - ﷺ - رأى تاجرًا يبخس الناس فى البيع فقال : « التاجر فاجر » يعنى ذلك الرجل ، فرواه بعضهم على أنه للاستغراق . ذكر هذا فخر الدين الرازى فى بعض كتبه الأصولية ، وجعله من أسباب الغلط فى الرواية . ولاشك أنه من أسبابه ، لكن هذا الحديث ليس من هذا الباب ، فإن فى السنن : « التاجر فاجر إلا من بر وصدق » وهذا يدل على إرادة الاستغراق لوجود الاستثناء فيه (١) .

* * *

وفى مسألة الرؤية ، وإنكارها أن يروى أن الرسول - ﷺ - رأى ربه احتكمت إلى جانب عرض ذلك على القرآن ، ومخالفته له - فى رأيها - احتكمت إلى ما يخالف ذلك من السنة .
 قالت : « أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله - ﷺ - فقال : « إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيتنه منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض (٢) .
 ثم بينت مخالفة من يقولون بالرؤية للقرآن الكريم - كما سبق .

* * *

وفى قضية سماع أهل القبور لمن يخاطبونهم أنكرت ما روى عن الرسول - ﷺ - من أنه خاطب أهل قليب بدر من المشركين ، وأنهم يسمعون - أنكرت ذلك لمخالفته للقرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ وهنا عرضته على ما عندها عن رسول الله - ﷺ .
 قالت : « إنما قال - ﷺ - : إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق (٣) .

(١) الإجابة . ص : (٩١) .

(٢) سبق ذلك فى الفصل السابق وتخريجه (ص ١٣٣) .

(٣) سبق تخريجه فى الفصل السابق (ص : ١٣٥) .

فهذه سنة عن رسول الله - ﷺ - تخالف ما روى مما يثبت سماع المشركين لقول الأحياء ، أو سماع الأموات للأحياء .
 وقد سبق أن بينا وجهة النظر الأخرى ، ولكننا أردنا هنا أن نبين أنها أنكرت ما روى من سماع المشركين وهم أموات لقول رسول الله - ﷺ - لا لأنه مخالف للقرآن فقط ، ولكن لأنه مخالف للسنة التي عندها أيضًا .

* * *

وفي إنكارها لما روى من أن الرسول - ﷺ - قال : الشؤم في ثلاثة ؛ في الدار ، والمرأة ، والفرس ، احتكمت إلى مخالفته للقرآن الكريم كما سبق .
 واحتكمت أيضًا إلى ما عندها من السنة ، قالت :
 لم يحفظ أبو هريرة ، إنه دخل ورسول الله - ﷺ - يقول : « قاتل الله اليهود ، يقولون : الشؤم في ثلاثة ؛ في الدار والمرأة والفرس ، فسمع آخر الحديث ، ولم يسمع أوله » (١)
 وفي رواية : « ولكن كان نبي الله - ﷺ - يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدابة والدار » .
 وقد بينا فيما سبق - في الفصل السابق - وجهة نظر الفريقين ، والمعنى للحديث بما لا يتعارض مع القرآن ولا مع السنة التي عند السيدة عائشة - رضی الله عنها - عند من خالفتهم ، واستدركت عليهم .
 ولكنها أرست مقياسًا ، ودافعت عن السنة بما يجعلها قدوة حسنة في هذا المجال .

* * *

وفي قضية « ولد الزنا » أنكرت أن يكون الرسول - ﷺ - قال على وجه العموم : « ولد الزنا شر الثلاثة » أي شر من أبويه .
 وسبق أن بينا أنها احتكمت إلى القرآن الكريم ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .

(١) سبق تخريجه في الفصل السابق (ص : ١٣٨) .

وهنا نبين أنها احتكمت إلى ما عندها من السنة ؛ قالت عائشة : رحم الله
أبا هريرة أساء سمعًا فأساء إجابةً .

أما قوله « ولد الزنا شر الثلاثة » فلم يكن الحديث على هذا ، إنما كان رجل
من المنافقين يؤذى رسول الله - ﷺ - ، فقال : من يعذرني من فلان ؟ قيل :
« يارسول الله هو أنه مع مابه ولد زنى ، فقال : هو شر الثلاثة » (١) .

ومعنى ذلك أن الحديث كان فى واقعة معينة ، فالرسول - ﷺ - عنى هذا
المنافق ، لا جميع أولاد الزنى .

وقد وردت أحاديث أخرى لا تتعارض مع القرآن فى هذه المسألة : منها :
« ولد الزنى شر الثلاثة إذا عمل بعمل والديه » (٢) .

* * *

(١) سبق تخريجه فى الفصل السابق (ص : ١٣١) .

(٢) المعجم الكبير : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) تحقيق حمدى
عبدالمجيد السلفى - وزارة الأوقاف بالعراق (٣٤٦/١٠) عن ابن عباس .

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٥٧/٦) كتاب الحدود والديات - باب فى أولاد الزنا - قال :
رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وهو سىء الحفظ ،
ومنديل ، وثق وفيه ضعف .

ثانيا : تطبيق مقياس عرض السنة على السنة فقط :

١ - إذا التقى الختانان وجب الغسل :

روى الطحاوى فى شرح معانى الآثار بسنده عن عبيد بن رفاعه الأنصارى قال : كنا فى مجلس فيه زيد بن ثابت ، فتذكروا الغسل من الإنزال ، فقال زيد : ما على أحدكم إذا جامع فلم ينزل إلا أن يغسل فرجه ، ويتوضأ وضوءه للصلاة ، فقام رجل من أهل المجلس فأتى عمر ، فأخبره بذلك .

فقال عمر للرجل : اذهب أنت بنفسك فائتنى به حتى تكون أنت الشاهد عليه ، فذهب فجاء به ، وعند عمر ناس من أصحاب رسول الله - ﷺ - منهم على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل ، فقال له عمر : أى عُدَى نفسه تفتى الناس بهذا ؟ فقال زيد : « أما والله ما ابتدعته ، ولكن سمعته من أعمامى رفاعه بن رافع ومن أبى أيوب الأنصارى » ، فقال عمر لمن عنده من أصحاب رسول الله - ﷺ - : « ماتقولون ؟ فاختلّفوا عليه فقال عمر : « يا عباد الله قد اختلفتم وأنتم أهل بدر الأخيار » فقال له على : « فأرسل إلى أزواج النبى - ﷺ - فإنه إن كان شىء من ذلك ظهرن عليه » فأرسل إلى حفصة فسألها فقالت : « لا علم لى بذلك » ثم أرسل إلى عائشة فقالت : « إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل » . فقال عمر عند ذلك : « لا أعلم أحداً فعله ثم لم يغتسل إلا جعلته نكالا » (١)

أخرجه مسلم فى الصحيح ، لكن لم يذكر أن عمر هو السائل ، بل ذكر عن أبى موسى الأشعري قال : اختلف رهط من المهاجرين والأنصار فقال الأنصارىون : « لا يجب الغسل إلا فى الدفق أو من الماء » . وقال المهاجرون : « بل إذا خالط فقد وجب الغسل » . فقال أبو موسى : « أنا أشفيكم من ذلك » قال : فقامت فاستأذنت على عائشة ... الحديث نحو ما سبق .

وقالت : « قال رسول الله - ﷺ - إذا جلس بين شعبها الأربع ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » (٢) .

(١) شرح معانى الآثار : (٥٨/١) وانظر مشكل الآثار له (١٢٢/١٠ - ١٢٣) .

(٢) م : (٢٧١/١ - ٢٧٢) (٣) كتاب الحيض (٢٢) باب نسخ الماء من الماء . رقم (٨٨)

وقد رواه مالك في الموطأ موقوفاً على عائشة بلفظ: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل، فقال أبو موسى: لا أسأل عن هذا أحدًا بعدك^(١).
 لكن قال أبو عمر بن عبد البر: هذا وإن لم يكن مسندًا بظاهره فإنه يدخل في المسند^(٢).

ثم قال: وقد روى حديثها هذا عنها مسندًا إلى النبي - ﷺ - ثم ذكره بسنده عن عائشة، عن النبي - ﷺ - قال: «إذا التقى الختانان وجب الغسل»^(٣).
 ثم قال: تسليم أبي موسى لعائشة في هذه المسألة دليل على صحة رفعها إلى النبي - ﷺ - لأن مثل هذا لا يقال من جهة الرأي^(٤).

وقد حمل بعض العلماء قول عائشة - رضي الله عنها: «إذا جاوز الختان الختان» على حكاية فعلها مع النبي - ﷺ - لا أن هذا هو شرط الغسل، وإنما يجب الغسل بمجرد التقاء الختانين وقد ثبتت الروايات الصحيحة بذلك^(٥).

وجدير بالذكر أنه كان في أول الإسلام: «الماء من الماء» أي لا يجب الغسل إلا بالإنزال في الجماع، ثم نسخ هذا، ولم يكن يعلم بعض الصحابة بالنسخ، فكان يفتى به حتى علم الجميع بالنسخ، وأصبح وجوب الغسل بالإنزال إجماعًا:
 روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: خرجت مع رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين إلى قباء حتى إذا كنا في بني سالم وقف رسول الله - ﷺ - على باب عتيان فصرخ به، فخرج يجر إزاره، فقال رسول الله - ﷺ -: «أعجلنا الرجل، فقال عتيان: يارسول الله، أرأيت الرجل يعجل عن امرأته، ولم يُمن، ماذا عليه؟ قال رسول الله - ﷺ -: إنما الماء من الماء»^(٦).

(١) الموطأ: (٤٦/١) رقم (٧٣).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب (١٠٠/٢٣).

(٣) المصدر السابق (١٠٣/٢٣ - ١٠٤). (٤) المصدر السابق (١٠٤/٢٣).

(٥) الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة: (ص: ٦٤).

(٦) م: (٢٦٩/١) (٣) كتاب الحيض - (٢١) باب إنما الماء من الماء. رقم (٣٤٣/٨٠).

قال النووي في شرح حديث عائشة : « اعلم أن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع ، وإن لم يكن معه إنزال ، وعلى وجوبه بالإنزال ، وكان جماعة من الصحابة على أنه لا يجب إلا بالإنزال ، ثم رجع بعضهم وانعقد الإجماع ... وأما حديث الماء من الماء فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا : إنه منسوخ » (١) .

* * *

(١) شرح صحيح مسلم : (٢٧٥/٤ - ٢٧٦) .

٢ - يجوز الطيب قبل الإحرام ، وبعد الحِلِّ الأول :

أخرج البيهقي بسنده عن ابن عمر قال : سمعت عمر يقول : « إذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم كل شيء إلا النساء والطيب (١) .

ورأت عائشة أن ما عندها من السنة يخالف بعض هذا ، فبعد الرمي والحلق يحل الطيب ؛ قالت عائشة : « أنا طيبت رسول الله - ﷺ لحله وإحرامه » قال سالم الذي روى الحديث عن أبيه : وسنة رسول الله - ﷺ - أحق أن تتبع (٢) . وقد أخرج الشيخان عن القاسم عنها قالت : « طيبت رسول الله - ﷺ - لحُرْمِهِ حين أحرم ، ولحله حين حل قبل أن يطوف بالبيت (٣) .

وقد تابعها على ذلك ابن عباس فيما أخرجه البيهقي أيضًا من جهة الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن الحسن العُزَينِي ، عن ابن عباس قال : إذا رميتم الجمره حل لكم كل شيء إلا النساء حتى تطوفوا بالبيت ، فقال رجل : والطيب يا أبا العباس فقال له : « إني رأيت رسول الله - ﷺ - يضمخ رأسه بالشُّكِّ أو طيب هو ، أم لا (٤) ؟ .

وكان ابن عمر يكره الطيب قبل الإحرام أيضًا ، وقال فيما رواه عنه مسلم : « لأن أطلي بقطران أحب إلى من أن أتطيب ، ثم أصبح محرماً » (٥) .

(١) السنن الكبرى : (٣٥/٥) .

(٢) المصدر السابق (١٣٥/٥ - ١٣٦) .

(٣) خ (٤٧٥/١) (٢٥) كتاب الحج (١٨) باب الطيب عند الإحرام - رقم (١٥٣٩) .

م : (٨٤٦/٢) (١٥) كتاب الحج (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام - رقم (١١٨٩/٣١) .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (١٣٦/٥) كتاب الحج - باب ما يحل بالتحلل الأول من محظورات الإحرام .

(٥) م : (٨٤٩/٢) (١٥) كتاب الحج - (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام رقم

(١١٩٢/٤٧) ولفظه « ما أحب أن أصبح محرماً أنضح طيباً ، لأن أطلي بقطران أحب إلى من أن أفعل

ذلك .

وقد روى البخاري أوله :

خ : (١٠٦/١) (٥) كتاب الغسل - (١٤) من تطيب ، ثم اغتسل ، وبقي أثر الطيب . رقم

(٢٧١) .

وقد أنكرت عائشة عليه ذلك في حديثها السابق ، كما أنكرت على عمر ، وكان ابن عمر يتبع في ذلك أباه ، فإنه كان يكره استدامة الطيب بعد الإحرام . وقد روى سعيد بن منصور بسنده أن عائشة كانت تقول : « لا بأس بأن يمس الطيب عند الإحرام . قال سالم : فدعوت رجلاً وأنا جالس بجنب ابن عمر ، فأرسلته إليها ، وقد علمت قولها ، ولكن أحببت أن يسمعه أئبي ، فجاءني رسولى ، فقال : إن عائشة تقول : لا بأس بالطيب عند الإحرام فأصب ما بدالك (١) .

وفى رواية : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، كنت أطيب رسول الله - ﷺ - فيطوف فى نسائه ، ثم يصبح ينضح طيباً (٢) .

وهكذا ردت ما يراه عمر وما يراه ابنه - رضى الله عنهم - بما عندها من السنة أى عرضت ما جاءها من السنة على السنة التى عندها عن رسول الله - ﷺ - وهذا سيكون له أثره فيما بعد حين تروى أحاديث تخالف الثابت من سنة رسول الله - ﷺ .

ومن أثر ذلك أيضاً قيام العلماء بالتوفيق بين الأحاديث والجمع بينها ، وماذاك إلا لوثوقهم فيما روت عائشة واستنباطهم الأحكام منه (٣) .

(١) فتح البارى : (٤٦٥/٣)

(٢) خ : (١٠٥/١) (٥) كتاب الغسل - (١٢) باب إذا جامع ثم عاد ، ومن دار على نسائه فى غسل واحد - رقم (٢٦٧) .

م : (٨٤٩/٢ - ٨٥٠) (١٥) كتاب الحج - (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام - رقم (٤٨) - (١١٩٢) .

(٣) قال ابن حجر فى شرح الحديث : « واستدل به على استحباب التطيب عند إرادة الإحرام وجواز استدامته بعد الإحرام ، وأنه لا يضر بقاء لونه ورائحته ، وإنما يحرم ابتداءه فى الإحرام وهو قول الجمهور .

وعن مالك يحرم ولكن لا فدية ، وفى رواية عنه تجب .

وقال محمد بن الحسن : يكره أن يتطيب قبل الإحرام بما يبقى عينه بعده .

واحتج المالكية بأمر ، منها : أنه ﷺ اغتسل بعد أن تطيب لقوله فى رواية ابن المنذر المتقدمة فى الغسل « ثم طاف بنسائه ثم أصبح محرماً » فإن المراد بالطواف الجماع ، وكان من عادته أن يغتسل عند كل واحدة ، ومن ضرورة ذلك أن لا يبقى للطيب أثر ، ويرد قوله فى الرواية الماضية أيضاً : « ثم =

ولم تكن عائشة - رضی الله عنها - هي التي تقف هذا الموقف ، فكانت أم حبيبة لها هذا الموقف ، ولا شك أنها علمته من رسول الله - ﷺ -

= أصبح محرماً ينضح طيباً « فهو ظاهر في أن نضح الطيب - وهو ظهور رائحته - كان في حال إحرامه ، ودعوى بعضهم أن فيه تقدماً وتأخيراً والتقديم طاف على نسائه ينضح طيباً ثم أصبح محرماً خلاف الظاهر ، ويرد قوله في رواية الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عند مسلم « كان إذا أراد أن يحرم يتطيب بأطيب ما يجد ، ثم أراه في رأسه ولحيته بعد ذلك » وللنسائي وابن حبان « رأيت الطيب في مفرقه بعد ثلاث وهو محررم » .

وقال بعضهم : إن الوييص كان بقايا الدهن المطيب الذي تطيب به فزال وبقي أثره من غير رائحة ، ويرده قول عائشة ينضح طيباً . وقال بعضهم : بقي أثره لا عينه . قال ابن العربي : ليس في شيء من طرق حديث عائشة أن عينه بقيت . انتهى .

وقد روى أبو داود وابن أبي شيبة من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت : « كنا نضمخ وجوهنا بالمسك المطيب قبل أن نحرم ثم نحرم فنعرق فيسيل على وجوهنا ونحن مع رسول الله ﷺ فلا ينهانا . فهذا صريح في بقاء عين الطيب ، ولا يقال إن ذلك خاص بالنساء لأنهم أجمعوا على أن الرجال والنساء سواء في تحريم استعمال الطيب إذا كانوا محرمين .

وقال بعضهم : كان ذلك طيباً لا رائحة له تمسكاً برواية الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة « بطيب لا يشبه طيبكم » قال بعض رواه : يعني لا بقاء له ، أخرجه النسائي ، ويرد هذا التأويل ما في الذي قبله . ولمسلم من رواية منصور بن زاذان عن عبد الرحمن بن القاسم « بطيب فيه مسك » وله من طريق حسن بن عبيد الله عن إبراهيم « كأني أنظر إلى وييص المسك » وللشيخين من طريق عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه « بأطيب ما أجد » . وللطحاوي والدارقطني من طريق نافع عن ابن عمر عن عائشة « بالغالية الجيدة » وهذا يدل على أن قولها بطيب لا يشبه طيبكم - أي أطيب منه ، لا كما فهمه القائل ، أنه ليس له بقاء .

وادعى بعضهم أن ذلك من خصائصه - ﷺ - قاله المهلب وأبو الحسن وأبو الفرج من المالكية ، قال بعضهم : لأن الطيب من دواعي النكاح فنهى الناس عنه وكان هو أملك الناس لإزبه ففعله ، ورجحه ابن العربي بكثرة ما ثبت له من الخصائص في النكاح وقد ثبت عنه أنه قال : « حبيب إلى النساء والطيب » أخرجه النسائي من حديث أنس . وتعقب بأن الخصائص لا تثبت بالقياس . وقال المهلب : إنما خص بذلك لمباشرته الملائكة لأجل الوحي ، وتعقب بأنه فرع ثبوت الخصوصية وكيف بها ، ويردها حديث عائشة بنت طلحة المتقدم . وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن عائشة قالت « طيبت أبي بالمسك لإحرامه حين أحرم » ، ويقولها : طيبت رسول الله - ﷺ - - بيدي هاتين ، أخرجه الشيخان من طريق عمر بن عبد الله بن عروة عن جده عنها ، وسيأتي من طريق سفيان عن عبد الرحمن ابن القاسم بلفظ « وأشارت بيديها » =

وفى رواية ذلك مايين موقف عمر - رضى الله عنه - :

عن محمد بن عباد بن جعفر قال : أقبلنا مع عمر حتى إذا كنا بذى الحليفة أهلّ وأهللنا ، فمر بنا راكب ينفح عنه ريح الطيب ، فقال عمر : من هذا ؟ قالوا : معاوية ، فقال : ما هذا يا معاوية ؟ قال : مررت بأُم حبيبة بنت أبي سفيان ، ففعلت بي هذا . فقال : لعمرى أقسم بالله لترجعن إليها حتى تغسله فوالله لأن أجد من المحرم ريح القطران أحب إلى من أن أجد منه ريح الطيب (١) .
 قال البيهقي : يحتمل أنه لم يبلغه حديث عائشة ، أو كره ذلك لثلا يغترّ به الجاهل فيتوهم أن ابتداء الطيب يجوز للمحرم (٢) .

وذكره الحازمي فى ناسخه، ثم قال : ولم يبلغ عمر حديث عائشة - يعنى « طيبت النبى - ﷺ - فأصبح ، وإنَّ وَيَصَّ المسك فى مفارقه » وقال : « ولو بلغه لرجع إليه ، وإذا لم يبلغه فسنة رسول الله - ﷺ - أحق أن تتبع » (٣) .

= واعتذر بعض المالكية بأن عمل أهل المدينة على خلافه ، وتعقب بما رواه النسائي من طريق أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن سليمان بن عبد الملك لما حج جمع ناسًا من أهل العلم ؛ منهم القاسم بن محمد وخارجة بن زيد وسالم وعبد الله ابنا عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث فسألهم عن التطيب قبل الإفاضة ، فكلهم أمر به . فهؤلاء فقهاء أهل المدينة من التابعين قد اتفقوا على ذلك، فكيف يدعى مع ذلك العمل على خلافه ؟ .

قوله (ولحله قبل أن يطوف بالبيت) أى لأجل إحلاله من إحرامه قبل أن يطوف طواف الإفاضة ، وسيأتى فى اللباس من طريق يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم لفظ « قبل أن يفيض » ، وللنسائي من هذا الوجه « وحين يريد أن يزور البيت ، ولمسلم نحوه من طريق عمرة عن عائشة ، وللنسائي من طريق ابن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة « ولحله بعد ما يرمى جمرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت » واستدل به على حل الطيب وغيره من محرمات الإحرام بعد رمى جمرة العقبة .

(١) الموطأ (٣٢٩/١) (٢٠) كتاب الحج (٧) ماجاء فى الطيب فى الحج - رقم ١٩ عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب نحوه .

كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ) (١٧/٢) رقم ١٠٩٩ . باب الحاج الشعث التفل .

السنن الكبرى للبيهقى (٣٥/٥) كتاب الحج - باب الطيب للإحرام ، واللفظ الذى أثبت هنا منه

(٢) السنن الكبرى - الموضوع السابق .

(٣) الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار : أبو بكر محمد بن موسى الحازمي - مكتبة عاطف

بالقاهرة (ص : ٢٨٥) .



قال الزركشى : وحديث عائشة مقدم لا محالة ؛ لأنها نقلت النص ، وعمر -
 رضى الله عنه - إنما منع استدامة التطيب بالاستنباط من قوله - ﷺ - : الحاج
 الشَّعْتُ الثَّقِيلُ (١) .

* * *

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص : ٦٨) .
 قال عمر في رواية البرار لمعاوية : ارجع فاغسله عنك ، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :
 الحاج الشعث الثفل (كشف الأستار ، (١٧/٢) رقم ١٠٩٩) .

٣ - صلاة النافلة بعد العصر :

روى مسلم عن أنس قال : كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر (١) .
 وأخرج أيضاً عن طائوس ، عن عائشة قالت : وهم عمر ، إنما نهى رسول الله
 - ﷺ - أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها (٢) .

قال ابن عبد البر : ويقول عائشة قال ابن عمر وغيره ، وهو مذهب زيد بن
 خالد الجهني أيضاً ؛ لأنه رآه عمر بن الخطاب يركع بعد العصر ركعتين ، فمشى
 إليه وضربه بالدرّة ، فقال له زيد : « يا أمير المؤمنين ، اضرب ، فوالله لا أدعهما
 بعد أن رأيت رسول الله - ﷺ - يصليهما ، فقال له عمر : يا زيد ، لولا أنى
 أخشى أن يتخذها الناس سُلماً إلى الصلاة حتى الليل لم أضرب فيهما (٣) .

وكذلك الأمر في الصلاة بعد الصبح :

عن أبي سعيد الخدري قال : كان عمر يضرب عليها رءوس الرجال - يعنى
 الصلاة بعد الفجر حتى مطلع الشمس ، وبعد العصر حتى مغرب الشمس ، فرأى
 أبو سعيد ابن الزبير يصليهما - يعنى الصلاة بعد الفجر وبعد العصر - قال : فنهيته ،
 فأخذ بيدي ، فذهبنا إلى عائشة - رضيت الله عنها - فقال لها : يا أم المؤمنين ، إن
 هذا ينهاني ... فقالت : رأيت رسول الله - ﷺ - يصليهما (٤) .

وفى مسلم روايات أخرى توضح منشأ صلاة رسول الله - ﷺ - للركعتين
 بعد العصر ، ثم مداومته عليها بعد أن كان ينهى عنهما :

(١) م : (٥٧٣/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين (٥٥) باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب
 رقم (٨٣٦/٣٠٢) .

(٢) م : (٥٧١/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين (٥٣) باب لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس
 ولا غروبها . رقم (٨٣٣/٢٩٥) .

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٣٢/١٣ - ٣٣) .

(٤) استدرارك أم المؤمنين عائشة (ص : ٥٧ - ٥٨ رقم ١٩) من طريق عبد الله بن محمد البغوي ، عن
 داود بن عمرو ، عن حماد بن زيد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد ، وأبو هارون العبدى متروك .

ويشهد له ما رواه البخارى بسنده عن عبد العزيز بن رفيع قال : رأيت عبد الله بن الزبير - رضيت
 الله عنهما - يطوف بعد الفجر ويصلى ركعتين وقال : رأيت عبد الله بن الزبير يصلى ركعتين بعد
 العصر ، ويخبر أن عائشة - رضيت الله عنها - حدثته أن النبي - ﷺ - لم يدخل بيتها إلا صلاههما .

(خ : ٥٠٠/١ - ٥٠١) (٢٥) كتاب الحج (٧٣) باب الطواف بعد الصبح والعصر . رقم
 = (١٦٣٠ - ١٦٣١) .

عن كريب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أزهر ،
 والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبي - ﷺ - ، فقالوا : اقرأ علينا
 السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد العصر وقل : إنا أخبرنا أنك تصلينهما
 وقد بلغنا أن رسول الله - ﷺ - نهى عنهما .

قال ابن عباس : وكنت أصرف مع عمر بن الخطاب الناس عنها : قال
 كريب : فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني به فقالت : سل أم سلمة ، فخرجت
 إليهم فأخبرتهم بقولها ، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة فقالت
 أم سلمة : سمعت رسول الله - ﷺ - ينهى عنهما ثم رأيتهم يصليهما ، أما حين
 صلاهما فإنه صلى العصر ثم دخل وعندى نسوة من بنى حرام من الأنصار
 فصلاهما ، فأرسلت إليه الجارية فقلت : قومي بجنبه فقولى له : تقول أم سلمة
 يارسول الله ، إنى أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين ، وأراك تصليهما ؟ ، فإن أشار
 بيده فاستأخرى عنه قال : ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه فلما انصرف
 قال : يا بنت أوى أمية سألت عن الركعتين بعد العصر ، إنه أتانى ناس من
 عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد العصر فهما
 هاتان (١) .

وعن أوى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة عن السجدين اللتين كان
 رسول الله - ﷺ - يصليهما بعد العصر ، فقالت : كان يصليهما قبل العصر ،
 ثم إنه شغل عنهما ، أو نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما ، وكان إذا صلى
 صلاة أثبتها - تعنى دوام عليها (٢) .

= قال ابن حجر فى الفتح : وكان عبد الله بن الزبير استنبط جواز الصلاة بعد الصبح من جواز الصلاة
 بعد العصر ، فكان يفعل ذلك بناء على اعتقاده أن ذلك على عمومته (فتح ٥٧٢/٣) .
 وذكر ابن عبد البر عن بعض العلماء أن رسول الله - ﷺ - قضى ركعتى الفجر ، والركعتين بعد
 الظهر .

قال : قالوا هذا دليل على أن نهيه - ﷺ - عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر إنما هو عن غير
 الصلوات المستنونات والمفترضات (التمهيد ٤٥/١٣) .

(١) م : (٥٧١/١ - ٥٧٢) (٦) كتاب صلاة المسافرين (٥٣) باب لا تحروا بصلاتكم طلوع
 الشمس ولا غروبها . رقم (٨٣٤/٢٩٧) .

(٢) المصدر السابق (٥٧٢/١) فى الكتاب والباب السابقين - رقم (٨٣٥/٢٩٨) .

وعن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : ماترك رسول الله - ﷺ - ركعتين بعد العصر عندى قط (١) .

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه ، عن عائشة قالت : صلاتان ماتركهما رسول الله - ﷺ - فى بيتى قط ، سرًا ولا علانية ، ركعتين قبل الفجر وركعتين بعد العصر (٢) .

قال النووى فى شرح الحديث بما يبين موقف كل من عائشة وعمر ، وإمكان الجمع بينهما .

قولها : (وهم عمر) تعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى روايته النهى عن الصلاة بعد العصر مطلقًا ، وإنما نهى عن التحرى ، قال القاضى : إنما قالت عائشة هذا لما روته من صلاة النبى - ﷺ - الركعتين بعد العصر .

قال : وما رواه عمر قد رواه أبو سعيد وأبو هريرة وقد قال ابن عباس فى مسلم أنه أخبره به غير واحد . قلت : ويجمع بين الروایتين ، فراوية التحرى محمولة على تأخير الفريضة إلى هذا الوقت ورواية النهى مطلقًا محمولة على غير ذوات الأسباب (٤) . ومعنى هذا أن ما ينهى عنه عمر هو النافلة التى ليس لها سبب ، أو تأخير الصلاة حتى تدنو الشمس من الغروب ، أو يقترب طلوعها بالنسبة لصلاة الصبح ، وما تجيزه السيدة عائشة هى الصلاة التى لها سبب أو ينوى المصلى الاقتداء برسول الله - ﷺ - فيهما (٥) .

(١) المصدر السابق (الموضع نفسه) رقم (٨٣٥/٢٩٩) .

(٢) المصدر السابق (الموضع نفسه) رقم (٨٣٥/٣٠٠) .

وعن الأسود ومسروق قالا : نشهد على عائشة أنها قالت : ما كان يومه الذى كان يكون عندى إلا صلاحهما فى بيتى - تعنى الركعتين بعد العصر .

(٣) المصدر السابق (٥٧٢/١ - ٥٧٣) فى الكتاب والباب السابقين . رقم (٨٣٥/٣٠١) .

(٤) شرح النووى لمسلم (٣٦٦/٦) .

(٥) ذكر النووى ما يستنبط من هذا الحديث مما يلقى ضوءًا على موضوعنا فقال :

« فيه فوائد منها إثبات سنة الظهر بعدها . ومنها أن السنن إذا فاتت يستحب قضاؤها وهو الصحيح عندنا ، ومنها أن الصلاة التى لها سبب لا تكره فى وقت النهى ، وإنما يكره مالا سبب لها ، وهذا الحديث هو عمدة أصحابنا فى المسألة وليس لنا أصح دلالة منه ودلالته ظاهرة ، فإن قيل : =

= فقد داوم النبي - ﷺ - عليها ولا تقولون بهذا قلنا : لأصحابنا في هذا وجهان حكاهما المتولى وغيره ، أحدهما : القول به فيمن دأبه سنة راتية فقضاها في وقت النهي كان له أن يداوم على صلاة مثلها في ذلك الوقت ، والثاني : وهو الأصح الأشهر ليس له ذلك ، وهذا من خصائص رسول الله - ﷺ - وتحصل الدلالة بفعله - ﷺ - في اليوم الأول فإن قيل هذا خاص بالنبي - ﷺ - قلنا الأصل الاقتداء به - ﷺ - وعدم التخصيص حتى يقوم دليل به ، بل هنا دلالة ظاهرة على عدم التخصيص وهي أنه - ﷺ - بين أنها سنة الظهر ولم يقل هذا الفعل مختص بي وسكوته ظاهر في جواز الاقتداء ، ومن فوائده أن صلاة النهار مثني مثني كصلاة الليل وهو مذهبنا ومذهب الجمهور وقد سبقت المسألة ومنها أنه إذا تعارضت المصالح والمهمات بدىء بأهمها ، ولهذا بدأ النبي - ﷺ - بحديث القوم في الإسلام وترك سنة الظهر حتى فات وقتها لأن الاشتغال بإرشادهم وهدايتهم وقومهم إلى الإسلام أهم . قولها (ماترك رسول الله - ﷺ - الركعتين بعد العصر عندى قط) يعنى بعد يوم وقد عبد القيس . قوله (سألت عائشة عن السجدين اللتين كان رسول الله - ﷺ - يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم إنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر) هذا الحديث ظاهر في أن المراد بالسجدين ركعتان هما سنة العصر قبلها . وقال القاضى (عياض) ينبغي أن تحمل على سنة الظهر ، كما في حديث أم سلمة ؛ ليتفق الحديثان ، وسنة الظهر تصح تسميتها أنها قبل العصر .

٤ - إنكارها الوصية لعلی - رضی الله عنه - :

روى الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي عاصم السبيل في كتاب الوصايا من المسند قال : حدثنا ابن عُليّة ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، عن الأسود قال : ذكر عند عائشة أن عليّاً كان وصيّاً فقالت : متى أوصى إليه ؟ لقد كنت مسندته في حجرى فأنْحَنَّتْ نفسه فمات - ﷺ ، فمتى أوصى إليه ؟ (١) .

وأخرج من جهة مسروق عنها قالت : ما أوصى رسول الله - ﷺ بشيء (٢) وعن أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس مثله (٣) .

وقد بين ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة أن الشيعة زعموا أن من النصوص الدالة على خلافة علي قوله - ﷺ - لعلی : أنت أخي ووصي ، وخليفتي ، وقاضي ديني ، وقوله : أنت سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وقوله : سلموا عليّ بإمرة الناس (٤) .

(١) الإجابة (ص : ٧٢) .

(٢) المصدر السابق (ص ٧٢) .

(٣) المصدر السابق (ص ٧٢) .

(٤) الصواعق المحرقة ، في الرد على أهل البدع والزندقة : أحمد بن الهيثمي (ت ٩٧٤) دار الكتب العلمية بيروت (ص : ٧٥) .

وقد رد علي - رضی الله عنه - في حياته هذه الافتراءات ، وكذلك من أهل بيته من ردها : أخرج جمع ، كالدارقطني ، وابن عساكر والذهبي وغيرهم : أن عليّاً لما قام بالبصرة قام إليه رجل ، فقال له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الأمر وعلى الأمة تضرب بعضهم ببعض ، أعهد من رسول الله - ﷺ - عهده إليك ، فحدثنا ، فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت .

فقال : أما أن يكون عندي عهد من النبي - ﷺ - عهده إلى في ذلك ، فلا ، والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي منه عهد في ذلك ماترت أخا بني تميم ابن مرة وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتهم بيدي ، ولو لم أجد إلا بردتي هذه ، ولكن رسول الله - ﷺ - لم يقتل قتلاً ، ولم يميت فجأة ، مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن أو بلال يؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر ليصلي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر ، فأبى وغضب وقال : أنتن صواحب يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فلما قبض رسول الله - ﷺ - نظرنا في أمورنا ، فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله - ﷺ - لدينا ، وكانت =

= الصلاة عظم الإسلام ، وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر - رضى الله عنه - وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه منا اثنان . وفى رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان ، وفى رواية : فاخترنا لديننا من اختاره - ﷺ - لديننا ، فأديت إلى أبى بكر حقه وعرفت له طاعته ، وغزوت معه فى جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى ، فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان ، فأديت له حقه وعرفت طاعته وغزوت معه فى جيوشه وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى ، فلما قبض تذكرت فى نفسى قرابتى وسابقتى وفضلى وأنا أظن أن لا يعدل بى ، ولكن خشى أن لا يعمل الخليفة بعده شيئاً إلا لحقه فى قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة لآثر ولده بها ، ويرى منها لرهط أنا أحدهم ، وظننت أن لا يعدلوا بى ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف موثيق على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم بايع عثمان فنظرت فإذا طاعنى قد سبقت بيعتى وإذا ميثاقى قد أخذ لغيرى فبايعنا عثمان ، فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه فى جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى فلما أصيب نظرت ، فإذا الخليفان اللذان أخذاهما بعهد رسول الله - ﷺ - إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذى أخذ له ميثاقى قد أصيب ، فبايعنى أهل الحرمين ، وأهل هذين المصرين . أى الكوفة والبصرة ، فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ، ولا علمه كعلمى ، ولا سابقته كسابقتى ، وكنت أحق بها منه - يعنى معاوية .

وأخرجه أيضاً هؤلاء وإسحاق بن راهويه من طرق أخرى . قال الذهبى ، وهذه طرق يقوى بعضها بعضاً قال : وأصحها مارواه إسماعيل بن عليه وذكره وفيه أنه لما قيل لعلى : أخبرنى عن مسيرك هذا أعهد عهدك إليك النبى - ﷺ - أم رأى رأيته ؟ فقال : بل رأى رأيته .

وأخرج أحمد عنه أنه قال يوم الجمل : لم يعهد إلينا - رسول الله - ﷺ - عهداً نأخذ به فى الإمارة ، ولكن شئاً رأينا من قبل أنفسنا .

وأخرج الهروى والدارقطنى نحوه بزيادة ، فهذه الطرق كلها عن على متفقة على نفي النص بإمامته . ووافقته على ذلك علماء أهل بيته :

فقد أخرج أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط أنه لما قيل له فى إن خير : من كنت مولاه فعلى مولاه نص فى إمامة على ، فقال : أما والله لو يعنى النبى - ﷺ - بذلك الإمارة والسلطان لأفصح لهم به ، فإن رسول الله - ﷺ - كان أنصح الناس للمسلمين ، ولقال لهم : أيها الناس هذا ولى أمرى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا له وأطيعوا ما كان من هذا شئ ، فوالله إن كان الله ورسوله اختاراً علياً لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علياً أمر الله ورسوله أن يقوم به أو يعذر فيه إلى المسلمين كان أعظم الناس خطيئة لعلى ؛ إذ ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك . =

ولا يبعد أن تكون السيدة عائشة قد ردت على هذا ، أو على بعضه بما علمته من سنة رسول الله - ﷺ - الصحيحة ، وأخذتها منه - ﷺ - مباشرة .
 ومما لاشك فيه أن الشيعة نُموا هذه الأكاذيب ، وإنكار السيدة عائشة يبقى ردًا على هؤلاء .

ويمكنني أن أقول : إن رد السيدة عائشة كان فيه وأد لهذه الأباطيل فلم تتناقل ، وأعرض عنها أهل الحديث ، ولم يرووها في كتبهم إلا في معرض الرد .
 ويحسن بنا أن ننقل رد ابن حجر الهيتمي على الشيعة في هذا المجال وأنه ليست هناك وصية لعلي - رضى الله عنه - قال :

« إن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراه عليه - ﷺ - ألا لعنة الله على الكاذبين ، ولم يقل أحد من أئمة الحديث إن شيئًا من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها، بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء .
 فإن زعم هؤلاء الجهلة الكذبة على الله ورسوله وعلى أئمة الإسلام ومصايح الظلام أن هذه الأحاديث صحت عندهم . قلنا لهم : هذا محال في العادة ؛ إذ كيف تتفردون بعلم صحة تلك مع أنكم لم تتصفوا قط برواية ولا صحبة مُحدِّث ، ويجهل ذلك مهرة الحديث وسباقه الذين أفنوا أعمارهم في الأسفار البعيدة لتحصيله ، وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعي إلى كل من ظنوا عنده شيئًا منه ، حتى جمعوا الأحاديث ونقبوا عنها وعلموا صحيحها من سقيمها ، ودونوها في

= وفي رواية عنه : ولو كان هذا الأمر كما تقول ، وأن الله اختار عليًا للقيام على الناس لكان على أعظم الناس خطيئة أن ترك أمر رسول الله - ﷺ - ولم يقم به ، فقال الرجل : ألم يقل رسول الله - ﷺ - : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فقال الحسن : أما والله لو عنى به القيام على الناس والإمرة لأفصح به وأفصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ، ولقال : أيها الناس إن عليًا ولي أمركم من بعدى والقائم في الناس بأمرى فلا تعصوا أمرى .

وأخرج الدارقطني عن أبي حنيفة أنه لما قدم المدينة سأل أبا جعفر الباقر عن أبي بكر وعمر ، فترحم عليهما فقال له أبو حنيفة : إنهم يقولون عندنا بالعراق إنك تتبرأ منهما ، فقال : معاذ الله كذبوا ورب الكعبة ثم ذكر لأبي حنيفة أن تزويج علي بنته أم كلثوم بنت فاطمة من عمر وأنه لو لم يكن لها أهلًا ما زوجه إياها يقطع ببطلان مازعمه الرافضة وإلا لكان قد تعاطى تزويج بنته من كافر على زعمهم الفاسد (الصواعق المحرقة) : (ص ٧٠ - ٧٢) .

كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير ، وكيف والأحاديث الموضوعية جاوزت مئات الألوف وهم مع ذلك يعرفون واضح كل حديث منها وسبب وضعه الحامل لوضعه على الكذب والافتراء على نبيه - ﷺ - فجزأهم الله خير الجزاء وأكمله ؛ إذ لولا حسن صنيعهم هذا لاستولى المبطلون والمتمردون المفسدون على الدين وغيروا معالمه وخلطوا الحق بكذبهم حتى لم يتميز عنه ، فضلوا وأضلوا ضلالاً مبيئاً ، لكن لما حفظ الله على نبيه - ﷺ - شريعته من الزيغ والتبديل بل والتحريف ، وجعل من أكابر أمته في كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم لم يبال الدين بهؤلاء الكذبة البظلة الجهلة ، ومن ثم قال - ﷺ - : « تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها بعد إلا هالك » .

« ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحاً على خلافة أبي بكر كخبر : اقتدوا باللذين من بعدي ، وغيره من الأخبار الناصّة على خلافته قالوا : هذا خبر واحد فلا يغني فيما يطلب فيه التعيين ، وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة علي أتوا بأخبار تدل لزعمهم كخبر : « من كنت مولاه » ، وخبر : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ، مع أنها آحاد ، وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الآحاد فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح ؛ لكنهم لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد ، وإن أجمع أهل الحديث والأثر على أنه كذب موضوع مختلف ، ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد ، وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر رواته تحكماً وعناداً وزيفاً عن الحق ، فقالتهم الله ما أجهلهم وأحمقهم » ^(١) .

وهكذا سنرى أن رد السيدة عائشة يفيد كثيراً في الرد على هؤلاء في ادعاءاتهم الباطلة التي يرددونها في كتبهم ، ويدعون أنها عن رسول الله - ﷺ .

(١) المصدر السابق : (ص: ٧٥ - ٧٦) .

٥ - من أهدى هديًا وهو مقيم :

أخرج البخارى ومسلم كلاهما من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن زياد بن أبى سفيان كتب إلى عائشة : أن عبد الله بن عباس قال : من أهدى هديًا حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر الهدى ، وقد بعثت بهدى فاكتبى لى بأمرك .
 قالت عمرة : قالت عائشة : ليس كما قال ابن عباس : أنا فتلت قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدي ، ثم قلدها رسول الله - ﷺ - بيده ، ثم بعث بها مع أبى ، فلم يَحْرُمُ على رسول الله - ﷺ - شىء أحله الله له حتى نحر الهدى (١) .

وترجم عليه البخارى « باب من قلد القلائد بيده » ولم يذكر فيه وقد بعثت بهدى فاكتبى إلى بأمرك .

وفى رواية قالت فى ردها : « أَوْلَهُ كعبة يطوف بها » ؟ (٢) .

وأخرج البيهقى فى سننه عن شعيب قال : قال الزهرى : أول من كشف العُمى عن الناس وبين لهم السنة فى ذلك عائشة - رضى الله عنها - : فأخبرنى عروة وعمرة أن عائشة قالت : إني كنت لأفتل قلائد هدى النبى - ﷺ - فبيعت بهديه مقلدًا وهو مقيم بالمدينة ، ثم لا يجتنب شيئًا حتى ينحر هديه فلما بلغ الناس قول عائشة هذا أخذوا به وتركوا فتوى ابن عباس (٣)

قال البيهقى : وروى فى هذا المعنى مسروق والأسود عن عائشة (٤) .

وهكذا رأت السيدة عائشة أن ما عندها من السنة يعارض ما روى عن رسول الله - ﷺ - من أن يرسل هديه وهو مقيم يقيم حرامًا حتى ينحر هديه .

(١) خ : (١٠٩/١) (٥١٩/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٠٩) باب من قلد القلائد بيده رقم (١٧٠٠) .
 م : (٩٥٩/٢) (١٥) كتاب الحج - (٦٤) باب استحباب بعث الهدى إلى الحرم لمن يريد الذهاب بنفسه ، رقم (١٣٢١/٣٦٩) .

(٢) عزاه ابن حجر إلى سعيد بن منصور (٦٣٨/٣) .
 ورواها البيهقى فى السنن الكبرى من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضى الله عنها - (٢٣٣/٥ - ٢٣٤) .

(٣) السنن الكبرى (٢٣٤/٥) كتاب الحج - باب لا يصير الإنسان بتقليد الهدى وإشعاره وهو لا يريد الإحرام محرماً .

(٤) المصدر السابق - الموضوع السابق نفسه .

قال ابن حجر في شرحه معلقاً على ترجمة البخارى « باب من قلد القلائد بيده » قال : « والغرض بهذه الترجمة أنه كان عالمًا بابتداء التقليد ليرتب عليه ما بعده . قال ابن التين : يحتمل أن يكون قول عائشة « ثم قلدها بيده » بياناً لحفظها الأمر ، ومعرفتها به ، ويحتمل أن تكون أرادت أنه - ﷺ - تناول ذلك بنفسه أو علم وقت التقليد . ومع ذلك لم يمتنع من شيء يمتنع منه المحرم ؛ لئلا يظن أحد أنه استباح ذلك قبل أن يعلم بتقليد الهدى (١) .

وأنكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - فى موقف آخر هذا الأمر :
 فقد روى البخارى بسنده عن مسروق أنه أتى عائشة فقال لها : يأمر المؤمنين ، إن رجلاً يبعث بالهدى إلى الكعبة ، ويجلس فى المصر ، فيوصى أن تقلد بدنته ، فلا يزال من ذلك اليوم مُحْرِمًا حتى يحل الناس ، قال : فسمعت تصفيقها من وراء الحجاب ، فقالت : لقد كنت أفتل قلائد هدى رسول الله - ﷺ - فيبعث هديه إلى الكعبة فما يحرم عليه مما حلّ للرجال من أهله حتى يرجع الناس (٢) .

ولفظ الطحاوى فى حديث مسروق قال : قلت لعائشة : إن رجلاً هبنا يبعثون بالهدى إلى البيت ، ويأمرون الذى يبعثون معه بمَعْلَمٍ لهم يقلدها فى ذلك اليوم ، فلا يزالون محرمين حتى يحل الناس (٣) .

ولم تكن عائشة - رضى الله عنها - وحدها التى تعلم ذلك ، فبذلك يقول ابن مسعود وأنس وابن الزبير ، وآخرون - قالوا : لا يصير بذلك مُحْرِمًا (٤) .
 وروى مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ، عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير أنه رأى رجلاً متجردًا بالعراق ، فسأل عنه ، فقالوا

(١) فتح البارى (٣/٦٣٧) .

(٢) خ (٩/٤) (٧٣) كتاب الأضاحى (١٥) باب إذا بعث بهديه ليذبح لم يحرم عليه شيء .

(٣) شرح معانى الآثار للطحاوى (٢/٢٦٥) كتاب الحج - باب الرجل يوجه بالهدى إلى مكة

ويقيم فى أهله .

(٤) فتح البارى : (٣/٦٣٨) .

إنه أمر بهديه أن يقلد . قال ربيعة : فلقيت عبد الله بن الزبير ، فذكرت له ذلك فقال : بدعة ورب الكعبة (١) .

وروى ابن أبي شيبة ، عن الثقفى ، عن يحيى بن سعيد ، أخبرنى محمد بن إبراهيم أن ربيعة أخبره أنه رأى ابن عباس وهو أمير على البصرة فى زمان على متجرّدًا على منبر البصرة ... فذكره (٢) . فعرف بهذا الاسم المبهم فى رواية مالك ، وأنه ابن عباس .

قال ابن التين : « خالف ابن عباس فى هذا جميع الفقهاء ، واحتجت عائشة بفعل النبى - ﷺ - وما روته فى ذلك يجب أن يصار إليه ، ولعل ابن عباس رجع عنه (٣) .

وتعقبه ابن حجر فقال : وفيه قصور شديد ؛ فإن ابن عباس لم ينفرد بذلك ، بل ثبت ذلك عن جماعة من الصحابة ، منهم ابن عمر الذى كان إذا بعث بالهدى يمسك عما يمسك عنه المحرم ، إلا أنه لا يلبس ، ومنهم قيس بن سعد ، كما روى ذلك عن عمر وعلى - وإن كان منقطعًا .

قال ابن المنذر : قال عمر ، وعلى ، وقيس بن سعد ، وابن عمر ، وابن عباس ، والنخعى ، وعطاء ، وابن سيرين ، وآخرون : من أرسل الهدى ، وأقام حُرْمَ عليه ما يحُرْم على المحرم (٤) .

هذا ، ومما يرد به المخالفون لعائشة ما روى عن جابر :

روى الطحاوى بسنده فى معانى الآثار عن جابر بن عبد الله قال : كنت عند النبى - ﷺ - جالسًا فقد قميصه من جيبه حتى أخرجه من رجليه ، فنظر القوم إلى النبى - ﷺ - فقال : إنى أمرت يئذنى التى بعثت بها أن تقلد اليوم وتشعر

(١) موطأ الإمام مالك (٣٤١/١) (٢٠) كتاب الحج - (١٥) باب مالا يوجب الإحرام من تقليد الهدى رقم (٥٣) .

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٨٥/٤ - ٨٦) كتاب الحج - من كان يمسك عما يمسك المحرم .

(٣) فتح البارى (٦٣٨/٣) .

(٤) المصدر السابق (٦٣٨/٣)

على مكان كذا وكذا ، فلبست قميصي ونسيت ، فلم أكن لأخرج قميصي من ورائي « وكان بعث بيده وأقام بالمدينة ^(١) .

ولكن هذا حديث ضعيف لا يقاوم ذلك الصحيح . قال البخاري : « عبد الرحمن بن عطاء فيه نظر » وقال الطحاوي : « قد تواترت الآثار عن عائشة بما لم تتواتر عن غيرها بما يخالف حديث جابر ، وحديث عائشة إسناده صحيح بلا خلاف بين أهل العلم ، ومعه النظر والمعنى ^(٢) .

ومما يضعف حديث جابر حديث يعلى بن مرة أن النبي - ﷺ - لم يأمر صاحب الجبة إلا بنزعها ^(٣) .

ومهما يكن من أمر فقد وضعت السيدة عائشة - رضی الله عنها - أساساً لتوثيق السنة ، وهو الاحتكام بما علمته مشاهدة عن رسول الله - ﷺ .

* * *

(١) شرح معاني الآثار (٢/٢٦٤) كتاب الحج - باب الرجل يوجه بالهدى إلى مكة ويقيم في أهله ، هل يتجرد إذا قلد الهدى ؟
 (٢) الإجابة : (ص ٧٤) .
 (٣) المصدر السابق (ص : ٧٥) .

٦ - ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾

أخرج البخارى فى التفسير عن ابن أبى مليكة قال : قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ﴿ حَتَّى إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ [سورة يوسف : ١١٠] خفيفة ذهب بها هناك ، وتلا ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] فلقبت عروة بن الزبير ، فذكرت ذلك له .

فقال : قالت عائشة : معاذ الله ، والله ما وعد الله رسوله من شىء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسول حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرؤها ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا ﴾ مُثَقَّلَةً - أى مشددة (١) .

ورواه كذلك فى كتاب التفسير فى تفسير سورة يوسف بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها قالت له ، وهو يسألها عن قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ قال : قلت : أكذبوا ، أم كُذِّبوا ؟ قالت عائشة « كُذِّبوا » قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم ، فما هو بالظن . قالت : أجل لعمرى ، لقد استيقنوا بذلك ، فقلت لها : وظنوا أنهم قد كُذِّبوا ؟ قالت معاذ الله ، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها . قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم . فطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كُذِّبوا ، جاءهم نصر الله عند ذلك (٢) .

(١) خ : (٢٠١/٣) (٦٥) كتاب التفسير (٣٨) سورة البقرة - (٣٨) باب ﴿ أَمْ حَبِئْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالنَّصْرَ ﴾ إلى ﴿ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة - آية ٢١٤] رقم الحديث (٤٥٢٤ - ٤٥٢٥) .

وقوله « ذهب بها هناك - أى أشار إلى السماء ، كما جاءت بعض الروايات .

(٢) خ (٢٤٥/٣) (٦٥) كتاب التفسير - تفسير سورة يوسف (٦) باب (حتى إذا استيأس الرسل) - رقم (٤٦٩٥) .

وفى رواية : عن عروة : فقلت : لعلها : كُذِّبُوا مخففة ؟ قالت : معاذ الله ... نحوه (١) .

فظاهر قراءة التخفيف أن الرسل ظنوا أن مجاءهم من الرسالة كذب ولا أساس له ، أى شكوا فيما جاءهم من الوحي ، وهذا غير جائز على الرسل ، ولذلك تمسكت عائشة بقراءة التشديد ؛ أى ظنوا أنهم كذبهم قومهم الذين آمنوا بهم من قبل . ولا شك أن ما قرأت به إنما هو ما علمته من رسول الله ﷺ . وهذا هو ما يعيننا هنا أنها ردت قراءة تنسب إلى رسول الله ﷺ - بقراءة علمتها من رسول الله ﷺ .

وقراءة الكثيرين على التخفيف « كُذِّبُوا » على معنى : وظن أتباع الرسل أن الرسل كذبوا عليهم . فالواو فى « وظنوا » راجعة إلى أتباع الرسل ، وليس إلى الرسل ، وعلى هذا يندفع المحذور الذى بينته عائشة - رضى الله تعالى عنها - وقد فهم ابن عباس هذا الفهم ، أى إن أتباع الرسل هم الذين ظنوا أن رسلهم كذبوهم .

وقد أفاض ابن حجر - رحمه الله - فى بيان ذلك فى شرح الحديث فى فتح البارى (٢١٨/٨ - ٢٢٠) ويحسن بنا أن ننقل كلامه فى هذا الصدد فى الهامش ليتبين موقف كل من الصحابة الذين اختلفوا فى هذه المسألة ، وأن الجميع نزهاوا الرسل من أن يكونوا ظنوا أن ما جاءهم ليس صدقاً (٢) .

(١) خ : (الموضع السابق) رقم الحديث (٤٦٩٦) .

(٢) قال ابن حجر فى الفتح (٢١٨/٨ - ٢١٩) زاد الإسماعيلي : « قلت فهى مخففة ؟ ، قالت معاذ الله » وهذا ظاهر فى أنها أنكرت القراءة بالتخفيف بناء على أن الضمير للرسل ، وليس الضمير للرسل على ما بينته ولا لإنكار القراءة بذلك معنى بعد ثبوتها . ولعلها لم يبلغها من يرجع إليه فى ذلك . وقد قرأها بالتخفيف أئمة الكوفة من القراء عاصم ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي ، ووافقهم من الحجازيين أبو جعفر بن القعقاع ، وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمى والحسن البصرى ومحمد بن كعب القرظى فى آخرين .

وقال الكرماني : لم تنكر عائشة القراءة ، وإنما أنكرت تأويل ابن عباس . كذا قال ، وهو خلاف الظاهر ، وظاهر السياق أن عروة كان يوافق ابن عباس فى ذلك قبل أن يسأل عائشة ، ثم لا يدري رجوع إليها أم لا .

= وروى ابن أبي حاتم من طريق يحيى بن سعيد الأنصارى قال : جاء رجل إلى القاسم بن محمد فقال له : إن محمد بن كعب القرظى يقرأ ﴿ كَذَّبُوا ﴾ بالتخفيف فقال : أخبره عنى أنى سمعت عائشة تقول ﴿ كَذَّبُوا ﴾ مثقلة أى كذبتهم أتباعهم . وقد تقدم فى تفسير البقرة من طريق ابن أبى مليكة قال « قال ابن عباس : ﴿ حَتَّى إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ خفيفة قال ذهب بها هنالك » وفى رواية الأصيلى « بما هنالك » بيم بدل الهاء وهو تصحيف . وقد أخرجه النسائى والإسماعيلى من هذا الوجه بلفظ « ذهب ههنا - وأشار إلى السماء - وتلا ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ » وزاد الإسماعيلى فى روايته « ثم قال ابن عباس كانوا بشراً ضعفا وأسوا وظنوا أنهم قد كذبوا » وهذا ظاهره أن ابن عباس كان يذهب إلى أن قوله متى نصر الله مقول الرسول ، وإليه ذهب طائفة . ثم اختلفوا فقول الجميع مقول الجميع ، وقيل الجملة الأولى مقول الجميع والأخيرة من كلام الله .

وقال آخرون الجملة الأولى وهى ﴿ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾ مقول الذين آمنوا معه . والجملة الأخيرة وهى ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ مقول الرسول ، وقدم الرسول فى الذكر لشرفه وهذا أولى ، وعلى الأول فليس قول الرسول ﴿ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾ شكاً بل استبطاء للنصر وطلباً له ، وهو مثل قوله - ﷺ يوم بدر « اللهم أنجز لى ما وعدتنى » .

« قال الخطائى : لاشك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تُكذَّب بالوحى ، ولا شك فى صدق الخبر ، فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النصر وشدة استعجاز من وعدوا به توهموا أن الذى جاءهم من الوحى كان حساباً من أنفسهم ، وظنوا عليها الغلط فى تلقى ماورد عليهم من ذلك ، فيكون الذى بنى له الفعل أنفسهم لا الآتى بالوحى ، والمراد بالكذب الغلط لا حقيقة الكذب كما يقول القائل : « كذبتك نفسك » .

قلت : ويؤيده قراءة مجاهد ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ بفتح أوله مع التخفيف أى غلطوا ، ويكون فاعل ﴿ وَظَنُّوا ﴾ الرسل ، ويحتمل أن يكون أتباعهم . ويؤيده مارواه الطبرى بأسانيد متنوعة من طريق عمران بن الحارث وسعيد بن جبير وأبى الضحى وعلى بن أبى طلحة والعرفى كلهم عن ابن عباس فى هذه الآية قال : أيس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسل كذبوا . وقال الزمخشرى : إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهيجس فى النفس من الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية ، وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلاً عن الرسول .. وقال أبو نصر القشبرى ولا يبعد أن المراد خطر بقلب الرسل فصرفه عن أنفسهم ، أو المعنى قربوا من الظن كما يقال بلغت المنزل إذا قربت منه . وقال الترمذى الحكيم : وجهه أن الرسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النصر أن يتخلف النصر ، لا من تهمة يوعده الله بل لتهمة النفوس أن تكون قد أحدثت حدثاً ينقض ذلك الشرط ، فكان الأمر إذا طال واشتد البلاء عليهم دخلهم الظن من هذه الجهة .

= قلت : ولا يظن بابن عباس أنه يُجَوِّزُ على الرسول أن نفسه تحدّثه بأن الله يخلف وعده ، بل الذى يظن بابن عباس أنه أراد بقوله « كانوا بشرًا » إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل ، وقول الراوى عنه « ذهب بها هناك » أى إلى السماء معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملكِ تَخَلَّفَ ، ولا مانع أن يقع ذلك فى خواطر بعض الأتباع . وعجب لابن الأنبارى فى جزمه بأنه لا يصح . ثم الزمخشرى فى توقفه عن صحة ذلك عن ابن عباس ، فإنه صح عنه ، ولكن لم يأت عنه التصريح بأن الرسل هم الذين ظنوا ذلك ولا يلزم ذلك من قراءة التخفيف ، بل الضمير فى « وظنوا » عائد على المرسل إليهم ، وفى « وكذبوا » عائد على الرسل أى وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا ، أو الضمائر للمرسل والمعنى يئس الرسل من النصر وتوهما أن أنفسهما كذبتهم حين حدثتهم بقرب النصر ، أو كذبهم رجاؤهم . أو الضمائر كلها للمرسل إليهم أى يئس الرسل من إيمان من أرسلوا إليه ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم فى جميع ما ادعوه من النبوة والوعد بالنصر لمن أطاعهم والوعيد بالعذاب لمن لم يجيبهم ، وإذا كان ذلك محتملاً وجب تنزيه ابن عباس عن تجويزه ذلك على الرسل ، ويحمل إنكار عائشة على ظاهر مساقها من إطلاق المنقول عنه .

وقد روى الطبرى أن سعيد بن جبيرة سئل عن هذه الآية فقال : يئس الرسل من قومهم أن يصدقوهم ، وظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوا . فقال الضحاك بن مزاحم لما سمعه : لو رحلت إلى اليمن فى هذه الكلمة لكان قليلاً . فهذا سعيد بن جبيرة وهو من أكابر أصحاب ابن عباس العارفين بكلامه حمل الآية على الاحتمال الأخير الذى ذكرته . وعن مسلم بن يسار أنه سأل سعيد بن جبيرة فقال له : آية بلغت منى كل مبلغ ، فقرأ هذه الآية بالتخفيف ، قال فى هذا ألوت أن تظن الرسل ذلك ، فأجابته بنحو ذلك ، فقال : فرجت عنى فرج الله عنك ، وقام إليه فاعتنقه . وجاء ذلك فى رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نفسه ، فعند النسائى من طريق أخرى بإسناد حسن عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فى قوله : ﴿ قَدْ كَذَبُوا ﴾ قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .

٧ - عمرات رسول الله - ﷺ - :

أخرج البخارى ومسلم بسنديهما عن مجاهد قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد - فإذا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - جالس إلى حجرة عائشة وإذا ناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى ، قال : فسألناه عن صلاتهم فقال : بدعة ، ثم قال له : كم اعتمر رسول الله - ﷺ - ؟ قال : أربعًا إحداهن فى رجب ، فكرهنا أن نرد عليه .

قال : وسمعنا استئان عائشة أم المؤمنين فى الحجرة ، فقال عروة : يا أمه يا أم المؤمنين ، ألا تسمعين مايقول أبو عبد الرحمن ؟ قالت : مايقول ؟ قال : يقول : إن رسول الله - ﷺ - اعتمر أربع عمرات إحداهن فى رجب . قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده ، وما اعتمر فى رجب قط ^(١) . قال ابن الجوزى : سكوت ابن عمر لا يخلو من حالين : إما أن يكون شك فسكت ، أو يكون ذكر بعد النسيان فرجع بسكوته إلى قولها ، وعائشة قد ضبطت هذا ضبطًا جيدًا ^(٢) .

وقال أنس : اعتمر رسول الله - ﷺ - أربع عمر فى ذى القعدة إلا التى اعتمر مع حجته : عمرته من الحديبية ، ومن العام المقبل ، ومن الجفرانة حيث قسم غنائم حنين ، وعمرته مع حجته ^(٣) . وهذا يدل على حفظ عائشة - رضى الله عنها .

وقد استشكل ابن التين الاستثناء فى حديث أنس ، فقال : هو كلام زائد ، والصواب أربع عمر ، فى ذى القعدة عمرة الحديبية ... الحديث . قال : وقد عدت التى مع حجته فى الحديث فكيف يستثنىها أولًا ؟ وأجاب القاضى عياض بأن الرواية صواب ، وكأنه قال : فى القعدة منها ثلاث ، والرابعة عمرته فى حجته ^(٤) . وقد جاء الإنكار منها رضى الله عنها على ابن عمر رضى الله عنهما من وجه آخر :

(١) خ (١/٥٣٧) (٥٣٨) - (٢٦) كتاب العمرة (٣) باب كم اعتمر النبى - ﷺ - رقم (١٧٧٥ - ١٧٧٦) .

(٢) نقله عنه الزركشى فى الإجابة (ص : ٩٣) .

(٣) خ : (٣/٧٠٢) فى الكتاب والباب السابقين رقم (١٧٨٠) .

(٤) فتح البارى (٣/٤٠٧) .

فقد أخرج أبو داود (١) والنسائي (٢) من جهة مجاهد قال : سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله - ﷺ - ؟ فقال مرتين ، فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قد اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع .
 وهكذا أنكرت العدد والشهر الذي حدث فيه إحدى عمره - ﷺ - .
 قال ابن حجر : ويمكن تعدد السؤال بأن يكون ابن عمر سئل أولاً عن العدد فأجاب ، فردت عليه عائشة ، فرجع إليها ، فسئل مرة ثانية فأجاب بموافقته ، ثم سئل عن الشهر فأجاب بما في ظنه .
 وقد أخرج أحمد من طريق الأعمش ، عن مجاهد قال : سأل عروة بن الزبير ابن عمر في أى شهر اعتمر النبي - ﷺ - ؟ قال : في رجب (٣) .
 وفي هذا الحديث أن الصحابي الجليل المكثرالشديد الملازم للنبي - ﷺ - قد يخفى عليه بعض أحواله ، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم . وفيه رد بعض العلماء على بعض ، وحسن الأدب في الرد ، وحسن التلطف في استكشاف الصواب إذا ظن السامع خطأ المحدث .
 وقال النووي : سكوت ابن عمر على إنكار عائشة يدل على أنه كان اشتبه عليه أو نسي أو شك .
 وقال القرطبي : عدم إنكاره على عائشة يدل على أنه كان على وهم ، وأنه رجع لقولها ، وقد تعسف من قال : إن ابن عمر أراد بقوله « اعتمر في رجب » عمرة قبل هجرته ؛ لأنه وإن كان محتملاً لكن قول عائشة : ما اعتمر في رجب يلزم منه عدم مطابقة ردها عليه لكلامه ، ولا سيما وقد بينت الأربع ، وأنها لو كانت قبل الهجرة فما الذي يمنعه أن يفصح بمراده فيرفع الإشكال ؟ وأيضاً فإن قول هذا القائل : لأن قريشاً كانوا يعتمرون في رجب يحتاج إلى نقل ، وعلى تقديره فمن أين له أنه - ﷺ - وافقهم ؟ وهب أنه وافقهم فكيف اقتصر على مرة ؟ (٤) .

(١) د: (٥٠٥/٢ - ٥٠٦) (٥٩ كتاب المناسك - (٨٠) باب العمرة . رقم (١٩٩٢) .
 (٢) س : (الكبرى) (٤٧٠/٢) (٢٨) كتاب الحج - أبواب العمرة - (٢٨٢) كم عمرة اعتمر النبي - ﷺ - رقم (٤٢١٨) .
 (٣) فتح الباري : (٧٠٣/٣) .
 (٤) المصدر السابق (٧٠٥/٣) .

٨ - من تبع جنازة فله قيراط :

وهذا من الأمثلة التي تختلف عن الأمثلة السابقة في كون عائشة - رضی الله عنها - لم تنكرها كما أنكرت في المرات السابقة ، وإنما صدقت بعض الصحابة . وهذا نوع من التوثيق ؛ إذ أنه يوجد إنكار على بعض الصحابة أن يكون ما يرويه عن رسول الله - ﷺ - إنما هو صحيح ، فنبتت السيدة عائشة هذا الصحابي في روايته وثبتت من يرويه .

أخرج الشيخان من طريق نافع قال : قيل لابن عمر : إن أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « من تبع جنازة فله قيراط من الأجر » فقال ابن عمر : « أكثر علينا أبو هريرة » فبعثت إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة ، فقال ابن عمر : « لقد فرطنا في قراريط كثيرة » (١) .

وأخرجه مسلم أيضًا ، عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه : أنه كان قاعدًا عند عبد الله بن عمر ، إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال : يا عبد الله ابن عمر ، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ إنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول : من خرج مع جنازة من بيتها ، وصلى عليها ، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد « فأرسل ابن عمر خبابًا إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت ، وأخذ ابن عمر قبضة من حصي المسجد يقلبها في يده ، حتى رجع إليه الرسول فقال : قالت عائشة : « صدق أبو هريرة » فضرب ابن عمر بالحصي الذي كان في يده الأرض وقال : « لقد فرطنا في قراريط كثيرة » (٢)

وقوله « أكثر علينا أبو هريرة » قال ابن التين : لم يتهمه ابن عمر ، بل خشى عليه السهو ، أو قال ذلك لكونه لم ينقل له عن أبي هريرة أنه رفعه ، فظن أنه قال برأيه ، فاستنكره (٣) .

(١) خ : (٤٠٧/١) (٢٣) كتاب الجنائز - (٥٧) باب فضل اتباع الجنائز - رقم (١٣٢٣) .

م : (٦٥٣/٢) (١١) كتاب الجنائز (١٧) باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها - رقم (٥٥/٥٥)

(٩٤٥) .

(٢) م : (٦٥٣/٢ - ٦٥٤) في الكتاب والباب السابقين - رقم (٩٤٥/٥٦) .

(٣) فتح (٢٣٢/٣)

وتعقب ابن حجر قوله « لم ينقل له عن أبي هريرة أنه رفعه » فقال : إنه جمود على سياق رواية البخارى ؛ لأن فى رواية مسلم أنه رفعه ، وكذا فى رواية خباب عن أبى هريرة عند مسلم أيضًا (١) .

وقال الكرماني : قوله « أكثر علينا » أى فى ذكر الأجر أو فى كثرة الحديث ، كأنه خشى لكثرة روايته أن يشتبه عليه بعض الأمر (٢) .

ومهما يكن من أمر فتصديق السيدة عائشة - بالإضافة إلى توثيق الحديث - شهادة لأبى هريرة بصدقه مع كثرة رواياته ، ولا عجب ، فقد كان يلزم رسول الله - ﷺ - بشعب بطنه لسماع حديثه ووعيه وحفظه .

وفى بعض روايات هذا الحديث يبين أبو هريرة هذا الأمر ؛ قال : « لم يشغلنى عن رسول الله - ﷺ - غرس الودى (٣) ، وإنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ أكلة يطعمنيها ، أو كلمة يعلمنيها ، فقال له ابن عمر : كنت ألزمنا لرسول الله - ﷺ - وأعلمنا بحديثه (٤) .

هذا ويبدو أن هذه الواقعة حفزت بعض الصحابة الآخرين إلى رواية هذا الحديث ، فقد قال ابن حجر : وقع لى من حديث ثوبان عند مسلم والبراء ، وعبد الله بن مغفل عند النسائى ، وأبى سعيد عند أحمد ، وابن مسعود عند أبى عوانة ، وأسانيد هؤلاء صحاح ، ومن حديث أبى بن كعب عند ابن ماجة ، وابن عباس عند البيهقى فى الشعب ، وأنس عند الطبرانى فى الأوسط ، ووائله بن الأسقع عند ابن عدى ، وحفصة عند حميد بن زنجوية فى فضائل الأعمال ، وفى كل من أسانيد هؤلاء الخمسة ضعف (٥) .

* * *

(١) المصدر السابق (الموضع نفسه) .

(٢) المصدر السابق (الموضع نفسه) .

(٣) الودى : صغار النخل (القاموس المحيط) .

(٤) رواه سعيد بن منصور - كما فى فتح البارى (٢٣٣/٣)

(٥) فتح البارى : (٣٣/٣) .

٩ - عدم قطع الخفين للمحرمات :

أخرج أبو داود في سننه عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سالم بن عبد الله : أن عبد الله بن عمر كان يصنع ذلك « يعني يقطع الخفين للمرأة المحرمة » .

ثم حدثته صفية بنت أبي عبيد : أن عائشة - رضی الله عنها - حدثتها « أن رسول الله - ﷺ - قد كان رخص للنساء في الخفين » فترك ذلك (١) .
 أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، وقال فيه : قال محمد بن إسحاق : حدثني الزهري . فزالت علة التدليس (٢) .

وقال الشافعي : أنا ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أنه كان يفتي النساء إذا أحرمن أن يقطعن الخفين ، حتى أخبرته صفية عن عائشة : « أنها تفتي النساء إذا أحرمن ألا يقطعن » فانتهى عنه .

أخرجه البيهقي في السنن الكبير من طريق الشافعي (٣) .
 وأخرج البيهقي أيضاً عن أبي النضر ، ثنا محمد بن راشد عن عبدة بن أبي لبابة ، عن ابن باباه المكي : أن امرأة سألت عائشة : « ماتلبس المرأة في إحرامها؟ » قالت : « تلبس من خَزَّها وبَزَّها وأصباغها وحليها » (٤) قال بعضهم : أجمعوا على أن المراد بالخطاب المذكور في اللباس الرجال دون النساء وأنه لا بأس بلباس المخيط والخفاف للنساء (٥) .

وقولها « قد رخص للنساء في الخفين » أي في لبسهما من غير قطع ، وقول صفية بنت أبي عبيد - وهي زوجة ابن عمر - : « فترك ذلك » أي الحكم بقطع الخفين للمرأة المحرمة .

(١) د : (٤١٤/٢) (٥) كتاب المناسك - (٣٢) باب ما يلبس المحرم - رقم (١٨٣١) .
 (٢) صحيح ابن خزيمة (٢٠١/٤) كتاب الحج - (٦٠٠) باب ذكر الدليل على أن النبي - ﷺ -
 - إنما رخص بالأمر بقطع الخفين للرجال دون النساء ، إذ قد أباح للنساء الخفين ، وإن وجدن نعلاً ،
 فرخص للنساء في لبس الخفاف دون الرجال . رقم (٢٦٨٦) .
 (٣) السنن الكبرى للبيهقي (٥٢/٥) كتاب الحج - باب ماتلبس المرأة المحرمة من الثياب .
 (٤) المصدر السابق (٥٢/٥) الموضوع السابق .
 (٥) الإجابة : (٩٦) .

ومعنى الرخصة هنا أى الجواز ابتداءً ، فيجوز للمرأة أن تلبس الخفين دون نظر إلى وجودها للنعلين أو عدم وجودها (١) .
وهى فى هذا تخالف الرجل ، فلا يجوز له أن يلبس الخفين إلا عند عدم وجوده للنعلين ، وهناك خلاف فى قطعهما عند ذلك (٢) .

* * *

(١) شرح السنة : الحسين بن مسعود البغوى الفراء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - المكتب الإسلامى بيروت - (٢٤٣/٧) .

(٢) المصدر السابق (٢٤٣/٧) .

١٠ - عدم الوضوء من القبلة :

أخرج الدارقطني في سننه بسنده عن عائشة أنه بلغها قول ابن عمر : في القبلة الوضوء .

فقال : كان رسول الله - ﷺ - يقبل وهو صائم ، ثم لا يتوضأ (١) . وهكذا ردت ما بلغها عن ابن عمر بما علمته يقيناً عن رسول الله - ﷺ - والحق أن الصحابة اختلفوا في كون القبلة أو اللمس لغير ذى رَحِمٍ مَحْرَمٍ ينقض الوضوء أو لا .

فيروى إيجاب الوضوء من القبلة مطلقاً عن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، والزهرى ، وعطاء ، والشعبي ، والنخعي ، وسعيد بن عبد العزيز ، والأوزاعي ؛ لعموم قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [سورة المائدة : ٦] قال ابن مسعود : القبلة من اللمس وفيها الوضوء .

ويروى عن ابن عباس وطاوس والحسن ومسروق ، وأبي حنيفة أن اللمس، ومنه القبلة لا ينقض الوضوء بحال (٣) .

وهناك روايات عن عائشة تبين أن اللمس لا ينقض الوضوء :

منها ما رواه مسلم بسنده عنها - رضى الله عنها - قالت : فقدت رسول الله - ﷺ - ليلة من الفراش فالتمسته ، فوَقعت يدي على بطن قدمه وهو في المسجد وهما منصوبتان (٤) .

وما رواه الشيخان بسنديهما عنها قالت : كنت أنام بين يدي رسول الله - ﷺ - ورجلاي في قبلته ، فإذا سجد غمزني ، فقبضت رجلي (٥) .

(١) سنن الدارقطني (١٣٦/١) باب صفة ما ينقض الوضوء ، وماروى في الملامسة والقبلة - رقم (١٠) .

(٣) الشرح الكبير على متن المقنع ؛ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢) دار الكتب العلمية - بيروت (١٨٦/١ - ١٨٧) .

(٤) م : (٣٥٢/١) (٤) كتاب الصلاة (٤٢) باب ما يقال في الركوع والسجود . رقم (٤٨٦/٢٢٢) .

(٥) خ : (١٤٤/١) (٨) كتاب الصلاة (٢٢) باب الصلاة على الفراش . رقم (٣٨٢) . م : (٣٦٧/١) (٤) كتاب الصلاة - (٥١) باب الاعتراض بين يدي المصلي . رقم (٥١٢/٢٧٢) .

١١ - أذان بلال وابن أم مكتوم لصلاة الصبح :

أخرج البيهقي بسنده عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - ﷺ - : إن ابن أم مكتوم رجل أعمى ، فإذا أذن فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ، وكان بلال يبصر الفجر ، وكانت عائشة تقول : غلط ابن عمر (١) . وهي تشير إلى حديثه الذي رواه الشيخان بسنديهما عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : إن بلالاً يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم (٢) .

وحديث عائشة صحيح ؛ رواه أحمد ، ومسدد ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، لكن لم يذكروا تغليط ابن عمر . وعدم ذكر تغليط ابن عمر لا يغير من الأمر كثيراً ؛ لأن الحديثين متعارضان ، وبطبيعة الحال حديث الشيخين عن ابن عمر صحيح أيضا . وحاول ابن حبان وابن خزيمة أن يزيلا التعارض بين الحديثين ، وهو أن الأذان كان بينهما دُولا : تارة يقدم هذا ، وتارة يتأخر .

قال ابن خزيمة : « فأما خبر هشام بن عروة فصحيح من جهة النقل ، وليس هذا الخبر يضاد خبر سالم عن ابن عمر ، وخبر القاسم عن عائشة (الذي يوافق حديث ابن عمر) ؛ إذ جائز أن يكون النبي - ﷺ - قد كان جعل الأذان بالليل نوائب بين بلال وبين أم مكتوم ، فأمر في بعض الليالي بلالاً أن يؤذن أولاً بالليل ، فإذا نزل بلال صعد ابن أم مكتوم فأذن بعده بالنهار ، فإذا جاءت نوبة ابن أم مكتوم بدأ ابن أم مكتوم فأذن بليل ، فإذا نزل صعد بلال فأذن بعده بالنهار ، وكانت مقالة النبي - ﷺ - أن بلالاً يؤذن بليل في الوقت الذي كانت النوبة لبلال في الأذان

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٣٨٢/١) كتاب الصلاة - باب القدر الذي كان بين بلال وابن أم مكتوم ، ورواية من قدم أذان ابن أم مكتوم على أذان بلال .

(٢) خ (٢٠٩/١) (١٠) كتاب الأذان - (١١) باب أذان الأعمى إذا كان له من يخبره - رقم (٦١٧) .

م : (٧٦٨/٢) (١٣) كتاب الصيام - (٨) باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر . رقم (٣٦) - (١٠٩٢/٣٧) .

بليل ، وكانت مقالته - ﷺ - أن ابن أم مكتوم يؤذن بليل في الوقت الذي كانت التوبة في الأذان بالليل نوبة ابن أم مكتوم ، فكان النبي - ﷺ - يعلم الناس في كل الوقتين أن الأذان الأول منهما هو أذان بليل لا بنهار ، وأنه لا يمنع من أراد الصوم طعامًا ولا شرابًا ، وأن أذان الثاني إنما يمنع الطعام والشراب ؛ إذ هو بنهار لا بليل « (١) .

وروى ابن حبان حديث سالم عن ابن عمر ، وحديث عائشة ، وضم إليه حديثًا شاهدًا لحديث عائشة ، وهو عن حُبيِّب بن عبد الرحمن : عن عمته أُنَيْسَةَ بنت حبيب ، قالت : قال رسول الله - ﷺ - إذا أذن ابن أم مكتوم ، فكلوا واشربوا ، وإذا أذن بلال ، فلا تأكلوا ولا تشربوا ، فإن كانت الواحدة منا ليبقى عليها الشيء من سحورها ، فتقول لبلال : أمهل حتى أفرغ من سحورى .

قال أبو حاتم بن حبان - رضى الله عنه - : هذان خبران قد يوهمان من لم يُحْكِم صناعة العلم أنهما متضادان ، وليس كذلك ؛ لأن المصطفى - ﷺ - كان جعل الليل بين بلال وبين ابن أم مكتوم نُوبًا ، فكان بلال يؤذن بالليل ليالي معلومة لينبه النائم ، ويرجع القائم ، لا لصلاة الفجر ، ويؤذن ابن أم مكتوم في تلك الليالي بعد انفجار الصبح لصلاة الغداة ، فإذا جاءت نوبة ابن أم مكتوم ، كان يؤذن بالليل ليالي معلومة كما وصفنا قبل ، ويؤذن بلال في تلك الليالي بعد انفجار الصبح لصلاة الغداة من غير أن يكون بين الخبرين تضاد أو تهاوتر (٢) .

ومهما يكن من أمر فقد كانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - يقظة لما يروى وقامت بدور التصحيح والتوثيق مستندة على ما تعلمه من سنة - رسول الله - ﷺ .

* * *

(١) صحيح ابن خزيمة (٢١٢/١ - ٢١٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١هـ) تحقيق د/محمد مصطفى الأعظمي ط (٢) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م الرياض .
 (٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان : للأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩) تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت . (٢٥٢/٨) رقم (٣٤٦٩) وحديث عائشة (٨/٢٥١) رقم (٣٤٧٣) .

١٢ - الشهر قد يكون تسعًا وعشرين :

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - قال : الشهر تسع وعشرون .

فذكروا ذلك لعائشة فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، وهَلْ (١) ، هجر رسول الله - ﷺ - نساءه شهرًا ، فنزل لتسع وعشرين (٢) ، فقيل له ، فقال : إن الشهر قد يكون تسعًا وعشرين (٣) .

وكذلك روى أبو منصور البغدادي بإسناده إلى ابن جريح ، قال : ثنا ابن أبي مليكة ، عن رجل لا يكذبه : أخبرت عائشة - رضی الله عنها - بقول ابن عمر رضی الله عنه : إن الشهر تسع وعشرون ، فأنكرت ذلك عليه ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما هكذا قال رسول الله - ﷺ - ، ولكن قال : إن الشهر قد يكون تسعًا وعشرين (٤) .

* * *

(١) وهل : غلط ، ونسى .

(٢) عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - سقط عن فرسه فجحشت ساقه ، أو كنفه ، وآلى من نساءه شهرًا ، فجلس في مشربة له درجتها من جذوع ، فأناه أصحابه ليعودونه ، فصلى بهم جالسًا ، وهم قيام ... ونزل لتسع وعشرين ، فقالوا يارسول الله ، إنك آليت شهرًا فقال : إن الشهر تسع وعشرون .

خ : (١٤٣/١) ٨ - كتاب الصلاة (١٨) باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب ، رقم (٣٧٨) .

(٣) مسند أحمد (٥٦/٢) .

(٤) استدرارك عائشة ، ص : (٥٦) .

١٣ - لا ينقض شعر المرأة لغسل الجنابة :

روى مسلم بسنده عن عبيد بن عمير قال : بلغ عائشة أن عبد الله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فقالت : يا عجبا لابن عمرو هذا يأمر النساء - إذا اغتسلن - أن ينقضن رءوسهن ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن ، لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله - ﷺ - من إناء واحد ، ولا أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إ فراغات (١) .

وقد تابع عائشة على رواية ذلك أم سلمة ، فروى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت : قلت : « يا رسول الله ، إنى امرأة أشد ضفر رأسى ، أفأنقضه لغسل الجنابة » ؟ فقال : « لا إنما يكفيك أن تحشى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضى عليك الماء فتطهرين » (٢) .

وفى حديث بعض الصحابيات عن رسول الله - ﷺ - ما بين أن شرط ذلك أن يصل الماء إلى جميع شعرها .

فقد روى مسلم أيضا عن عائشة أن أسماء سألت النبى - ﷺ - عن غسل المحيض ، فقال : تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر ، فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شئون رأسها . ثم تصب عليها الماء (٣) .

وقولها : « فتدلكه دلكا شديدا حتى تبلغ شئون رأسها » يفيد ما هو مطلق فى حديثى عائشة وأسماء .

ومعنى « شئون رأسها » أصول شعر رأسها ، وأصول الشئون الخطوط التى فى عظم الجمجمة ، وهو مجتمع شعب عظامها ، الواحد منها شأن (٤) .

(١) م : (١/٢٦٠) (٣) كتاب الحيض - (١٢) باب حكم ضفائر المغتسلة - رقم (٣٣١/٥٩) .

(٢) المصدر السابق (١/٢٥٩) فى الكتاب والباب السابقين . رقم : (٣٣٠/٥٨) .

(٣) م : (١/٢٦١) الكتاب السابق (١٣) باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من

مسك فى موضع الدم - رقم : (٣٣٢/٦١) .

(٤) شرح مسلم للنوى (٤/٢٥٥) .

ولا شك أن عائشة في حديثها الأول تعني ما فصلته أم سلمة ؛ لأنها راوية هذا الحديث أيضًا .

وقالت في آخره : « نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين » .

وأسماء هي أسماء بنت شكل - كما جاء في بعض روايات الحديث ، وقيل أسماء بنت يزيد بن السكن (١) .

قال النووي في شرح هذا الحديث مبينًا حكم غسل الرأس : فمذهبنا ومذهب الجمهور أن ضفائر المغتسلة إذا وصل الماء إلى جميع شعرها ظاهره وباطنه من غير نقض لم يجب نقضها ، وإن لم يصل إلا بنقضها وجب نقضها ، وحديث أم سلمة (وكذلك حديث عائشة) محمول على أنه كان يصل الماء إلى جميع شعرها من غير نقض ؛ لأن إيصال الماء واجب (٢) .

(١) المصدر السابق (٤/٢٥٥ - ٢٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٤/٢٥١) .

١٤ - صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب :

روى مسلم بسنده عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي بكر ابن عبد الرحمن قال : سمعت أبا هريرة يقص ، يقول في قصصه : « من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم » ، فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (أى لأبيه) فأنكر ذلك ، فانطلق عبد الرحمن ، وانطلقت معه : حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما - فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك قال : فكلتاها قالت : كان النبي - ﷺ - يصبح جنبًا من غير حلم ، ثم يصوم ، قال : فانطلقنا حتى دخلنا على مروان ، فذكر ذلك له عبد الرحمن ، فقال مروان : عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة ، فرددت عليه ما يقول .

قال : فجننا أبو هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله . قال فذكر له عبد الرحمن ، فقال أبو هريرة : أهما قاتلاه لك ؟ قال : نعم . قال : هما أعلم .

ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس ، فقال أبو هريرة : سمعت ذلك من الفضل ، ولم أسمعه من النبي - ﷺ .
 قال : فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك .

قلت لعبد الملك : أقاتلنا في رمضان ؟ قال كذلك ، كان يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم (١) .

ومعنى يقص أى يعظ ، هكذا كانوا يستعملون هذه اللفظة بهذا المعنى .
 قال النووي فى شرح هذا الحديث : قوله (عن أبي هريرة أنه قال من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم) ثم ذكر أنه حين بلغه قول عائشة وأم سلمة أن رسول الله - ﷺ - كان يصبح جنبًا ويتم صومه رجع أبو هريرة عن قوله مع أنه كان رواه عن الفضل عن النبي - ﷺ - فلعل سبب رجوعه أنه تعارض عنده الحديثان فجمع بينهما وتناول أحدهما وهو قوله : من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم ، وفى رواية مالك أفطر فتأوله على ما سنذكره من الأوجه فى تأويله - إن شاء تعالى .

(١) م : (٢) : ٧٧٩/٢ (٧٨٠) (١٣) كتاب الصيام - (١٣) باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب . رقم (١١٠٩/٧٥) .

فلما ثبت عنده أن حديث عائشة وأم سلمة على ظاهره وهذا متأول رجع عنه وكان حديث عائشة وأم سلمة أولى بالاعتماد ؛ لأنهما أعلم بمثل هذا من غيرهما ؛ ولأنه موافق للقرآن ؛ فإن الله تعالى أباح الأكل والمباشرة إلى طلوع الفجر ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَلْتَنَ بَشْرُهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٧] .

المراد بالمباشرة الجماع ؛ ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح جنباً ، ويصح صومه ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٧] . وإذا دل القرآن وفعل رسول الله - ﷺ - على جواز الصوم لمن أصبح جنباً وجب الجواب عن حديث أبي هريرة عن الفضل عن النبي - ﷺ - وجوابه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه إرشاد إلى الأفضل ، فالأفضل أن يغتسل قبل الفجر فلو خالف جاز ، وهذا مذهب أصحابنا وجوابهم عن الحديث ، فإن قيل : كيف يكون الاغتسال قبل الفجر أفضل وقد ثبت عن النبي - ﷺ - خلافه فالجواب أنه - ﷺ - فعله لبيان الجواز ، ويكون في حقه حينئذ أفضل ؛ لأنه يتضمن البيان للناس ، وهو مأمور بالبيان ، وهذا كما توضحاً مرة مرة في بعض الأوقات بيانياً للجواز ، ومعلوم أن الثلاث أفضل ، وهو الذي واظب عليه وتظاهرت به الأحاديث . وطاف على البعير لبيان الجواز ، ومعلوم أن الطواف ساعياً أفضل وهو الذي تقرر منه - ﷺ - ونظائره كثيرة .

والجواب الثاني : لعله محمول على من أدركه الفجر مجامعاً فاستدام بعد طلوع الفجر عالماً ، فإنه يفطر ولا صوم له

والثالث : جواب ابن المنذر فيما رواه عنه البيهقي أن حديث أبي هريرة منسوخ ، وأنه كان في أول الأمر حين كان الجماع محرماً في الليل بعد النوم كما كان الطعام والشراب محرماً ثم نسخ ذلك ، ولم يعلمه أبو هريرة ، فكان يفتي بما علمه ، حتى بلغه الناسخ فرجع إليه . قال ابن المنذر : هذا أحسن ما سمعت فيه . والله أعلم .

قولها (يصبح جنبًا من غير حلم) هو بضم الحاء وبضم اللام وإسكانها وفيه دليل لمن يقول بجواز الاحتلام على الأنبياء ، وفيه خلاف ؛ الأشهر امتناعه ، قالوا : لأنه من تلاعب الشيطان ، وهم منزهون عنه ، ويتأولون هذا الحديث على أن المراد يصبح جنبًا من جماع ، ولا يجنب من احتلام ؛ لامتناعه منه ، ويكون قريبًا من معنى قول الله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ بَغَرُوا الْحَقَّ ﴾ [سورة البقرة : ٦١] . ومعلوم أن قتلهم لا يكون بحق .

قوله (عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة) أى أمرتك أمرًا جازمًا عزيمة محتمة ، وأمر ولاة الأمور تجب طاعته فى غير معصية .

قوله (فرد أبو هريرة ما كان يقول فى ذلك إلى الفضل بن عباس) فقال أبو هريرة : سمعت ذلك من الفضل ، وفى رواية النسائي ، قال أبو هريرة : أخبرني أسامة بن زيد . أخبرني فلان وفلان ، فيحمل على أنه سمعه من الفضل وأسامة . أما حكم المسألة فقد أجمع أهل هذه الأمصار على صحة صوم الجنب ؛ سواء كان من احتلام ، أو جماع ، وبه قال جماهير الصحابة والتابعين ، وحكى عن الحسن بن صالح إبطاله ، وكان عليه أبو هريرة .

والصحيح أنه رجع عنه كما صرح به هنا فى رواية مسلم ، وقيل : لم يرجع عنه ، وليس بشيء . وحكى عن طاوس وعروة والنخعي : إن علم بجنبته لم يصح ، وإلا فيصح ، وحكى مثله عن أبي هريرة ، وحكى أيضًا عن الحسن البصرى ، والنخعي : أنه يجزيه فى صوم التطوع دون الفرض ، وحكى عن سالم ابن عبد الله ، والحسن البصرى ، والحسن بن صالح : يصومه ، ويقضيه .

ثم ارتفع هذا الخلاف وأجمع العلماء بعد هؤلاء على صحته كما قدمناه وفى صحة الإجماع بعد الخلاف خلاف مشهور لأهل الأصول ، وحديث عائشة وأم سلمة حجة على كل مخالف . والله أعلم (١) .

(١) شرح مسلم للنووى : (٧ - ٢٢٨ - ٢٣١) .

١٥ - هل عذبت امرأة من جرّاء هرة :

روى أبو بكر البزار بسنده عن علقمة قال : قيل لعائشة - رحمة الله عليها :
 إن أبا هريرة يروى عن النبي - ﷺ - أن امرأة عذبت في هرة .
 قال : فقالت عائشة : إن المرأة كانت كافرة ^(١) .

وفي رواية عن علقمة قال : كنا عند عائشة ومعنا أبو هريرة ، فقالت :
 يا أبا هريرة أنت الذى تحدث عن رسول الله - ﷺ - أن امرأة عذبت بالنار من
 جرّى هرة لا هى أطعمتها ولا سقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خيشاش الأرض
 شيئاً حتى ماتت

قال أبو هريرة : سمعته من رسول الله - ﷺ - قالت عائشة : المؤمن أكرم
 عند الله من أن يعذبه من جرّى هرة ، أى إن المرأة مع ذلك كانت كافرة ،
 يا أبا هريرة ، إذا حدثت عن رسول الله - ﷺ - فانظر كيف تحدث ^(٢) .
 قولها من جرّى هرة ؛ أى من أجلها .

ورواه الإمام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .
 فنقد السيدة عائشة - رضى الله عنها - لما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه -
 يرتكز على أمرين :

الأول : علمها من السنة أن المرأة كانت كافرة ، فدخلت النار بسبب كفرها
 وتعذيبها للهرة .

الثانى : رجوعها إلى الأصول الإسلامية ؛ هذه التى تقول : إن المؤمن بماله
 من رصيد الإيمان ، والعمل الصالح يكون بهما أكرم عند الله من أن يعذبه بسبب
 حبس هرة .

(١) عزاه الزركشى فى الإجابة لأبى بكر البزار (ص ١٠٧) .

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٥١٩/٢) مسند أبى هريرة .

وذكره الهيمى فى مجمع الزوائد (١١٦/١) فى كتاب الإيمان - باب أهل الجاهلية .

وفى (١٦٠/١٠) فى كتاب التوبة - باب فيما يحتقر من الذنوب .

وقال فى الموضعين : رجاله رجال الصحيح .

ومقياس الرجوع إلى الأصول الإسلامية سأعقد له فصلاً - إن شاء الله تعالى .
وسأعود إلى هذا الحديث فيه - إن شاء الله تعالى .
لكن الذى أريد أن أنبه عليه هنا هو أن هذا الحديث رواه البخارى ومسلم من
حديث أبى هريرة ^(١) دون ذكر لاعتراض عائشة - رضى الله تعالى عنهما .
ورواه أيضاً من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما ^(٢) .

* * *

(١) خ : (٤٤٧/٢) (٩) كتاب بدء الخلق (١٦) باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم - عن
ابن عمر وأبى هريرة - رقم (٣٣١٨) .
م : (٤/١٧٦٠) (٣٩) كتاب السلام - (٤٠) باب تحريم قتل الهرة - عن ابن عمر وأبى هريرة
رقم (٢٢٤٢) .
(٢) انظر الهامش السابق .

١٦ - امتلاء الجوف بالشعر :

روى الطحاوى بسنده عن أبي صالح قال : قيل لعائشة - رضى الله عنها - : إن أبا هريرة يقول : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا ، خير له من أن يمتلىء شعرًا . فقالت عائشة - رضى الله عنها - : يرحم الله أبا هريرة ، حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره ؛ إن المشركين كانوا يهاجون رسول الله - ﷺ - فقال : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا خيرًا من أن يمتلىء شعرًا من مهاجاة رسول الله - ﷺ . (١)

ورواه الشيخان من طريق الأعمش عن أبي صالح (٢) . وهكذا رأت السيدة عائشة أن ما يرويه أبو هريرة يخالف ما عندها من السنة التى سمعتها من رسول الله - ﷺ - فنقدته وأبادر فأقول : إنه لم يكن أبو هريرة هو الذى يروى هذا الحديث مطلقًا دون التقيد بشعر هجاء رسول الله - ﷺ . فقد رواه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وعوف بن مالك . وأبى سعيد الخدرى (٣) . وأخرجه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص (٤) وأبى سعيد الخدرى (٥) وأخرجه البزار من حديث عمر (٦) ورواه البخارى من حديث ابن عمر (٧) .

-
- (١) شرح معانى الآثار (٢٩٦/٤) كتاب الكراهية - باب رواية الشعر ، هل هى مكروهة أم لا ؟ .
 (٢) خ (١٢٠/٤) (٧٨) كتاب الأدب - (٩٢) باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصد عنه ذكر الله والعلم والقرآن - رقم (٦١٥٥) .
 م : (١٧٦٩/٤) (٤١) كتاب الشعر - رقم (٢٢٥٧/٧) .
 (٣) المصدر السابق (٢٩٥/٤ - ٢٩٦) الموضوع نفسه .
 (٤) م : (الموضع السابق) رقم ٢٢٥٨/٨
 (٥) م : (الموضع السابق) رقم ٢٢٥٩/٩
 (٦) كشف الأستار (٤٥٢/٢) كتاب الأدب - باب الشعر وذمه رقم (٢٠٩٠) .
 وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح (١٢٠/٨) .
 (٧) خ : (الموضع السابق) رقم (٦١٥٤) .

وقد تابع عائشة على رواية هذه الزيادة « الشعر الذى هجى به رسول الله - ﷺ - جابر بن عبد الله ، أخرجه أبو يعلى الموصلى بلفظ : « خير له من يمتلىء شعراً هجيت به (١) .

وكما قال الطحاوى : قد روى فى إباحة الشعر آثار - يعنى أحاديث مرفوعة إلى رسول الله - ﷺ - منها :

عن ابن عمر - رضى الله عنه - قال : لما دخل رسول الله - ﷺ - عام الفتح ، رأى نساء يلطنن وجوه الخيل بالخُمُر فتبسم ، فقال : يا أبا بكر ، كيف قال حسان بن ثابت ؟ فأنشد أبو بكر :

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفِي كَدَاءِ
 يُنَازِعَنَّ الْأَعِنَّةَ مُسْرَجَاتٍ يُلَطُّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءِ

قال الطحاوى : هكذا حدثنا أحمد بن داود ، وأهل العلم بالعربية يروون البيت الأول على غير ذلك ، « تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءِ » . حتى تستوى قافية هذا البيت مع قافية البيت الذى بعده .

قال رسول الله - ﷺ - ادخلوها من حيث قال .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : إن من الشعر حكمة .

وعن المقدام بن شريح ، عن أبيه قال : قلت لعائشة - رضى الله عنها - : أكان رسول الله - ﷺ - يتمثل بشيء من الشعر ؟ فقالت : نعم ، من شعر ابن رواحة ، وربما قال هذا البيت :

« وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَا لَمْ تَزُودِ »

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : استأذن حسانُ النَّبِيِّ - ﷺ - فى

(١) مسند أبى يعلى الموصلى (٤٧/٤) مسند جابر بن عبد الله رقم (٢٠٥٦/٢٩٠)

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٢٠/٨) وقال : وفيه من لم أعرفهم .

هجاء المشركين قال : فكيف بنسبي فيهم ؟ قال : أسلُك منهم كما تُسلُ الشُّعْرة من العجينة (١) .

وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي تبين إباحتها إنشاد الشعر وحفظه (٢) .

(١) شرح معاني الآثار (٤/٢٩٦ - ٢٩٧) .

(٢) ويحسن بي أن أورد هذه الروايات التي ذكرها الطحاوي ؛ لأن القضية خطيرة ، والشعر كما يقولون ديوان العرب (٢/٢٩٧ - ٣٠٠) قال :

حدثنا سليمان بن شعيب قال : ثنا يحيى بن حسان ، قال : ثنا إبراهيم بن سليمان التيمي ، عن مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : كنا جلوسًا بفناء الكعبة ، أحسبه قال : « مع أناس من أصحاب رسول الله ﷺ » فكانوا يتناشدون الأشعار .

فوقف بنا عبد الله بن الزبير ، فقال : في حرم ، وحول الكعبة ، يتناشدون الأشعار ؟ فقال : رجل منهم : « يا ابن الزبير ، إن رسول الله ﷺ - إنما نهى عن الشعر الذي إذا أتيت فيه النساء ، وتزدرى فيه الأموات » .

فقد يجوز أن يكون الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ - ما ذكرنا في أول هذا الباب ، من الشعر الذي نهى عنه في هذا الحديث .

حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله وعن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال رسول الله ﷺ - : « إن من الشعر حكمة » .

حدثنا ابن أبي داود وفهد وإسحاق بن إبراهيم قالوا : حدثنا عبد الله بن سعيد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبيه ، عن عاصم ، عن زُرِّ ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ « إن من الشعر حكمة » . حدثنا يونس قال : ثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن مروان ، عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ - قال : « إن من الشعر حكمة » .

حدثنا أبو بكر قال : ثنا إبراهيم بن أبي الوزير ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، عن الزهري ، فذكر بإسناده مثله ، غير أنه قال : « عن عبد بن الأسود بن عبد يغوث » .

حدثنا حسين بن نصر قال سمعت يزيد بن هارون ، قال : ثنا إبراهيم بن سعد ، فذكر بإسناده مثله ، غير أنه قال : « عن عبد الله بن الأسود بن عبد يغوث » .

حدثنا ابن أبي داود قال : ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال رسول الله ﷺ - : « من يحمي أعراض المؤمنين ؟ » .

قال كعب : أنا . قال ابن رواحه : أنا . قال « إنك لتحسن الشعر » . قال حسان بن ثابت : أنا إذا ، قال « اهجم ، فإنه سيعينك عليهم روح القدس » . =

= حدثنا ابن أبي عمران قال : ثنا أبو إبراهيم الترجماني ، قال : ثنا ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن رسول الله - ﷺ - وضع لحسان بن ثابت منبراً ، في المسجد ، ينشد عليه الشعر .

حدثنا فهد قال : ثنا أحمد بن حميد ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، فذكر مثل حديث ابن أبي داود ، الذي قبل هذا الحديث عن ابن نمير ، عن ابن فضيل .
 حدثنا ابن مرزوق قال : ثنا عفان .

وحدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا حجاج ، وعبد الله بن رجاء قالوا : حدثنا شعبة قال : أخبرني عدى بن ثابت قال : سمعت البراء يقول سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لحسان : « اهجهم أوهاجهم وجبريل معك » .

حدثنا محمد بن عمرو قال : ثنا أبو معاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن عدى ، فذكر بإسناده مثله .

حدثنا أبو بكره قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا عيسى بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عدى بن ثابت ، يعني : قال : سمعت البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لحسان بن ثابت « لا يزال معك روح القدس ، ماهجوت المشركين » .

حدثنا يونس قال : ثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب - رضی اللہ عنہ - مر على حسان وهو ينشد في مسجد رسول الله - ﷺ - فأنتهره عمر - رضی اللہ عنہ - فأقبل عليه حسان ، فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك فانطلق عنه عمر .

فقال حسان لأبي هريرة : يا أبا هريرة ، أما سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يا حسان أجب عن رسول الله ، اللهم أیده بروح القدس » ؟ قال : اللهم ، نعم .

حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا المقدمي قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة أن حسان ... ثم ذكر مثله ، غير قوله « قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك » فإنه لم يذكره .

حدثنا ابن أبي داود قال : ثنا أبو اليمان ، قال : ثنا شعيب ، عن الزهري قال : حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستنشد أبا هريرة فذكر مثله .

حدثنا فهد قال : ثنا محمد بن عبد الواحد بن عنبسة القرشي قال : حدثني جدي عنبسة ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع ، وكان شاعراً أنه قال : يا رسول الله ، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي ؟ .

قال له النبي - ﷺ - : « أما إن ربك يحب الحمد » وما استزادوا على ذلك شيئاً .
 حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن الأسود بن سريع ، مثله ، غير أنه قال : « فجعلت أنشده » .

= حدثنا ابن أبي داود قال : ثنا أبو مسهر ، قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال ، قال :
 حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال
 عبد الله بن رواحة : فأحسن ، ثم قال كعب : فأحسن ، ثم قال حسان : فشفى فاستشفى .
 حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن
 محمد بن إسحاق عن يعقوب عن عتبة عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : صدَّق رسول الله - ﷺ -
 أمية بن أبي الصلت في شعره .

حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا المقدمي ، قال : ثنا أبو معشر البراء ، عن صدقة بن طيسلة قال :
 حدثني معن بن ثعلبة ، قال : حدثني أعشى المازني قال : أتيت النبي - ﷺ - فأنشدته :

يامالك الناس ودَيَّانَ العربِ إني نكحت ذُرْبَةَ من الذَّرْبِ
 خرجت أبعيها الطعام في رجبِ أَخْلَفَتِ العَهْدَ وَلَطَّتْ بالذَّنْبِ
 وَهَنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ

قال : فجعل رسول الله - ﷺ - يقول : « وهن شر غالب لمن غلب » .

حدثنا الحسن بن عبد الله بن منصور قال : ثنا الهيثم بن حميد ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ،
 عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن من الشعر حكما » .
 حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم بن عبيدة ،
 عن عبد الله ، ح .

حدثنا ابن أبي داود ، قال : ثنا قيس عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن
 عبد الله ، عن رسول الله - ﷺ - مثله .

حدثنا أبو بشر الرقي قال : ثنا الفريابي ، عن سفیان ، عن يعلى بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن
 الشريد ، عن أبيه قال : استنشدني النبي - ﷺ - شعر أمية بن أبي الصلت ، فأنشدته ، فكلما أنشدته
 بيتا ، قال : « هيه » حتى أنشدته مائة قافية قال : « حتى كاد ابن أبي الصلت يسلم » .

حدثنا محمد بن علي بن داود ، قال : ثنا معلى بن عبد الرحمن الوسطي ، قال : ثنا عبد الحميد
 ابن جعفر ، عن عمرو بن الحكم ، عن جابر بن عبد الله قال : قال الأقرع بن حابس ، لشاب من
 شبانهم : « قم ، فاذا كر فضلك وفضل قومك » .

فقال فقال :

نحن الكرام فلا حَيٌّ يُعَادِلُنَا نحن الكرامُ وفينا يُقَسِّمُ الرُّبْعَ
 ونطعم الناس عند القحط كلهم من الشريف إذا لم يُونس القَرَعُ
 إذا أبينا فلا يُعَدِّلُ بنا أَحَدٌ إنا كرامٌ وعند الفخر نَرْتَفِعُ

ثم قال الطحاوي : « فلما جاءت هذه الآثار متواترة بإباحة قول الشعر ثبت أن مانهيه عنه في الآثار الأول ليس لأن الشعر مكروه ، ولكن لمعنى كان في خاص من الشعر قصد بذلك النهي إليه » (١) .

وإذا كان أماننا اتجاهان : أحدهما أن الشعر المنهى عنه هو الشعر الذى هجى فيه الرسول - ﷺ - والثانى : هو الشعر الكثير الذى يمتلىء القلب والجوف منه بحيث لا يترك مكاناً لغيره من القرآن والسنة والتفقه فيهما - إذا كان أماننا فيما سبق هذان الاتجاهان فإن هناك اتجاهًا ثالثًا ، وهو كراهة الشعر مطلقًا .

قال النووي : استدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقًا ، وإن قل ، وإن سلّم من الفُحش ، وتعلق هذا البعض بحديث أبى سعيد الخدرى وهو فى صحيح مسلم .

قال أبو سعيد فى حديثه : بينا نحن نسير مع رسول الله - ﷺ - بالعرج إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله - ﷺ - : خذوا الشيطان ، أو أمسكوا الشيطان ؛ لأن يمتلىء جوف رجل قيحًا خير له من أن يمتلىء شعرًا (٢) .

لكن الراجح هو الاتجاه الوسط ، قال أبو عبيد ، وهو يرد على من يقول بأن المقصود بالنهى شعر المهاجرة والامتلاء منه : « والذى عندى فى هذا الحديث غير هذا القول ؛ لأن الذى هجى به النبى - ﷺ - لو كان شطر بيت لكان

= قال : فقال رسول الله - ﷺ - « يا حسن أجه » فقال :

نصرنا رسول الله والدين عَنُوةً
 على رَغْمِ عَاتٍ من بعيد وحاضر
 بضرب كإنزاعِ المخاضِ مُشَاشَةً
 وطَعْنِ كَأَفْوَاهِ اللُّقَاحِ الصَّوَادِرِ
 ألسنا نخوض الموت فى حَوْمَةِ الوَغَى
 إذا صار بَزْدُ الموت بين العساكر
 ونضرب هَامَ الدَّارِعِينَ ونُنْتَمِي
 إلى حَسْبٍ من جَذْمِ غسان باهر
 فأحيائونا من خير من وطىء الحصى
 وأمواتنا من خير أهلِ المقابرِ

(١) المصدر السابق : (٤/٣٠٠) .

(٢) شرح مسلم للنووى : (١٥/١٨) .

(٣) م : (٤/١٧٦٩ - ١٧٧٠) (٤١) كتاب الشعر . رقم (٩/٢٢٥٩)

كفراً ، فكأنه إذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رخص في القليل منه ، ولكن وجهه عندى أن يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه ، فيشغله عن القرآن ، وعن ذكر الله ، فيكون الغالب عليه من أى الشعر كان ، فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوف هذا عندنا ممتلئاً شعراً^(١) .

ولم يُسَلِّم السهيلي لأبى عبيد فى هذا التفسير الذى يخالف مانقل عن عائشة - رضى الله عنها - قال : وعائشة أعلم منه ؛ فإن الذى يروى ذلك - أى شعر هجاء النبى - ﷺ - لا يكفر ؛ فإن ناقل الكفر ليس بكافر ، وإنما هو على طريق الحكاية ، وهو بمنزلة الكلام المنثور الذى ذموا به رسول الله - ﷺ - لا فرق^(٢) .

ومهما يكن من أمر فإننا إذا قلنا : إن حديث السيدة عائشة ورد عنها من طريق ضعيف - فإنه يبقى أنه ليس من الأدب إسلامياً أن نحفظ الشعر الذى هجى فيه رسول الله - ﷺ - ، ولا أن يحفظ منه شىء قليل أو كثير ، والأولى أن يُنسى ، وأن يودع بعضه فى بطون الكتب فقط للدرس ، أو للتمثيل - كما قال السهيلي .

وقد بين السهيلي هذا المعنى فقال : « وعلى القول بالإباحة فإن النفس تقدر تلك الأشعار وتبغضها وقائلها فى الله ، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها ، والتتبع لمعانيها »^(٣) .

وقد انتصر الزركشى لتأويل عائشة - رضى الله عنها - فقال : « والصواب تحريم حكاية هجو النبى - ﷺ - قليلة وكثيرة ، والحديث لعله خرج على من امتلأ بذلك ، فلا يكون له مفهوم فى عدم ذم القليل ، وأيضاً فالمحذور فى الكثير موجود فى القليل بعينه ، فتأويل عائشة مستقيم - إن شاء الله - ولا يرد ما فهمه أبو عبيد ولا السهيلي^(٤) .

(١) غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى (ت ٢٢٤) - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - تحقيق د/ حسين محمد شرف : (١٦٢/١ - ١٦٣) .

(٢) الروض الأنف ، شرح سيرة ابن هشام : (٢٧/٣) .

(٣) المصدر السابق : (٢٧/٣) .

(٤) الإجابة : (ص : ١١٧) .

ولا بأس بأن أقول : إن المنهى عنه من الشعر ، هو شعر الهجاء ، وخاصة ما هجى به رسول الله - ﷺ - أو شعر إتيان النساء - كما يقولون ، أو الكثير من الشعر الذى يشغل عن ذكر الله ، أو شعر المدح الكاذب . وما عدا ذلك فهو مباح ، وخاصة ما يبعث على مكارم الأخلاق ، وما يدعو إليه الدين الحنيف .

* * *

١٧ - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه :

أخرج الدارقطني ^(١) من طريق محمد بن فضيل قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أحب العبد لقاء الله أحب الله لقاءه ، وإذا كره العبد لقاء الله كره الله لقاءه » .

فذكر ذلك لعائشة فقالت : « يرحمه الله حدثكم بأخر الحديث ولم يحدثكم بأوله » قالت عائشة : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً في عامه الذي يموت فيه فيسده ويشره ، فإذا كان عند موته أتى ملك الموت فقعده عند رأسه فقال : أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان وتتهوَّع ^(٢) نفسه رجاء أن تخرج ، فذلك حين يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه . وإذا أراد بعبد شراً بعث إليه شيطاناً في عامه الذي يموت فيه فأغواه فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعده عن رأسه فقال : أيتها النفس اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فيسترطه ^(٣) ، فذاك حين يبغض لقاء الله ويبغض الله لقاءه .

غريب من حديث مجاهد عن أبي هريرة وعائشة ، تفرد به عطاء بن السائب عنه . قال الدارقطني : ولا أعلم حدث به عنه غير ابن فضيل . قلت : وقد احتج به الشيخان ^(٤) .

وقد روى هذا الحديث مسلم من طريق شريح بن هانئ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

قال : فأتيت عائشة ، فقلت : يا أم المؤمنين ، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله - ﷺ - حديثاً - إن كان كذلك فقد هلكتنا . فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله - ﷺ - وما ذاك ؟

(١) عزاه الزركشي في الإجابة للدارقطني ، ولم أعر عليه في السنن (الإجابة ، ص : ١١٨) .

(٢) تهوَّع نفسه : تتكلف الخروج من الجسد .

(٣) فيسترطه ؛ أى يتلع نفسه ، لا يريد أن تخرج .

(٤) المصدر السابق (ص ١١٨) .

قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » ، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت ، فقالت : قد قاله رسول الله - ﷺ - وليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (١) .

ففى الرواية الأولى التفسير للحديث مرفوع ، وكأنها نقدت أبا هريرة فى روايته الحديث مطلقاً دون تقييد ؛ لكون ذلك يكون قبيل الموت ، وليس حب الموت أو كرهه هو ذلك .

أما الرواية الثانية فغير مرفوع تفسيرها ، وصَدَّقَتْ أبا هريرة فى روايته . ولكن جاء فى بعض الروايات لهذا الحديث أن عائشة سألت النبى - ﷺ - عن تفسير الحديث ففسره لها على النحو الذى جاء فى رواية مسلم :

روى البخارى بسنده عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبى - ﷺ - قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته ، فليس شىء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حُضِرَ بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه (٢) .

وعند عبد بن حميد عن عائشة مرفوعاً : إذا أراد الله بعبد خيراً قَبِضَ الله له قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوقفه حتى يقال : مات بخير ما كان ، فإذا حضر ورأى ثوابه اشتاقت نفسه ، فذلك حين أحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وإذا أراد الله بعبد شراً قَبِضَ الله قبل موته بعام شيطاناً فأضله وفتنه حتى يقال : مات

(١) م : (٢٠٦٦/٤) (٤٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - (٥) باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه - رقم (٢٦٨٥/١٧) .

(٢) خ (١٩٢/٤ - ١٩٣) (٨١) كتاب الرقاق (٤١) باب من أحب لقاء الله رقم (٦٥٠٧) عن عبادة بن الصامت وعائشة - رضى الله عنهما .

م : (٢٠٦٥/٤ - ٢٠٦٦) فى الكتاب والباب السابقين - رقم (٢٦٨٤/١٥) .

بشر ما كان عليه ، فإذا حضر ورأى ما أعد له من العذاب جزعت نفسه ، فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه (١) .

وكما فسرت حديث أبي هريرة فسرت حديث عبد الله بن مسعود :
فقد أخرج أبو منصور البغدادي في مؤلفه فيما استدركته عائشة على الصحابة ، عن أبي عطية قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة ، فقال مسروق : قال عبد الله بن مسعود : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقالت عائشة : رحم الله أبا عبد الرحمن : حدث عن أول الحديث ولم يسأله عن آخره ، ثم ذكر نحو ما عند عبد بن حميد السابق (٢) .
فدور عائشة - رضى الله عنها - سواء استدركت أو فسرت هو دور التصحيح ، وفي هذا توثيق للحديث ، وتثبيت له ، ورفع لإشكال قد يقع فيه المسلم إذا فهم الحديث على غير وجهه الصحيح ، فالحديث لا يتعلق بحب الموت أو كراهته .

* * *

(١) عزاه ابن حجر في فتح الباري إلى عبد بن حميد (٣٦٧/١١) .

(٢) استدرارك عائشة ، ص : (٦١ - ٦٢) .

١٨ - هل الميت يعث في ثيابه التي يموت فيها ؟

أخرج أبو داود في سننه عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أنه لما حضره الموت دعا بثياب جده فلبسها . ثم قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن الميت يعث في ثيابه التي يموت فيها » (١) .

وهذا الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢) والحاكم في مستدركه (٣٤٠/١) وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي

وهذا الحديث يناقض في الظاهر حديث عائشة وابن عباس وغيرهما : روى البخارى بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ - تحشرون حفاة عراة غرلاً (٣) .

كما روى عنها أنها أنكرت على أبي سعيد حديثه ذلك ، وقالت : يرحم الله أبا سعيد إنما أراد النبي - ﷺ - عمله الذى مات عليه ، قد قال رسول الله - ﷺ - : يحشرون الناس حفاة غرلاً (٤) .

كلا الحديثين إذا صحيح ، ولذلك جَهِدَ العلماء فى الجمع بينهما . وقبل أن نبين ماقاله العلماء نرى أن رد السيدة عائشة جامع للحديثين ، فلم تنكر الحديث ، وإنما أنكرت فهم أبا سعيد له على أنه على ظاهره ، وفهمته هى على أن المراد عمله وقد يطلق على العمل الثوب ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُ النَّفْثَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٦] .

(١) د: (٤٨٥/٣) (١٥) كتاب الجنائز (١٨) باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت . رقم (٣١١٤) .

(٢) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (٣٠٧/١٦) كتاب إخباره عن مناقب الصحابة - ذكر خير أوهم علماً من الناس أن حكم ظاهره حكم باطنه . رقم (٧٣١٦) .

(٣) فتح البارى (٣٨٥/١١) .

(٤) قال الزركشى فى الإجابة : ورأيت فى كتاب أصول الفقه لأبى الحسين أحمد بن القطان من قدماء أصحابنا من أصحاب ابن سريج فى الكلام على الرواية بالمعنى ... فذكر هذا الحديث (الإجابة ، ص : ١٣١ - ١٣٢) .

ويتضح هذا المعنى من أقوال العلماء فى الجمع بين الحديثين :
 قال الخطائى : « أما أبو سعيد فقد استعمل الحديث على ظاهره ، وقد روى
 فى تحسين الكفن أحاديث . وقد تأوله بعض العلماء على خلاف ذلك فقال :
 معنى الثياب العمل ، كنى بها عنه ، يريد أنه يبعث على ما مات عليه من عمل
 صالح ، أو سىء » .

قال : « والعرب تقول : فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بطهارة النفس والبراءة
 من العيب ، وذنس الثياب : إذا كان بخلاف ذلك ، واستدل فى ذلك بقول النبى
 - ﷺ - : « يحشر الناس حفاة عراة » فدل ذلك على أن معنى الحديث ليس
 على الثياب التى هى الكفن .

وقال بعضهم : البعث غير الحشر ، فقد يجوز أن يكون البعث مع الثياب ،
 والحشر مع العرى والحفاة ، والله أعلم « (١) .

وقال ابن حبان عند رواية هذا الحديث : قوله عليه السلام : « الميت يبعث
 فى ثيابه التى قبض فيها » أراد به فى أعماله ؛ كقوله جلا وعلا : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾
 يريد به : وأعمالك فأصلحها ؛ لا أن الميت يبعث فى ثيابه التى قبض فيها ؛ إذ
 الأخبار الجملة تصرح عن المصطفى - ﷺ - بأن الناس يحشرون يوم القيامة
 حفاة ، عراة ، غرلاً « (٢) .

ونحنى ابن حجر منحنى آخر فقال : ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً
 وبعضهم كاسياً ، أو يحشرون كلهم عراة ، ثم يكسى الأنبياء ، فأول من يكسى
 إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أو يخرجون من القبور بالثياب التى ماتوا فيها ،
 ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر ، فيحشرون عراة ، ثم يكون أول من يكسى
 إبراهيم .

وحمل بعضهم حديث أبى سعيد على الشهداء ؛ لأنهم الذين أمر أن يُرْمَلُوا
 فى ثيابهم ، ويدفنوا فيها ، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه فى الشهيد ، فحمله

(١) معالم السنن ، شرح سنن أبى داود : أبو سليمان حمد بن محمد الخطائى البشتى (ت
 ٣٨٨) دار الكتب العلمية - بيروت . (٢٦٢/١ - ٢٦٣) .
 (٢) صحيح ابن حبان : (٣٠٧/١٦ - ٣٠٨) فى الكتاب والباب السابقين .

على العموم ، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل فقد أمر بأمه حين ماتت فكفنت في ثياب جدد ، وقال : أحسنوا أكفان موتاكم ؛ فإنهم يحشرون فيها ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر ، ويتأيد بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وقوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ وإلى ذلك الإشارة في حديث الباب بذكر قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ ﴾ عقب قوله « حفاة عراة » . قال : فيحمل ما دل عليه حديث أبي سعيد على الشهداء ؛ لأنهم يدفنون بثيابهم فيبعثون فيها تمييزاً لهم عن غيرهم .
 وقد نقله ابن عبد البر عن أكثر العلماء ، ومن حيث النظر فإن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا ، ولأن الذي يقى النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله ، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئاً . قاله الحلیمی . وذهب الغزالي إلى ظاهر حديث أبي سعيد وأورده بزيادة لم أجد لها أصلاً وهي : فإن أمتي تحشر في أكفانها ، وسائر الأمم عراة . قال القرطبي : إن ثبت حمل على الشهداء من أمته حتى لا تتناقض الأخبار (١) .

* * *

(١) فتح الباری (٣٩١/١١) . والمفهم (١٥٢/٧ - ١٥٣) .

١٩ - تعجيل الإفطار :

عن أبي عطية مالك بن عامر قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلت لها : « يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد - ﷺ - أحدهما يعجل الصلاة ويعجل الإفطار ، والآخر يؤخر الصلاة ويؤخر الإفطار » قالت : « أيهما الذي يعجل » ؟ قال : « عبد الله » قالت : « هكذا كان يصنع رسول الله - ﷺ - والآخر أبو موسى » .

أخرجه مسلم (١) وأبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي : حسن (٢) .
 وفضل تعجيل الفطر جاءت به أحاديث أخرى غير الذي استشهدت به عائشة :

عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 قال الله عز وجل : أحب عبادى إليّ أعجلهم فطرًا . رواه الترمذي وحسنه (٣) .
 وعن سهل بن سعد أن النبي - ﷺ - قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر متفق عليه (٤) .

ومن هذه الأحاديث مانص على أن رسول الله - ﷺ - كان يفطر قبل أن يصلى :
 عن أنس قال : كان رسول الله - ﷺ - يفطر قبل أن يصلى على رطبات (٥) .

والحكمة فى تعجيل الفطر - كما يقول الدهلوى - : هو الحرص على ألا ينحرف المسلمون بالصيام كما انحرف من قبلهم بالتعمق فيه (٦) .

(١) م : (٧٧١/٢ - ٧٧٢) (١٣) كتاب الصيام (٩) باب فضل السحور .. وتعجيل الفطر .
 رقم (١٠٩٩/٤٩) .

(٢) سنن الترمذي : (٧٤/٣) (٦) كتاب الصوم (١٣) باب ماجاء فى تعجيل الإفطار .

(٣) خ : (٢١٣/٢) (٣٠) كتاب الصوم (٤٥) باب تعجيل الإفطار .

(٤) م : (٧٧١/٢) (١٣) كتاب الصيام (٢٩) باب فضل السحور وتعجيل الفطر .

(٥) د : (٧٦٤/٢ - ٧٦٥) (٨) كتاب الصوم (٢١) باب مايفطر عليه .

(٦) حجة الله البالغة : شاه ولى الله الدهلوى - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

٢٠ - نَفْرُ الْحَائِضِ مِنْ غَيْرِ طَوَافِ الْوُدَاعِ :

اختلف زيد بن ثابت مع عبد الله بن عباس في سقوط طواف الوداع عن الحائض ، فقال ابن عباس : رخص لها أن تنفر ، دون طواف الوداع ، وقال زيد ابن ثابت الأنصاري : لم يرخص لها ، فاحتكموا إلى عائشة - رضی الله عنها - فبينت أن رسول الله - ﷺ - رخص للحائض أن تنفر دون طواف الوداع :
 روى ابن عبد البر عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه أن زيد بن ثابت وابن عباس تماريا في صدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها الطواف بالبيت ، فقال ابن عباس تنفر ، وقال زيد : لا تنفر ، فدخل زيد على عائشة ، فسألها ، فقالت : تنفر ، فخرج زيد وهو يتسم ، ويقول : ما الكلام إلا ما قلت (١) .

وفي رواية رواها البزار في مسنده : عن عكرمة أن ابن عباس وزيد بن ثابت اختلفا في التي تطوف يوم النحر الطواف الواجب ، ثم تحيض . فقال زيد : تقيم حتى يكون آخر عهدها بالبيت ، وقال ابن عباس تنفر إذا طافت يوم النحر ، فقال ابن عباس : سلو عن ذلك صاحبكم أم سليم ، فسألوها فأخبرت بما كان من حال صفية بنت حُيَيٍّ . قال : فقالت عائشة : إنها لحابِسُنَّا ، فذكرت ذلك للنبي - ﷺ - فأمرها أن تنفر (٢) .

قال ابن عبد البر بعد الرواية السابقة معلقًا على رجوع زيد عن قوله ، بعد ما ذكرت له عائشة أنه رخص للحائض أن تنفر : « هكذا يكون الإنصاف ، وزيد مُعَلِّمُ ابن عباس ، فما لنا لا نقتدى بهم ، والله المستعان » (٣) .
 وكما قلنا من قبل ؛ إن تصديق بعض الصحابة هو توثيق للسنة أيضًا ؛ لأنه تأكيد ماثبت بالسنة .

(١) التمهيد : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨) -

٤٦٣ هـ) وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب (١٧/٢٧٠) .

(٢) ذكره الزركشي في الإجابة (ص : ١٣٥) .

(٣) التمهيد لابن عبد البر : (١٧/٢٧٠) .

وقد روى الشيخان حديث اختلاف زيد وابن عباس في هذه المسألة؛ (١) إلا أن في البخارى أنهما رجعا إلى أم سليم، فذكرت حديث صفية. وطبعى أن الروايات يفسر بعضها بعضاً، فالتى بينت قصة صفية هي عائشة - رضى الله عنها.

وفى رواية مسلم: « سل فلانة الأنصارية » وهى أم سليم كما جاءت رواية البخارى.

وفى رواية عن الطحاوى فى شرح معانى الآثار أن أم سليم قالت: حضت بعد ما طفت يوم النحر، فأمرنى رسول الله - ﷺ - أن أنفر، وحاضت صفية، فقالت لها عائشة - رضى الله عنهما - : الخيبة لك، حبست أهلنا، فذكر ذلك لرسول الله - ﷺ - فأمرها أن تنفر (٢).

فرجع الأمر إلى عائشة

وقد ذكر الشيخان أيضاً حديث عائشة بالرخصة لصفية - رضى الله عنهما - وبالتالى بالرخصة لغيرها (٣).

وقد كان بيان عائشة هذا سبباً فى رجوع بعض الصحابة عن قوله: إن الحائض عليها طواف وداع كغيرها، منهم ابن عمر، فعن طاوس قال: كان ابن عمر قريباً من سنتين ينهى أن تنفر الحائض حتى يكون آخر عهدا البيت، ثم قال: ثبت أنه قد رخص للنساء (٤).

(١) خ (٥٣٣/١) (٢٥) كتاب الحج (١٤٥) باب إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت رقم (١٧٥٨ - ١٧٥٩).

م: (٩٦٣/٢ - ٩٦٤) (١٥) كتاب الحج - (٦٧) باب وجوب طواف الوداع، وسقوطه عن الحائض رقم (١٣٢٧/٣٨١).

(٢) شرح معانى الآثار: (٢٣٢/٢) كتاب مناسك الحج - باب المرأة تحيض بعد ما طافت للزيارة قبل أن تطوف للصدر.

(٣) خ: (٥٣٣/١) (٢٥) كتاب الحج - (١٤٥) باب إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت. رقم (١٧٥٧).

م: (٩٦٤/٢) (١٥) كتاب الحج - (٦٧) باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض. رقم (١٢١١/٣٨٢).

(٤) شرح معانى الآثار: (٢٣٤/٢) الموضوع السابق.

والرواية التالية تبين أنه نُبِيءَ عن عائشة :

فعن طاوس أنه سمع عبد الله بن عمر يسأل عن حبس النساء عن الطواف بالبيت إذا حضن قبل النفر وقد أفضن يوم النحر ، فقال : إن عائشة كانت تذكر عن رسول الله - ﷺ - رخصة للنساء ، وذلك قبل موت عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - بعام (١) .

قال الطحاوي مبيِّناً أنَّ الحكم أولاً كان هو عدم الرخصة للحائض كسائر الناس ، ثم رخص لها ، وأن بعض الصحابة كان يفتى بعدم الرخصة ورجع بعضهم .

قال : « ورجع قوم إلى ذلك - أي إلى الرخصة - من أصحاب رسول الله - ﷺ - ممن كان قال بخلافه : زيد بن ثابت ، وابن عمر ، وجعلوا ما روى عن رسول الله - ﷺ - في الرخصة في ذلك للحائض ، رخصة وإخراجاً من رسول الله - ﷺ - لحكمها من حكم سائر الناس فيما كان أوجب عليهم من ذلك ، فثبت بذلك نسخ هذه الآثار لحديث الحارث بن أوس وما كان ذهب إليه عمر من ذلك (٢) .

وكان الطحاوي قد قدم حديث الحارث بن أوس عن عمر أن الحائض تجعل آخر عهدها الطواف (٣) .

(١) المصدر السابق : (٢/٢٣٥) .

(٢) المصدر السابق (الموضع السابق) .

(٣) المصدر السابق (٢/٢٣٢) .

٢١ - أفراد الحج والتمتع :

روى أبو بكر بن أبي شيبة بسنده عن مجاهد قال : قال عبد الله بن الزبير :
 أفردوا الحج ودعوا قول أعمامكم هذا . قال : فقال عبد الله بن عباس : إن الذي
 أعمى الله قلبه هو أنت ، ألا تسأل أمك عن هذا ، فأرسل إليها فقالت : صدق ابن
 عباس ، خرجنا مع رسول الله - ﷺ - حجاجاً فجعلناها عمرة ، فحللنا الإحلال
 كله حتى سطعت المجامر بين الرجال والنساء ^(١) .

وقد ثبت أن الصحابة أمرهم رسول الله - ﷺ - أن يتمتعوا في حجة
 الوداع ، ولكن رأى بعض الصحابة ومنهم عمر أن ذلك كان خاصاً برسول الله -
 ﷺ - ويصور ذلك الحديث التالي :

روى مسلم بسنده عن أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالتمتع ، وكان
 ابن الزبير ينهى عنها . قال : فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال : على يدي دار
 الحديث ، تمتعنا مع رسول الله - ﷺ - فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل
 لرسوله ماشاء بما شاء ، وإن القرآن قد نزل منزله ، فأتوا الحج والعمرة لله ، كما
 أمركم الله ، وأبوتوا نكاح هذه النساء ، فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا
 رجمته بالحجارة ^(٢) .

وفي هذه الرواية بعض الإجمال ، وأصرح منها رواية أبي يعلى بسند صحيح :
 عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : لما ولي عمر بن الخطاب
 - رضى الله عنه - خطب الناس فقال : إن القرآن هو القرآن ، والرسول هو
 الرسول ؛ إنما كانت متعتان على عهد رسول الله - ﷺ - فأنا أنهى الناس

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٢/٤) مختصراً ومقتصراً على قول ابن الزبير ، ولكن الرواية كاملة
 عزاها لابن أبي شيبة الزركشي في الإجابة : (ص : ١٤٠)

- المطالب العالية : (١/٣٢٩ - ٣٣٠)

- مختصر إتحاف السادة المهرة (٣٢٢/٤)

ويبدو أن الرواية كاملة إنما هي في مسند ابن أبي شيبة لا في مصنفه - وهو غير مطبوع كاملاً .

(٢) م : (٢/٨٨٥) (١٥) كتاب الحج - (١٨) باب في المتعة بالحج والعمرة . رقم /١٤٥

عنهما ، وأعاقب عليهما ، إحداهما متعة الحج فافصلوا حجكم عن عمرتكم ، فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم ، والأخرى متعة النساء ، فلا أقدر على رجل تزوج بامرأة إلى أجل إلا غيبته في الحجارة (١) .

والحق أنه لم تكن عائشة وحدها في الميدان تدافع عما جاء في السنة ، فهذا علي بن أبي طالب - رضى الله عنه يعارض عثمان - رضى الله عنه - :
 روى مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق قال : كان عثمان ينهى عن المتعة ، وكان علي يأمر بها ، قال علي : لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله - ﷺ - فقال : أجل ، ولكننا كنا خائفين (٢) .

وعن سعيد بن المسيب قال : اجتمع علي وعثمان - رضى الله عنهما - بعسفان ، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال علي : ما تريد إلى أمر فعله رسول الله - ﷺ - وتنهى عنه ؟ . فقال عثمان : دعنا منك . فقال : إني لا أستطيع أن أدعك ، فلما أن رأى علي ذلك أهلاً بهما جميعاً (٣) .
 وكذلك عمران بن حصين عارض عمر ، وحدث بهذا تأثماً في مرضه الذى توفى فيه :

عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير ، عن عمران بن الحصين - رضى الله عنه - قال : « اعلم أن رسول الله - ﷺ - جمع بين حج وعمرة ، ثم لم ينزل فيها كتاب ، ولم ينهنا عنهما رسول الله - ﷺ - قال فيها رجل برأيه » (٤) -
 يعنى عمر - كما جاء في بعض الروايات (٥) ويعنى بقوله : « ثم لم ينزل فيها كتاب » أى لم ينسخ التمتع أو القرآن .

(١) لم أجده فى مسند أبى يعلى فى مسند جابر .

وعزه إليه البوصيرى فى مختصر إتحاف السادة المهرة (٣٢٢/٤) .

(٢) م : (٢) (٨٩٦/٢) (١٥) كتاب الحج (٢٣) باب جواز التمتع رقم (١٢٢٣/١٥٨) .

(٣) المصدر السابق (٢) (٨٩٧/٢) فى الكتاب والباب السابقين رقم (١٢٢٣/١٥٩) .

(٤) المصدر السابق (٢) (٨٩٦/٢) فى الكتاب والباب السابقين - رقم (١٢٢٦/١٦٩) .

(٥) المصدر السابق : (٢) (٨٩٨/٢) فى الكتاب والباب السابقين

وأيضًا لم يكن عمر وحده في الميدان ينهى عن التمتع ، وإنما كان هناك عثمان كما سبق وأبو ذر ، كما سيأتى .

ولم يكن عمر في الحقيقة ينكر جواز التمتع ، وإنما كان يريد أن يكون الإهلال بالحج أتم وأكمل ؛ روى مسلم بسنده عنه قال : قد علمت أن النبي - ﷺ - قد فعله هو وأصحابه ، ولكن كرهت أن يظلوا مُعَرَّسِينَ بهن في الأراك ، ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم ^(١) .

ومعناه - كما يقول النووي - : كرهت التمتع ؛ لأنه يقتضى التحلل ، ووطء النساء إلى حين الخروج إلى عرفات . والأراك هو موضع بعرفة قرب نمرة . قال النووي مبينًا أساس نهى عثمان وعمر عن المتعة : « المختار أن المتعة التى نهى فيها عثمان هى التمتع المعروف فى الحج ، وكان عمر وعثمان ينهيان عنها نهى تنزيه ، وإنما نهيا عنها لأن الأفراد أفضل ، فكان عمر وعثمان يأمران بالأفراد ؛ لأنه أفضل ، وينهيان عن التمتع نهى تنزيه ؛ لأنه مأمور بصلاح رعيته ، وكان يرى الأمر بالأفراد من جملة صلاحهم والله أعلم » ^(٢) .

وقد روى عن أبى ذر أن التمتع بالعمرة إلى الحج كان خاصًا بالصحابة ، وهذا يوهم أنه نسخ ، كما نسخت متعة النساء .

قال أبو ذر : لا تصلح المتعتان إلا لنا خاصة - يعنى متعة النساء ومتعة الحج ^(٣) .

وفى رواية : كانت المتعة فى الحج لأصحاب محمد - ﷺ - خاصة ^(٤) . وقد بين النووي أن الأمر ليس فيه نسخ بمعنى إبطال التمتع وإنما الذى خصوا به فسخ الحج إلى العمرة ؛ لأنهم كانوا مهلين بالحج ، ثم فسخوا ذلك إلى العمرة لبيان الجواز ، كما قال - ﷺ - : « دخلت العمرة الحج إلى يوم القيامة » ،

(١) المصدر السابق : (٢/٨٩٦) (١٥) كتاب الحج - (٢٣) باب فى نسخ التحلل من الإحرام ، والأمر بالتمام - رقم (١٥٧/١٢٢٢)

(٢) شرح مسلم للنوى : (٨/٤٥١ - ٤٥٢)

(٣) م : (٢/٨٩٧) (١٥) كتاب الحج (٢٣) باب جواز التمتع .

(٤) المصدر السابق (الموضع السابق) رقم (١٦٠/١٢٢٤)

وعندما سأله سراقه بن مالك عن إدخال أحدهما في الآخر هل لهم خاصة أم لأبد؟ قال: بل لأبد أبد^(١).

وقد كانت العمرة قبل ذلك مع الحج غير معروفة.

هذا الذي يمكن أن يكون لأصحاب رسول الله - ﷺ - خاصة، أما جواز العمرة فكما قال - ﷺ - : « لأبد أبد » .

قال النووي مبيِّناً ذلك، ومعقباً على الروايات التي يفيد فيها أبو ذر - رضی الله عنه - أنها كانت لهم خاصة، قال: معنى هذه الروايات كلها أن فسخ الحج إلى العمرة كان للصحابة في تلك السنة، وهي حجة الوداع، ولا يجوز بعد ذلك، وليس مراد أبي ذر إبطال التمتع مطلقاً، بل مراده فسخ الحج كما ذكرنا، وحكمته إبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع العمرة في أشهر الحج^(٢).

ومهما يكن من أمر، فتلك الوقفة التي وقفتها عائشة، ومعها بعض الصحابة ثَبَّتَت السنة ووثقتها، ومن يدري ماذا يكون الأمر دون هذه الوقفات، ربما ضاعت هذه السنة؛ سنة التمتع، بما فيها من التيسير على كثير من المسلمين، ولَمَّا كان هناك الكثيرون جدًّا الذين يتمتعون بين العمرة والحج ويؤدون العمرة والحج معاً، والله تعالى الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

(١) المصدر السابق (٢/٨٨٨) (١٥) كتاب الحج - (١٩) باب حجة النبي - ﷺ - رقم (١٢١٨/٤٧).

(٢) شرح مسلم للنووي (٨/٤٥٣).

٢٢ - السعي بين الصفا والمروة :

روى الشيخان أن عروة بن الزبير قال لعائشة - رضى الله عنها - : « ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً ، وما أبالي ألا أطوف بينهما » .

فردت عليه السيدة عائشة بأن الطواف بينهما واجب بالسنة التي بينها سبب نزول الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ وهذا لفظ البخارى :

عن الزهري قال عروة « سألت عائشة رضى الله عنها فقلت لها : رأيت قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [سورة البقرة : ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة .

قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ، ولكنها أنزلت فى الأنصار ، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل (١) ، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله - ﷺ - عن ذلك قالوا : يارسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية .

فقال عائشة - رضى الله عنها - : وقد سن رسول الله - ﷺ - الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما .

قال الزهري : ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال : إن هذا العلم ما كنت سمعته ، ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكرون أن الناس - إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة - كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة ، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة فى القرآن ، قالوا : يارسول الله ، كنا نطوف بالصفا والمروة ، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا ، فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ

(١) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد - ومناة الطاغية : صنم ، وصف بصفة عبده .

مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴿ الآية قال أبو بكر : فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما : في الذين كانوا يتخرجون أن يطوفوا في الجاهلية بالصفاء والمروة ، والذين يطوفون ثم تخرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا ، حتى ذكر بعد ما ذكر الطواف بالبيت » (١) .

وفي رواية : « فلما سألوا رسول الله - ﷺ - عن ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفاء والمروة ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ أَلْصَفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (٢) .

ولولا توضيح السيدة عائشة - رضی الله عنها - وإثباتها لسنة رسول الله - ﷺ - لفهمت الآية على غير فهمها الصحيح ، ولما علم الكثيرون أن الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، أو واجب من واجباته على اختلاف بين الفقهاء .

قال الإمام النووي : مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج لا يصح إلا به ، ولا يجبر بدم ولا غيره ، وممن قال بهذا مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور ، وقال أبو حنيفة هو واجب فإن تركه عصي وجبره بالدم (٣) .

ودليل الجمهور ما حكته السيدة عائشة من السنة ؛ لأن معنى « قد سن » يعني شرعه وجعله ركناً ، ولذلك أكدت ذلك وبينته بقولها : « فليس لأحد أن يترك الطواف فيهما » (٤) .

(١) خ : (١/٥٠٤) (٢٥) كتاب الحج - (٧٩) باب وجوب الصفا والمروة ، جعل من شعائر الله . رقم (١٦٤٣)

م : (٢/٩٢٩) (١٥) كتاب الحج - (٤٣) باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ، ركن لا يصح الحج الآية . رقم (١٢٧٧/٣٦١)

(٢) م : (٢/٩٢٩) في الكتاب والباب السابقين . رقم (١٢٧٧/٢٦٢)

(٣) شرح مسلم للنووي : ٩ / (٢٤ - ٢٥) .

وانظر فتح الباري ، فقيه تفصيل (٣/٥٨٢ - ٥٨٣)

(٤) فتح الباري : (٣/٥٨٥)

قال العلماء : هذا من دقيق علم السيدة عائشة وفهمها الثاقب ، وكبير معرفتها بدقائق الألفاظ ؛ لأن الآية الكريمة إنما دل لفظها على رفع الجناح عن يطوف بهما ، وليست فيها دلالة للوجوب ولا لعدمه ، وبينت السبب في نزولها ، والحكمة في نظمها ، وأنها نزلت في الأنصار حين تخرجوا من السعي بين الصفا والمروة في الإسلام ، وأنها لو كانت كما يقول عروة لكانت : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وقد يكون الفعل واجبًا ، ويعتقد إنسان أنه يمنع إيقاعه على صفة مخصوصة ، وذلك كمن عليه صلاة الظهر ، وظن أنه لا يجوز فعلها عند غروب الشمس ، فيسأل عن ذلك ، فيقال في جوابه : لا جناح عليك إن صليتها في هذا الوقت ، فيكون جوابًا صحيحًا ، ولا يقتضى نفى وجوب صلاة الظهر (١) .

وقال بعض علماء التفسير : إذا كان الحرج في الفعل ، قيل : لا جناح أن تفعل ، وإن كان في الترك ، قيل : لا جناح ألا تفعل . والحرج هنا كان في الفعل لإرادة مخالفة المشركين فيما كانوا يفعلونه من التطوف بهما لإساف وناثلة . فاستدل ابن الزبير على عدم الوجوب بأن الحرج كان في الترك لا في الفعل . فقالت له عائشة - رضی الله عنها - : « لو كان الحرج في الترك وأريد نفيه كان : لا جناح ألا يطوف ، لكن الحرج كان في الفعل فقليل : (لا جناح أن يطوف) واستفيد الوجوب من « ابدءوا بما بدأ الله به » ونحوه من الأدلة على الوجوب . وقيل : إن ابن الزبير أخذ بظاهر الاستعمال ، وأن السعي غير واجب ودقت عائشة النظر بأن نفى الجناح يشمل الواجب والمباح والمندوب والمكروه فلا يستدل به على أحدها بعينه ، بل ذلك لو قال (ألا يطوف) فيكون فيه نفى الجناح عن تركه فيختص بالحرام (٢) .

وشبهه بذلك قال ابن العربي ؛ قال : اعلموا وفقكم الله تعالى ، أن قول القائل : « لا جناح عليك أن تفعل » ، إباحة للفعل . وقوله : « فلا جناح عليك ألا تفعل » إباحة لترك الفعل ؛ فلما سمع عروة - رضی الله عنه - قول الله

(١) شرح مسلم للنووي (٢٥/٩ - ٢٧)

(٢) الإجابة : (ص : ١٤٢) .

سبحانه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ، قال : هذا دليل على أن ترك الطواف جائز ، ثم رأى الشريعة مطبقة على أن الطواف لا رخصة في تركه ، فطلب الجمع بين هذين المتعارضين ، فقالت له عائشة - رضی الله عنها - : ليس قوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ دليلاً على ترك الطواف ؛ إنما كان يكون الدليل على تركه لو كان « فلا جناح عليه ألا يطوف » فلم يأت هذا اللفظ لإباحة ترك الطواف ، ولا فيه دليل عليه ، وإنما جاء لإباحة الطواف لمن كان يتحرج منه في الجاهلية أو لمن كان يطوف به في الجاهلية قصدًا للأصنام التي كانت فيه ؛ فأعلمهم الله تعالى أن الطواف ليس بمحظور إذا لم يقصد الطائف قصدًا باطلاً .

فأدت الآية لإباحة الطواف بينهما ، وسل سخيمة الحرج التي كانت في صدور المسلمين منها قبل الإسلام وبعده ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ ﴾ ؛ أي من معالم الحج ومناسكه ومشروعاته ، لا من مواضع الكفر ، وموضوعاته ؛ فمن جاء البيت حاجاً أو معتمراً فلا يجد في نفسه شيئاً من الطواف بهما (١) .

وقد أثار القرطبي اعتراضاً ورد عليه قال : « فإن قيل : فقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِلَّا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ وهي قراءة ابن مسعود ، ويروى أنه في مصحف أبي كذلك .

ويروى عن أنس مثل هذا . فالجواب أن ذلك خلاف مافي المصحف ، ولا يترك ما قد ثبت في المصحف إلى قراءة لا يدرى أصحت أم لا ، وكان عطاء يكثر الإرسال عن ابن عباس من غير سماع ، والرواية في هذا عن أنس قد قيل : إنها ليست بالمضبوطة ، أو تكون « لا » زائدة للتوكيد (٢) .

* * *

(١) أحكام القرآن : أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق على محمد الجاوي - مكتبة عيسى الباب الحلبي (٤٧/١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الشعب بالقاهرة (٥٦٢/٢) .

٢٣ - لا تدخل الملائكة بيثا فيه صورة ؟

روى مسلم بسنده عن زيد بن خالد الجهني ، عن أبي طلحة الأنصاري قال :
 سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « لا تدخل الملائكة بيثا فيه كلب ولا تماثيل » .
 قال : فأتيت عائشة ، فقلت : إن هذا يخبرني أن النبي - ﷺ - قال :
 لا تدخل الملائكة بيثا فيه كلب ولا تماثيل ، فهل سمعت رسول الله - ﷺ -
 ذكر ذلك ؟

فقلت : لا ، ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل ، رأيته خرج في غزواته ، فأخذت
 نمطاً ^(١) فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه ،
 فجذبه حتى هتكه أو قطعه ، وقال : إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ،
 قالت : فقطعنا منه وسادتين ، وحشوتهما ليفاً ، فلم يعب ذلك علي ^(٢) .
 وفي هذا الحديث ما يبين أن إنكار رسول الله - ﷺ - كان كساء الحائط
 ولكن الروايات الأخرى توضح أن النمط كان فيه صورة ، وأن إنكاره كان لذلك
 أيضاً .

فقد روى مسلم بسنده أيضاً عن عائشة قالت : قدم رسول الله - ﷺ - من
 سفر ، وقد سترت علي بابي دُزَنُوْكَا ^(٣) فيه الخيل ذوات الأجنحة ، فأمرني
 فنزعته ^(٤) .

وفي حديث آخر عنها قالت : دخل علي رسول الله - ﷺ - وأنا متسترة
 بقرام ^(٥) فيه صورة فتلون وجهه ، ثم تناول الستر فهتكه ، ثم قال : إن من أشد
 الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله ^(٦) .

(١) النمط : بساط ليف له حمل .

(٢) م : (١٦٦٦/٣) (٣٧) كتاب اللباس - (٢٦) باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم
 اتخاذ ما فيه صورة غير ممتحنة بالفرش ، ونحوه . رقم (٢١٠٦/٨٧)

(٣) الدرنونك : وهو ستر له حمل وجمعه درانك .

(٤) المصدر السابق (١٦٦٥/٢) في الكتاب والباب السابقين رقم (٢١٠/٩٠) .

(٥) القرام : هو الستر الرقيق .

(٦) م : (١٦٦٧/٣) في الكتاب والباب السابقين - رقم (٢١٠٧/٩١)

فارسول - ﷺ - أنكر عليها الأمرين ؛ الستر ، والتماثيل أو التصاوير .
 ومعنى هذا أن السيدة عائشة - رضی الله عنها - أنكرت أن يروى الحديث
 هكذا على صورة مطلقة ، فلا بأس من أن تتخذ الثياب التي فيها تصاوير وسائد
 وغيرها مما فيه امتهان ، وبالتالي تدخل الملائكة البيت الذي فيه التصاوير هكذا .
 على أن المباح في الوسائد وغيرها هو الرَّمَم ، وهو الوشى والنقش الصغير
 الذي هو مثل الكتابة ؛ لأن الأصل في الرقم الكتابة ^(١) .

فعن بسر بن سعيد ، عن زيد بن خالد ، عن أبي طلحة صاحب رسول الله -
 ﷺ - أنه قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة » .
 قال بسر : ثم اشتكى زيد بعد ، فعدناه ، فإذا على بابه ستر فيه صورة ، قال :
 فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة ، زوج النبي - ﷺ - : ألم يخبرنا زيد عن
 الصور يوم الأول ، فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : إلا رقمًا في ثوب ^(٢) .
 وهذا يفسر لنا أن رسول الله - ﷺ - كان يبيح استعمال الوسادة التي فيها
 صور ، كما في حديث عائشة السابق ، ولا يبيحها ، كما في حديثها الآتي الذي
 رواه مسلم أيضًا :

عن عائشة أنها اشترت نمرقة ^(٣) فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله -
 ﷺ - فلم يدخل ، فعرفت ، أو فعرفت في وجهه الكراهية ، فقالت : يارسول
 الله ، أتوب إلى الله ، وإلى رسوله ، فماذا أذنبت ؟ فقال رسول الله - ﷺ -
 ما بال هذه النمرقة ؟ فقالت : اشتريتها لك ، تقعد عليها وتوسدها ، فقال رسول
 الله - ﷺ - : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون ، ويقال لهم : أحيوا
 ما خلقتم » ، ثم قال : « إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة » ^(٤) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الحزري ابن الأثير
 (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) - تحقيق محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي - دار إحياء الكتب العربية
 - القاهرة - (مادة : رقم) .

(٢) م : (١٦٦٥/٢) في الكتاب والباب السابقين - رقم (٢١٠٦/٨٥) .

(٣) النمرقة : وسادة ، وقيل : مرفقة

(٤) م (١٦٦٩/٢) في الكتاب والباب السابقين (رقم : ٢١٠٧/٩٦) .

فهنا لم يرض - ﷺ - أن تكون هذه النمرقة وسادة ، ورضيها في الحديث الأول ؛ وما ذاك في ظني إلا لكون هذه الصورة رقمًا فيكون مباحًا ، أو ليس رقمًا فلا يكون مباحًا .

وقد تكلم ابن حجر في حكم الصور بما فيه الكفاية فقال : قال النووي : وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذها مطلقًا ، وهو مذهب باطل ؛ فإن الستر الذي أنكره النبي - ﷺ - كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ، وعلى ذلك فأمر بنزعه .

قلت : المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبه عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون « قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته ، فرأيت في بيته حَجَلَةٌ ^(١) فيها تصاوير القُنْدُس والعنقاء . »

ففي إطلاق كونه مذهبًا باطلًا نظر ؛ إذ يحتمل أنه تمسك في ذلك بعموم قوله « إلا رقمًا في ثوب » فإنه أعم من أن يكون معلقًا أو مفروشًا ، وكأنه جعل إنكار النبي - ﷺ - على عائشة تعليق الستر المذكور مركبًا من كونه مصورًا ، ومن كونه ساترًا للجدار .

يؤيده ما ورد في بعض طرقه عند مسلم ، فأخرج من طريق سعيد بن يسار عن زيد بن خالد الجهني « دخلت على عائشة ... » فذكر نحو حديث الباب ، لكن قال « فجذبه حتى هتكه ، وقال : إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين . قال فقطعنا منه وسادتين » الحديث ؛ فهذا يدل على أنه كره ستر الجدار بالثوب المصور ، فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة ، وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار .

والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث الثُّمُوقَة ، فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحَجَلَة ما استجاز استعمالها ؛ لكن الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك يدل على أنه مذهب مرجوح ، وأن الذي رخص فيه من ذلك ما يمتن ، لا ما كان منصوبًا .

(١) الحجلة : كالقبة ، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس جمع حجل وحجال (القاموس

المحيط ، مادة حجل) .

وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق أيوب عن عكرمة قال : كانوا يقولون في التصاوير في البسط والوسائد التي توطأ ذل لها . ومن طريق عاصم عن عكرمة قال : كانوا يكرهون مناصب من التماثيل نصيبًا ولا يرون بأسًا بما وطئته الأقدام . ومن طريق ابن سيرين ، وسالم بن عبد الله ، وعكرمة بن خالد ، وسعيد بن جبير ، أنهم قالوا : لا بأس بالصورة إذا كانت توطأ . ومن طريق عروة أنه كان يتكئ على المرافق فيها التماثيل ؛ الطير والرجال (١) .

ولكن ما حكم ستر الحيطان ؟ قال النووي : فاستدلوا به أي بحديث عائشة - رضی الله عنها - على أنه يمنع من ستر الحيطان ، وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، وهذا هو الصحيح ، وقال الشيخ أبو الفتح نصر المقدسى من أصحابنا - أى من الشافعية - : « هو حرام » . وليس فى هذا الحديث ما يقتضى أنه ليس بواجب ولا مندوب ، ولا يقتضى التحريم . والله أعلم (٢) .

وكما ترى فللسيدة عائشة فضل كبير فى تجلية هذه السنة بما يؤدى إلى جلاء هذا الموضوع الفقهى .

(١) فتح البارى (١٠/٤٠٢) .

(٢) م : (١١١٧/٢) (١٨) كتاب الطلاق (٦) باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها رقم (٤٢) /

(١٤٨٠) .

٢٤ - السكنى للمبتوتة :

روت فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها ثلاثاً ، فخاصمته إلى رسول الله - ﷺ - فلم يجعل لها سكنى ولا نفقة .

وقد روى حديثها الإمام مسلم : عن الشعبي قال : دخلت على فاطمة بنت قيس فسألتها عن قضاء رسول الله - ﷺ - عليها ، فقالت : طلقها زوجها البتة ، فقالت : فخاصمته إلى رسول الله - ﷺ - في السكنى والنفقة ، قالت : فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة ، وأمرني أن أعتد في بيت ابن أم مكتوم (١) . ولم يوافق علي هذا بعض الصحابة :

أولاً : رأى بعضهم أنه مخالف لكتاب الله ؛ قال عمر : لا نترك كتاب الله ، وسنة رسول الله - ﷺ - لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت ، لها السكنى والنفقة قال الله عز وجل : ﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ [سورة الطلاق : ١] (٢) .

ويعنى بسنة رسول الله ﷺ « أن النفقة ثبتت بالسنة » .

أما عائشة - رضي الله عنها - فبينت أن فاطمة بنت قيس حدثت بقضاء رسول الله - ﷺ - دون ملبساته ، أو دون سببه .

بينت أن حالة فاطمة بنت قيس حالة خاصة ، وهي أنها كانت في مكان خلاء لا سكن به ، موحش قفر .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لقد عابت عائشة ذلك أشد العيب - أي تحديد فاطمة ألا سكنى ولا نفقة للمبتوتة - وقالت : إن فاطمة كانت في مكان وحش ، فخيف على ناحيتها فلذلك رخص لها رسول الله - ﷺ - (٣) .

وفي رواية : قيل لعائشة : ألم ترى إلى قول فاطمة ؟ قالت : أما إنه لا خير لها

(١) م : (٢/١١١٧) (١٨) كتاب الطلاق (٦) باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها رقم (٤٢/١٤٨٠)

(٢) م : (٢/١١١٨ - ١١١٩) في الكتاب والباب السابقين . رقم (٤٦/١٤٨٠)

(٣) د : (٢/٧١٨) (٧) كتاب الطلاق (٤٠) باب من أنكر على فاطمة بنت قيس

في ذكر ذلك ^(١) . أى لا خير لها في ذكر هذا الحديث - كما جاء في رواية البخارى - لأنها تحدث به على العموم ، ولا توضح أن ذلك كان رخصة لها . وفي هذه الرواية : « إن فاطمة كانت في مكان وَحْشٍ فخيف على ناحيتها فلذلك أرخص لها النبي - ﷺ » ^(٢) .

والحق أن السلف قد اختلفوا في نفقة المطلقة البائن وسكناها : فقال الجمهور : لا نفقة لها . ولها السكنى ، واحتجوا لإثبات السكنى بقوله تعالى : ﴿ أَتَسْكُنُونَهُ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ [سورة الطلاق : ٦] وإسقاط النفقة بمفهوم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [سورة الطلاق : ٦] فإن مفهومه أن غير الحامل لا نفقة لها ، وإلا لم يكن لتخصيصها بالذكر معنى ، والسياق يفهم أنها في غير الرجعية ؛ لأن نفقة الرجعية واجبة وإن لم تكن حاملا .

وذهب أحمد وإسحاق وأبو ثور إلى أنه لا نفقة لها ولا سكنى ، على ظاهر حديث فاطمة بنت قيس ، ونازعوا في تناول الآية الأولى المطلقة البائن .

وقد احتجت فاطمة بنت قيس صاحبة القصة على مروان حين بلغها إنكاره بقولها : بينى وبينكم كتاب الله ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ [سورة الطلاق : ١] إلى قوله : ﴿ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ١] قالت : هذا لمن كانت له مراجعة ، فأى أمر يحدث بعد الثلاث ؟ وإذا لم يكن لها نفقة وليست حاملا فعلام يحبسونها ؟

وقد وافق فاطمة على أن المراد بقوله تعالى : ﴿ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق : ١] المراجعة قتادة والحسن والسدى والضحاك ، أخرج الطبرى عنهم ، ولم يحك عن أحد غيرهم خلافة ، وحكى غيره : أن المراد بالأمر ما يأتي من قبل الله تعالى ؛ من نسخ ، أو تخصيص ، أو نحو ذلك ، فلم ينحصر ذلك في المراجعة . وأما ما أخرج أحمد من طريق الشعبي عن فاطمة في آخر حديثها مرفوعا « إنما السكنى والنفقة لمن يملك الرجعة » فهو في أكثر الروايات موقوف عليها ، وقد بين الخطيب في « المدرج » أن مجالد بن سعيد تفرد برفعه ، وهو ضعيف ،

(١) م : (١٢١/٢) في الكتاب والباب السابقين رقم (١٤٨١/٥٤) .

(٢) خ : (٤١٨/٣) (٦٨) كتاب الطلاق - (٤١) باب قصة فاطمة بنت قيس . رقم (٣٢٥) -

ومن أدخله في رواية غير رواية مجالد عن الشعبي فقد أدرجه ، وهو كما قال ، وقد تابع بعض الرواة عن الشعبي في رفعه مجالداً ، لكنه أضعف منه .

وأما قولها « إذا لم يكن لها نفقة فعلام يحبسونها » ؟ فأجاب بعض العلماء عنه بأن السكنى التي تتبعها النفقة هو حال الزوجية الذي يمكن معه الاستمتاع ولو كانت رجعية ، وأما السكنى بعد البيونة فهو حق لله تعالى بدليل أن الزوجين لو اتفقا على إسقاطها في العدة لم تسقط بخلاف الرجعية ، فدل على أن لا ملازمة بين السكنى والنفقة .

وقد قال بمثل قول فاطمة أحمد وإسحاق وأبو ثور وداود وأتباعهم .

وذهب أهل الكوفة من الحنفية وغيرهم إلى أن لها النفقة والسكنى ، وأجابوا عن الآية بأنه تعالى إنما قيد النفقة بحالة الحمل ليدل على إيجابها في غير حالة الحمل بطريق الأولى ؛ لأن مدة الحمل تطول غالباً . ورد ابن السمعاني بمنع العلة في طول مدة الحمل ، بل تكون مدة الحمل أقصر من غيرها تارة وأطول أخرى فلا أولوية ؛ وبأن قياس الحائل على الحامل فاسد ؛ لأنه يتضمن إسقاط تقييد ورد به النص في القرآن والسنة .

وأما قول بعضهم : إن حديث فاطمة أنكره السلف عليها كما تقدم من كلام عائشة ، وكما أخرج مسلم من طريق أبي إسحاق « كنت مع الأسود بن يزيد في المسجد فحدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله - ﷺ - لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ، فأخذ الأسود كفاً من حصي فحصبه به ، وقال : ويلك تحدث بهذا ؟ قال عمر : لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى لعلها حفظت أو نسيت ، قال الله تعالى : ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ﴾ فالجواب عنه أن الدارقطني قال : قوله في حديث عمر « وسنة نبينا » غير محفوظ والمحمفوظ « لا ندع كتاب ربنا » وكأن الحامل له على ذلك أن أكثر الروايات ليست فيها هذه الزيادة ، لكن ذلك لا يرد رواية الثقة ، ولعل عمر أراد بسنة النبي - ﷺ - مادلت عليه أحكامه من اتباع كتاب الله ، لا أنه أراد سنة مخصوصة في هذا ، ولقد كان الحق ينطق على لسان عمر ، فإن قوله « لا ندرى حفظت أو نسيت » قد ظهر مصداقه في أنها أطلقت في موضع التقييد أو عممت في

موضع التخصيص كما تقدم بيانه ، وأيضا فليس في كلام عمر ما يقتضى إيجاب النفقة ، وإنما أنكر إسقاط السكنى .

وادعى بعض الحنفية أن في بعض طرق حديث عمر « للمطلقة ثلاثاً السكنى والنفقة » ورده ابن السمعاني بأنه من قول بعض المجازفين فلا تحل روايته ، وقد أنكر أحمد ثبوت ذلك عن عمر أصلاً ، ولعله أراد ما ورد من طريق إبراهيم النخعي عن عمر ؛ لكونه لم يلقه .

وقد بالغ الطحاوي في تقرير مذهبه فقال : خالفت فاطمة سنة رسول الله - ﷺ - لأن عمر روى خلاف ما روت ، فخرج المعنى الذى أنكر عليها عمر خروجاً صحيحاً ، وبطل حديث فاطمة فلم يجب العمل به أصلاً ، وعمدته على ما ذكر من المخالفة ما روى عن عمر بن الخطاب ، فإنه أورده من طريق إبراهيم النخعي عن عمر قال : « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : لها السكنى والنفقة » وهذا منقطع لا تقوم به حجة (١) .

* * *

(١) فتح البارى : (٣٩٠/٩ - ٣٩١) .

٢٥ - المرأة لا تقطع الصلاة :

روى مسلم بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله - ﷺ - : إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستتره إذا كان بين يديه مثل أخرة الرُّحْل ، فإذا لم يكن بين يديه مثل أخرة الرُّحْل ، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود .
 قلت : يا أبا ذر ، ما بال الكلب الأسود ، من الكلب الأحمر ، من الكلب الأصفر ؟

قال : يا ابن أخي ، سألت رسول الله - ﷺ - كما سألتني فقال : الكلب الأسود شيطان (١) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب . ويقي ذلك مثل مؤخرة الرجل (٢) .

وبلغ ذلك السيدة عائشة فوجدته يتعارض مع ما عندها من السنة كما رده بالأصول والقياس ، والأخيرين سأتكلم عليهما في فصل تال ، إن شاء الله عز وجل .

عن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة : ما يقطع الصلاة ؟ قال : فقلنا : المرأة والحمار . فقالت : إن المرأة لدابة سوء ؟ ، لقد رأيتني بين يدي رسول الله - ﷺ - - معترضة كاعتراض الجنابة وهو يصلي (٣) .

وعن مسروق عن عائشة - وذكر عندها ما يقطع الصلاة : الكلب والحمار والمرأة ، فقالت عائشة : قد شبهتمونا بالحمير والكلاب ، والله لقد رأيت رسول الله - ﷺ - يصلي واني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة ، فتبدو الحاجة ، فأكره أن أجلس فأوذى رسول الله - ﷺ - - فأنسل من عند رجله (٤) .

(١) م : (٣٦٥/١) (٤) كتاب الصلاة - (٥) باب قدر ما يستر الرجل - رقم (٥١٠/٢٦٥)

(٢) المصدر السابق (٣٦٥/١ - ٣٦٦) في الكتاب والباب السابقين .

(٣) المصدر السابق (٣٦٦/١) الكتاب السابق (٥١) باب الاعتراض بين يدي المصلي . رقم

(٥١٢/٢٦٩)

(٤) م : (٣٦٦/١) في الكتاب والباب السابقين . رقم (٥١٢٩/٢٧٠) .

وفي رواية البخارى : « لقد جعلتمونا كلاباً » (١) .
 وقد اختلف العلماء فى العمل بهذه الأحاديث ، قال الطحاوى وغيره : إن
 حديث أبى ذر وما وافقه منسوخ بحديث عائشة وغيرها (٢) .
 وتعقب بأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا علم التاريخ وتعذر الجمع ، والتاريخ هنا
 لم يتحقق ، والجمع لم يتعذر .
 وذهب الشافعى وغيره إلى تأويل القطع فى حديث أبى ذر بأن المراد به نقص
 الخشوع لا الخروج من الصلاة .
 وبهذا جمع الشافعى فى الحقيقة بين هذه الأحاديث المتعارضة ، والقطع هنا
 ليس بمعنى بطلان الصلاة .

ويؤيد هذا الجمع أن الصحابى راوى الحديث سأل عن الحكمة فى تقييد
 الكلب بالأسود فأجيب بأنه شيطان ، وقد علم أن الشيطان لو مر بين يدى المصلى
 لم تفسد صلاته ؛ لحديث : إذا تُوبَ بالصلاة أدير الشيطان ، فإذا قضى التثويب
 أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، وحديث : « إن الشيطان عرض لى فشد على
 فأخذته فصرعته فخنقته » .

وقال الإمام أحمد : يقطع الصلاة الكلب الأسود ، قال : وفى النفس من
 الحمار والمرأة شىء . ووجه ابن دقيق العيد رأى أحمد هذا بأنه لم يجد فى
 الكلب الأسود ما يعارضه ، ووجد فى الحمار حديث ابن عباس (٣) : أقيلت راكبنا
 على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ورسول الله - ﷺ - يصلى بالناس
 بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدى بعض الصف ، فنزلت وأرسلت الأتان ترتع ،
 ودخلت فى الصف ، فلم ينكر ذلك عَلَيَّ أحد .
 ووجد فى المرأة حديث عائشة - رضى الله عنها .

(١) خ : (١٧٩/١) (٨) كتاب الصلاة (١٠٥) باب من قال : لا يقطع الصلاة شىء . رقم
 (٥١٤)

(٢) شرح معانى الآثار (٤٦٣/١) كتاب الصلاة - باب المرور بين يدى المصلى ، هل يقطع عليه
 ذلك صلاته ، أم لا ؟

(٣) فتح البارى (٧٠١/١)

ولكن بعض علماء السلف استدل من حديث عائشة - رضی الله عنها - أن الصلاة لا يقطعها شيء :

عن ابن أخي ابن شهاب أنه سأل عمه عن الصلاة يقطعها شيء ؟ فقال : لا يقطعها شيء ؛ أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي - ﷺ - قالت : لقد كان رسول الله - ﷺ - يقوم فيصلى من الليل ، وإنى لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله (١) .

قال ابن حجر : ووجه الدلالة من حديث عائشة الذي احتج به ابن شهاب أن حديث « يقطع الصلاة المرأة ... » إلخ يشمل ما إذا كانت مارة أو قائمة أو قاعدة أو مضطجعة ، فلما ثبت أنه - ﷺ - صلى وهي مضطجعة أمامه دل ذلك على نسخ الحكم في المضطجع ، وفي الباقي بالقياس عليه .

وهذا يتوقف على إثبات المساواة بين الأمور المذكورة ، وقد تقدم مافيه ، فلو ثبت أن حديثها متأخر عن حديث أبي ذر لم يدل إلا نسخ الاضطجاع فقط . وقد نازع بعضهم في الاستدلال به مع ذلك من أوجه أخرى :

أحدها : أن العلة في قطع الصلاة بها ما يحصل من التشويش ، وقد قالت إن البيوت يومئذ لم يكن فيها مصاييح فانتفى المعلول بانتفاء علته .

ثانيها : أن المرأة في حديث أبي ذر مطلقة وفي حديث عائشة مقيدة بكونها زوجته ، فقد يحمل المطلق على المقيد ، ويقال يتقيد القطع بالأجنبية لخشية الافتتان بها بخلاف الزوجة فإنها غير حاصلة .

ثالثها : أن حديث عائشة واقعة حال يتطرق إليها الاحتمال ، بخلاف حديث أبي ذر فإنه مسوق مساق التشريع العام ، وقد أشار ابن بطال إلى أن ذلك كان من خصائصه ﷺ ؛ لأنه كان يقدر من ملك إزبه على ما لا يقدر عليه غيره .

(١) خ (١/٦٨٠ - ٦٨١) (٨) كتاب الصلاة - (٩٠) باب سترة الإمام سترة من خلفه . رقم

وقال بعض الحنابلة يعارض حديث أبي ذر وما وافقه أحاديث صحيحة غير صريحة ، وصريحة غير صحيحة ، فلا يترك العمل بحديث أبي ذر الصريح بالمحتمل يعني حديث عائشة وما وافقه .
والأحاديث التي تقول بقطع الصلاة تخص ذلك بالمرور ، أما حديث عائشة فيبين استقرار المرأة ، « فهكذا المرأة يقطع مرورها دون لبثها »^(١) ولا يكون هناك تعارض بين هذه الأحاديث .
هذا تفسير بعض العلماء .
ولكن عائشة في إنكارها لا تفرق بين المرور واللث ، ولا بين الزوجة وغيرها ، ولو فرقت ما اعترضت ، وهي الخبيرة بالأحكام وباللغة ، والله الموفق .

* * *

(١) فتح الباري (١/٧٠٢ - ٧٠٣) .

٢٦ - الصلاة على الجنابة في المسجد :

رأى بعض الصحابة أن يصلى على الجنابة في المصلى ، وهو مكان يعد للصلاة الجنابة ولصلاة العيد وربما كانت الحكمة في ذلك أن يكثر الناس في هاتين الصلاتين ، فيستوعبهن المصلى .

وفهم بعض الصحابة أنه لا يصلى على الجنابة في المسجد ، وأنكروا على عائشة وأزواج النبي - ﷺ - أن يصلى على الجنابة في المسجد :

أخرج مسلم بسنده عن عباد بن عبد الله بن الزبير أن عائشة أمرت أن يمر بجنابة سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلى عليه ، فأنكر الناس ذلك عليها ، فقالت : ما أسرع ما نسي الناس ، ما صلى رسول الله - ﷺ - على سهيل بن البيضاء إلا في المسجد (١) .

وعنه يحدث عن عائشة أنها لما توفى سعد بن أبي وقاص أرسل أزواج النبي - ﷺ - أن يمرؤا بجنابته في المسجد فيصلين عليه ، ففعلوا ، فوقف به على حجرهن يصلين عليه ... فبلغهن أن الناس عابوا ذلك ، وقالوا : ما كانت الجنائز يدخل بها المسجد ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به ، عابوا علينا أن يمر بجنابة في المسجد ، وما صلى رسول الله - ﷺ - على سهيل بن البيضاء إلا في وجوف المسجد (٢) .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة لما توفى سعد بن أبي وقاص قالت : ادخلوا به المسجد حتى أصلى عليه ، فأنكر ذلك عليها ، فقالت : والله لقد صلى رسول الله - ﷺ - على ابني بيضاء في المسجد ؛ سهيل وأخيه . قال مسلم : سهيل بن دعد ، وهو ابن البيضاء ، أمه بيضاء (٣) .

قال النووي في حكم صلاة الجنابة في المسجد : وفي هذا الحديث دليل للشافعي والكثيرين في جواز الصلاة على الميت في المسجد ، ومن قال به أحمد

(١) م : (٦٦٨/٢) (١١) كتاب الجنائز (٣٤) باب الصلاة على الجنابة في المسجد . رقم

(٩٧٣/٩٩)

(٢) المصدر السابق (الموضع السابق) رقم (٩٧٣/١٠٠)

(٣) م : (٦٦٩/٢) في الكتاب والباب السابقين . رقم : (٦٦٩/١٠١) .

واسحاق قال ابن عبد البر : ورواه المدنيون في الموطأ عن مالك ، وبه قال ابن حبيب المالكي . وقال ابن أبي ذئب وأبو حنيفة ومالك على المشهور عنه : لا تصح الصلاة عليه في المسجد واستدلوا بحديث في سنن أبي داود « من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له » ودليل الشافعي والجمهور حديث سهيل بن بيضاء وأجابوا عن حديث سنن أبي داود بأجوبة :

أحدها : أنه ضعيف لا يصح الاحتجاج به قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف تفرد به صالح مولى التوأمة وهو ضعيف .

والثاني أن الذي في النسخ المشهورة المحققة المسموعة من سنن أبي داود « من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء عليه » ولا حجة لهم حيثئذ فيه . الثالث : أنه لو ثبت الحديث وثبت أنه قال « فلا شيء له » لوجب تأويله على فلا شيء عليه ؛ ليجمع بين الروايتين وبين هذا الحديث وحديث سهيل بن بيضاء ، وقد جاء « له » بمعنى « عليه » كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ .

الرابع : أنه محمول على نقص الأجر في من صلى في المسجد ورجع ولم يشيعها إلى المقبرة ؛ لما فاته من تشييعه إلى المقبرة وحضور دفنه والله أعلم . وفي حديث سهيل هذا دليل لطهارة آدمي الميت ، وهو الصحيح في مذهبنا (١)

والذي في سنن أبي داود التي بين أيدينا : عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء عليه » (٢) .

وقد روى أبو داود قبله حديث عائشة بروايته عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة ، وعن أبي سلمة عن عائشة (٣) .

(١) شرح النووي لمسلم : (٤٤/٧ - ٤٥) .

(٢) د : (٣/٥٣٠ - ٥٣١) (١٥) كتاب الجنائز (٥٤٩) باب الصلاة على الجنازة في المسجد

رقم (٣١٩١) .

(٣) د : (الموضع السابق) رقم (٣١٨٩ - ٣١٩٠)



قال الخطابي : الحديث الأول أصح - أي حديث عائشة - وصالح مولى التوأمة - راوى حديث أبي هريرة - ضعفوه ، وقد كان نسي حديثه في آخر عمره ، وقد ثبت أن أبا بكر وعمر - رضی الله عنهما - ضلّی علیهما في المسجد ، ومعلوم أن عامة المهاجرين والأنصار شهدوا الصلاة عليهما ، ففي تركهم إنكاره دليل على جوازه (١) .

(١) معالم السنن للخطابي (٢٧٢/١) باب الصلاة على الجنة في المسجد .

٢٧ - أبال رسول الله - ﷺ قائمًا ؟

روى الترمذى بسنده عن المقدم بن شريح ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : من حدثكم أن النبي - ﷺ - كان يبول قائمًا فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا قاعدًا . قال أبو عيسى الترمذى : وفى الباب عن عمر ، وبريدة ، وعبد الرحمن بن حسنة .

قال أبو عيسى : حديث عائشة أحسن شىء فى الباب وأصح . وحديث عمر إنما روى من حديث عبد الكريم بن أبى المخارق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : رآنى رسول الله - ﷺ - وأنا أبول قائمًا ، فقال يا عمر ، لا تبل قائمًا ، فما بلت قائمًا بعد . قال أبو عيسى : وإنما رفع هذا الحديث عبد الكريم بن أبى المخارق ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، ضعفه أبوب السخيتانى وتكلم فيه قال : وروى عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال عمر - رضى الله عنه - : ما بلت قائمًا منذ أسلمت .

قال الترمذى : وهذا أصح من حديث عبد الكريم . - أى كونه موقوفًا على عمر .

قال : وحديث بريدة غير محفوظ .

قال الترمذى مبيّنًا حكم النهى عن البول قائمًا :

ومعنى النهى عن البول قائمًا على التأديب ، لا على التحريم ، وقد روى عن عبد الله بن مسعود قال : إن من الجفاء أن تبول وأنت قائم (١) .

أما بول النبي - ﷺ - قائمًا فقد رواه الشيخان :

روى البخارى بسنده عن أبى وائل قال : كان أبو موسى يشدد فى البول ويقول : إن بنى إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه ، فقال حذيفة : ليته أمسك ، أتى رسول الله - ﷺ - سباطة قوم فبال قائمًا (٢)

(١) ت : (١٧/١ - ١٨) أبواب الطهارة (٨) باب ماجاء فى النهى عن البول قائمًا - رقم (١٢)

(٢) خ : (٣٩٤/١) (٤) كتاب الوضوء - (٦٢) باب البول عند سباطة قوم . رقم (٢٢٦)

ورواه مسلم بتفصيل أكثر من هذا :

عن أبي وائل قال : كان أبو موسى يشدد في البول ، يبول في قارورة ، ويقول إن بنى إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض ، فقال حذيفة : لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد ، فلقد رأيتني أنا ورسول الله - ﷺ - نتماشى ، فأتى سباطة خلف حائط ، فقام كما يقوم أحدكم ، فبال ، فانتبذت منه ، فأشار إلى فجئت ، فقممت عند عقبه حتى فرغ (١) .

ولما كان هذان الحديثان صحيحين ؛ حديث عائشة ، وحديث حذيفة فقد حاول العلماء الجمع بينهما بحيث لا يكونان متعارضين .

قال بعضهم : إن حديث عائشة ورد على صيغة « كان » وهي تفيد الاستمرار في الأغلب ، فكأنها تنكر على من يحدث أن رسول الله - ﷺ - كان مستمراً على البول قائماً .

وعلى هذا فلا تعارض بينه وبين حديث حذيفة الذي يبين حالة من الحالات التي بال فيها رسول الله - ﷺ .

قال الزركشي : واعلم أنه قد حدث عن رسول الله - ﷺ - بالبول قائماً حذيفة ؛ أخرجاه في الصحيحين ، وجمع بعضهم بين الروایتين ؛ لأن النفي في حديث عائشة ورد على صيغة « كان » بمعنى الاستمرار في الأغلب ، وحديث حذيفة ليس فيه « كان » فلا يدل إلا على مطلق الفعل ، ولو مرة (٢) .

ويدل لذلك ما رواه الحاكم - وصححه - بسنده عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - بال قائماً من جرح كان بمأبضه » . وقال : هذا حديث صحيح تفرد به حماد بن غسان ، ورواه كلهم ثقات (٣) لكن يعكر على هذا الجمع ما روى عن السيدة عائشة أنها قالت : ما بال رسول الله - ﷺ - قائماً منذ أنزل عليه الفرقان . وفي رواية : عن المقدم بن شريح عن أبيه قال : سمعت عائشة تقسم بالله ما رأى أحد رسول الله - ﷺ - يبول قائماً منذ أنزل عليه الفرقان .

(١) م : (٢٢٨/١) (٢) كتاب الطهارة (٢٢) باب المسح على الخفين رقم ٢٧٣/٧٤

(٢) الإجابة (ص : ١٦٠)

(٣) المستدرك (١٨٢/١) كتاب الطهارة - البول قائماً وقاعداً .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والذى عندى أنهما لما اتفقا على حديث منصور ، عن أبي وائل ، عن حذيفة أن رسول الله - ﷺ - أتى سباطة قوم فبال قائمًا ، وجدا حديث المقدم عن أبيه ، عن عائشة - رضی الله عنها - معارضًا له ، فتركاها . ووافقها الذهبي (١) . والأولى أن نقول : إن عائشة حكمت ما رأت فقد جاء في بعض روايات الحديث « أنا رأيته يبول قاعدًا » (٢) ، أما الرجال فقد حكوا ما رأوا أيضًا ، وأن رسول الله - ﷺ - فعل هذا وذاك ، وإن كان البول قائمًا قليلًا . ولهذا قال بعض العلماء : الرجل أعلم بهذا منها (٣) .

وكان من شأن العربي البول قائمًا ، ولكن غيّر هذه العادة رسول الله - ﷺ - لما يؤدي ذلك إلى رشاش البول النجس الذى يصيب البدن والثوب . ولهذا تعجبوا من كونه ﷺ يبول قاعدًا :

عن عبد الرحمن حسنة قال : انطلقت أنا وعمرو بن العاص فخرج علينا رسول الله - ﷺ - وبیده دَرَقَةٌ ، أو شبيه بالدرة ، فاستتر بها فبال ، وهو جالس ، فقلت لصاحبي : ألا ترى إلى رسول الله - ﷺ - كيف يبول كما تبول المرأة ؟ قال : فأتانا فقال : ألا تدرّون ما لقي صاحب بنى إسرائيل ؟ كان إذا أصاب أحدًا شيء من البول قرضه بالمقراض ، قال : فنهاهم عن ذلك فعذب في قبره .

قال الحاكم بعد روايته : هذا حديث صحيح الإسناد ، ومن شرط الشيخين (٤) .

وقال الذهبي فى التلخيص . رواه عدة عن الأعمش ، وهو على شرطهما (٥) .

(١) المصدر السابق (١٨٥/١)

(٢) جه : (١١٢/١) ١٩ كتاب الطهارة وسننها (١٤) باب فى البول قاعدًا . رقم (٣٠٧) ولفظه : « من حدثك أن رسول الله - ﷺ - بال قائمًا فلا تصدقه ، أنا رأيته يبول قاعدًا » .

(٣) الإجابة : (ص : ١٦٢) ونسبه إلى سفيان الثورى .

(٤) المستدرک : (١٨٤/١ - ١٨٥) كتاب الطهارة .

(٥) تلخيص المستدرک للذهبي ، على هامش المستدرک (١٨٤/١) .



ويبقى بعد كل هذا مقياس السيدة عائشة ليكون منازًا يقتدى به كل من يوثق سنة رسول الله - ﷺ .

وقد حكى ابن حجر ، أن أبا عوانة في صحيحه وابن شاهين سلكا مسلكًا آخر فرعما أن البول عن قيام منسوخ ، واستدلا بحديث عائشة : « ما بال قائمًا منذ أنزل عليه القرآن » ، وبحديثها أيضًا : « من حدثكم أن كان يبول قائمًا فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا قاعدًا » .

قال ابن حجر : والصواب أنه غير منسوخ ، والجواب عن حديث عائشة أنه مستند إلى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت ، وأما في غير البيوت فلم تطلع هي عليه ، وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة ^(١) رضوان الله عليهم .

* * *

(١) فتح الباري : (٣٩٤/١)

٢٨ - طواف الحاج قبل الوقوف :

كان ابن عباس - رضى الله عنهما - يقول : لا يطوف بالبيت حاج ، ولا غير حاج إلا حل ، وقد استنبط ذلك من كون الرسول - ﷺ - أمر أصحابه أن يحلوا في حجة الوداع بعد ما طافوا وسعوا ، وكانوا محرمين بالحج .

روى مسلم بسنده عن ابن جريح عن عطاء قال : كان ابن عباس يقول : لا يطوف بالبيت حاج ولا غير حاج إلا حل .

قال ابن جريح : قلت لعطاء : من أين يقول ذلك ؟ قال : من قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَجِّلَهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج : ٣٣] قال : قلت : فإن ذلك بعد المَعْرَفِ ؟ ^(١) فقال : كان ابن عباس يقول : هو بعد المَعْرَفِ وقبله ، وكان يأخذ ذلك من أمر النبي - ﷺ - حين أمرهم أن يحلوا في حجة الوداع ^(٢) .

وهذا كان شائعاً عن ابن عباس :

فعن أبي حسان الأعرج قال : قال رجل من بنى الهُجَيم لابن عباس : ما هذا الفتيا التي قد تشعفت أو تشغبت ^(٣) بالناس : أن من طاف بالبيت فقد حل . قال : سنة نبيكم - ﷺ - وإن رغمتم ^(٤) .

وسأل رجل عروة بن الزبير عما يفتى به ابن عباس فكان رده أن عائشة أخبرته أن رسول الله - ﷺ - حج فكان أول شيء بدأ به حين قدم مكة أنه طاف بالبيت ولم يحل ، وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم معاوية وعبد الله بن عمر ^(٥) .
 وتصدى ابن عمر لفتوى ابن عباس .

(١) المعرف : الوقوف بعرفة .

(٢) م : (٩١٣/٢) (١٥) كتاب الحج (٣٢) باب تقليد الهدى وإشعاره عند الإحرام . رقم (١٢٤٥/٢٠٨)

(٣) م : (٩١٢/٢) في الكتاب والباب السابقين - رقم (١٢٤٤/٢٠٦)

(٤) تشغبت أو تشغبت : اللفظة الأولى معناها علق بالقلوب وشغفوا بها والثانية معناها : خلطت عليهم أمرهم . وفي بعض الروايات : تشغ بالناس . ومعناها : انتشرت وفشت بين الناس .

(٥) م : (٩٠٦/٢) (٩٠٧) (١٥) كتاب الحج - (٢٩) باب ما يلزم من طاف بالبيت وسعى من البقاء على الإحرام وترك التحلل . رقم (١٢٣٥/١٩٠) .

فقد جاءه رجل فقال : أ يصلح بي أن أطوف بالبيت قبل أن أتى الموقف (أى عرفة) فقال : نعم ، فقال : فإن ابن عباس يقول : لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف فقال ابن عمر : فقد حج رسول الله - ﷺ - فطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف .

فبقول رسول الله - ﷺ - أحق أن تأخذه ، أو بقول ابن عباس (١) ؟
 وإذا كان ابن عباس - رضى الله عنهما - قد استند إلى أن الصحابة قد حلوا بعد ما طافوا فى حجة الوداع ، وقد كانوا محرمين بالحج ، فإن البيهقى قال : « قد روينا عن النبى - ﷺ - ثم عن أبى ذر ما دل على أن فسحهم الحج بالعمرة كان خاصًا للركب من أصحاب النبى - ﷺ - وأن غيرهم إذا حجوا ، أو قرنوا ثم طافوا طواف القدوم لم يحلوا حتى يكون يوم النحر فيحلون بما جعل به التحلل (٢) .

* * *

(١) المصدر السابق (٢/٩٠٥) الكتاب السابق (٢٨) باب ما يلزم من أحرم بالحج ، ثم قدم مكة من الطواف والسعى رقم (١٨٧/١٢٢٣) .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٥/٧٨) كتاب الحج - باب تعجيل الطواف بالبيت حين يدخل مكة ، والبيان أنه لا يحل به إذا كان حاجًا أو قارنًا .

٢٩ - كان النبي - ﷺ - يصبح فيوتر :

عن ابن جريج عن زياد أن أبا نَهِيك أخبره عن أبي الدرداء - رضى الله عنه - أنه خطب فقال : من أدركه الصبح فلا وتر له .
 فذكر ذلك لعائشة - رضى الله عنها - فقالت : كذب أبو الدرداء ؛ كان رسول الله - ﷺ - يصبح فيوتر ^(١) .

وفى رواية : كان رسول الله - ﷺ - يدركه الصبح فيوتر ^(٢) .
 ورواه أحمد عن روح ، عن ابن جريج بهذا الإسناد ، ولفظه أن أبا الدرداء كان يخطب الناس أن لا وتر لمن أدرك الصبح ، فانطلق رجال من المؤمنين إلى عائشة فأخبروها فقالت : كان رسول الله - ﷺ - يصبح فيوتر ^(٣)
 ونبادر فنقول إن معنى قولها : « كذب أبو الدرداء » أى أخطأ ؛ لأنه لم يرفع الحديث إلى رسول الله - ﷺ - والعرب تستعمل الكذب بمعنى الخطأ ، ومن هذا قول الأخطل :

« كَذَّبْتُكَ عَيْتُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطَ » .

وقال ذو الرُّمَّة : « وما فى سمعه كذب » ^(٤) .

وقد كثرت الروايات عن الصحابة والتابعين التى تبين أن يُصَلَّى الوتر بعد الأذان لصلاة الصبح .

ومنها ما هو مرفوع مما يشهد لحديث عائشة - رضى الله عنها :

عن أبي الدرداء قال : ربما رأيت النبي - ﷺ - يوتر وقد قام الناس لصلاة الصبح .

(١) المصدر السابق (٢/٤٧٨ - ٤٧٩) كتاب الصلاة - باب من أصبح ولم يوتر فليوتر ما بينه وبين أن يصلى الصبح ، وبين البيهقى أن زيادا هو ابن سعد .

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى (٣/٧٩) رقم ٢١٥٣ . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/٢٤٦) إسناده حسن .

(٣) مسند أحمد (٦/٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٤) توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى (ص : ٣٤) - د/رفعت فوزى عبد المطلب - مكتبة الخانجى بالقاهرة - ومصادره .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١) .
 وهذا يتعارض مع قوله السابق ، ويمكن الجمع بينهما بأن معنى الأول : لا ثواب له .
 وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : إذا أصبح أحدكم ولم يوتر
 فليوتر .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه
 الذهبي (٢) .

وعن ابن عمر أن النبي - ﷺ - أصبح فأوتر (٣) .
 وعن أبي مجلز قال : أصبح ابن عمر ولم يوتر ، أو كاد يصبح ، أو أصبح إن
 شاء الله تعالى ، ثم أوتر (٤) .

وعن أبي ظبيان قال : خرج عليّ - رضى الله عنه - إلى السوق وأنا يآثره فقام
 على الدرّج ، فاستقبل الفجر فقال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴾
 [التكوير : ١٧ - ١٨] أين السائل عن الوتر ؟ نَعَمْ ساعة الوتر هذه (٥) .

= ويقول ابن القيم : الكذب نوعان : كذب عمد ، وكذب خطأ ، فكذب العمد معروف ، وكذب الخطأ
 ككذب أبي السنابل بن بعكك في فتواه عن المتوفى عنها ، إذا وضعت حملها . ومنه قوله ﷺ : كذب من
 قالها ، لمن قال : حبط عمل عامر حيث قتل نفسه خطأ . ومنه قول عبادة بن الصامت : كذب أبو محمد ،
 حيث قال : الوتر واجب ، فهذا كله من كذب الخطأ ، ومعناه : أخطأ قائل كذا .

وقبل ابن القيم يقول ابن تيمية شيخه : « إن الكذب كانوا يطلقونه بإزاء الخطأ كقول عبادة :
 كذب أبو محمد ، لما قال الوتر واجب ، وكقول ابن عباس : كذب نوف لما قال : صاحب الخضر ليس
 موسى بنى إسرائيل .

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم
 الجوزية ، طبعة المنار بمصر (١٣٣١ هـ) (٢٠٤/١) .

مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النجدى الطبعة
 الأولى ١٣٨٦ هـ السعودية (٢٦٦/٣٢)

(١) المستدرک : (٣٠٣/١) كتاب الوتر

(٢) المصدر السابق (٣٠٣/١ - ٣٠٤) الكتاب السابق .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٤٧٩/٢) كتاب الصلاة - باب من أصبح ولم يوتر فليوتر ماينه

وبين أن يصلى الصبح .

(٤) المصدر السابق : (الموضع نفسه) .

(٥) المصدر السابق : (الموضع نفسه) .

وفي رواية : ثم كانت الإقامة عند ذلك ^(١) .
 وعن سعيد بن جبير أن عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - رقد ثم
 استيقظ ، فقال لخدمته : انظر ماصنع الناس ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، فذهب
 الخادم ، ثم رجع فقال : قد انصرف الناس من الصبح ، فقام عبد الله بن عباس
 فأوتر ، ثم صلى الصبح ^(٢) .
 وعن عبد الله بن مسعود قال : ما أبالي لو أقيمت الصلاة وأنا أوتر ^(٣) .
 وعن يحيى بن سعيد أنه قال : كان عبادة بن الصامت يؤم قومنا ، فخرج يوماً
 إلى الصبح ، فأقام المؤذن للصلاة ، فأسكته عبادة حتى أوتر ، ثم صلى لهم
 الصبح ^(٤) .
 وعن مالك بلغه أن عبد الله بن عباس ، وعبادة بن الصامت ، والقاسم بن
 محمد ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة قد أوتر بعد الفجر ^(٥) .
 وعن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة
 يقول : إنى لأوتر وأنا أسمع الإقامة ، أو بعد الفجر ^(٦) .
 وعن القاسم بن محمد قال : إنى لأوتر بعد الفجر ^(٧) .
 وغير ذلك من الروايات ^(٨) .
 وكل هذا يعضد ما روت عائشة - رضى الله عنها .

(١) المصدر السابق : (الموضع نفسه) .
 (٢) المصدر السابق (٤٨٠/٢) فى الكتاب والباب السابقين .
 موطأ مالك : (١٢٦/١) (٧) كتاب صلاة الليل - (٤) باب الوتر بعد الفجر - (٢٣)
 (٣) المصدران السابقان (الموضعان نفسهما) .
 (٤) الموطأ : (الموضع نفسه) رقم (٢٦)
 (٥) المصدر السابق - (الموضع نفسه) رقم (٢٤)
 (٦) المصدر السابق (الموضع نفسه) فى الكتاب والباب السابقين . رقم (٢٧)
 (٧) المصدر السابق (١٢٧/١) الموضع نفسه رقم (٢٨)
 (٨) انظر مزيداً من الروايات فى مختصر قيام الليل وكتاب الوتر - باب الأخبار التى جاءت فى
 الوتر بعد طلوع الفجر (ص ١٤٣ - ١٤٤) لأبى عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤ هـ) .
 اختصره أحمد بن على المقرئى (ت ٨٤٥) - عالم الكتب .



ولكن هذا كله يدل على الجواز ، ووقت الوتر الأصل ما بين صلاة العشاء إلى
 طلوع الفجر :

عن أبي سعيد الخدري - رضی الله عنه - أنهم سألوا رسول الله - ﷺ -
 عن الوتر فقال : الوتر قبل الصبح ^(١) .
 وعن أبي سعيد أن النبي - ﷺ - قال : أوتروا قبل أن تصبحوا ^(٢) .
 وكما قال مالك - رحمه الله تعالى : « وإنما يوتر بعد الفجر من نام عن
 الوتر ، ولا ينبغي لأحد أن يتعمد ذلك حتى يضع وتره بعد الفجر ^(٣) .

* * *

(١) م : (٥٢٠/١) (٦) كتاب صلاة المسافرين (٢) باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من
 آخر الليل - رقم (٧٥٤/١٦١)

(٢) المصدر السابق (٥١٩/١) في الكتاب والباب السابقين . رقم (٧٥٤/١٦٠) .

(٣) الموطأ : (١٢٧/١) (٧) كتاب صلاة الليل (٤) باب الوتر بعد الفجر .

الفصل الثالث

مقياس عرض السنة على القياس والأصول

اجتهاد عائشة :

لم يقتصر توثيق السيدة عائشة رضی الله عنها للسنة من جهة متنها على تطبيق مقياس عرض السنة على القرآن ، وعلى السنة ، وإنما امتد ذلك التوثيق إلى اجتهادها ، وعرض السنة على القياس وعلى الأصول .
ومن الأمثلة على ذلك :

١ - قطع الصلاة :

سبق في مسألة قطع الصلاة أن السيدة عائشة بينت أن المرأة لا تقطع الصلاة واستشهدت على ذلك بأن الرسول - ﷺ - كان يصلي وهي معترضة في قبلته ، فإذا سجد غمزها ؛ لتوسع له المكان كي يسجد (١) .
وهذا توثيق بالسنة ، ولكنه من ناحية أخرى فيه قياس النظائر بالنظائر ، فقد قاست حال مرور المرأة أمام المصلي بحالة اعتراضها في قبلة الرسول - ﷺ - وإذا كان هذا جائزاً فذاك جائزاً أيضاً
على أنه من ناحية أخرى احتكمت السيدة عائشة في هذه المسألة إلى الأصول الإسلامية التي تعطي للمرأة كرامتها ، وذلك يتنافى مع كونها تقترن بالكلب والحمار في أن الثلاثة تقطع الصلاة .
ولذلك قالت : « شبهتمونا بالحمار » أي لنا كرامتنا في الإسلام التي تتنافى مع هذا الأمر .

* * *

(١) انظر المسألة رقم (٢٣) من مقياس عرض السنة على السنة .

٢ - المؤمن أكرم عند الله :

وفي مسألة إنكارها على بعض الصحابة أنه حَدَّثَ أن امرأة عذبت من جرى هرة ، لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . ردت ذلك بالسنة ، وبينت أن المرأة « كانت كافرة » ^(١) أي عذبت بسبب كفرها الذي قد يكون أدى إلى فعلها ذلك .

ولكنها لم تكتف بذلك ، وإنما لجأت إلى بعض الأصول الإسلامية التي تقول : بأن المؤمن كريم عند الله عز وجل ، ومن كرامته ألا يعذبه من أجل هرة ، فحسناته يمكن أن تمحو هذه السيئة .

قالت عندما حدث أبو هريرة بما سبق : « المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جرّى هرة » ^(٢) أي من أجل هرة .

وينبغي أن نتنبه إلى أن السيدة عائشة لم ترد هذا برأيها فقط ، فهذا قد يكون مزلقاً خطيراً لو فعل أحد ذلك ؛ لأنه لا رأى مع السنة إن صححت ، ولكنها لم تستند إلى الرأى فقط ، وإنما إلى ما هو أهم من ذلك ، وهو ما عندها من السنة التي وعثها عن رسول الله - ﷺ .

* * *

(١) انظر المسألة رقم (١٤) من مقياس عرض السنة على السنة .

(٢) عزاه الزركشى فى الإجابة إلى قاسم بن ثابت السرقسطى فى كتابه غريب الحديث (ص :

٣ - أَوْ نَجَسٌ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ؟ :

ذكر الزركشي في الإجابة عن أبي منصور البغدادي بإسناده عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبي هريرة أنه قال : من غسل ميتًا اغتسل ، ومن حملة توضأ .

فبلغ ذلك عائشة - رضى الله عنها - فقالت : أو نجس موتى المسلمين ، وما على رجل لو حمل عودًا (١) .

وروى البيهقي قول عائشة هذا :

قالت : سبحان الله ، أموات المؤمنين أنجاس ، وهل هو إلا رجل أخذ عودًا فحملة ؟ (٢) .

فهنا لجأت السيدة عائشة إلى الأصول الإسلامية ، والتي منها أن المؤمن لا ينجس ، وهو حديث عن رسول الله - ﷺ - متفق عليه (٣) .

ثم لجأت أيضًا إلى القياس ؛ فالميت إنما هو كالعود الجاف ، وإذا كان حمل العود الجاف لا ينقض الوضوء فكذلك حمل الميت .

وإذا كان ظاهر كلامها أنها اعترضت على الغسل وعلى الوضوء ؛ فإن الراجح أنها اعترضت على الوضوء من حمل الميت فقط ، ويدل على هذا قولها : « وما على رجل لو حمل عودًا » وقد صح عنها أنها روت الغسل من غسل الميت .

روى الحاكم بسنده عن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة أنها حَدَّثَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -

(١) استدرارك عائشة ، ص : (٥٤ - ٥٥) .

وقد روى حديث أبي هريرة دون نقد السيدة عائشة أبو داود في الجنائز - باب في الغسل من غسل الميت (٥١١/٣ - ٥١٢) رقم (٣١٦١ - ٣١٦٢) وسيأتي مزيد من تخريجه بعد قليل .

(٢) السنن الكبرى (٣٠٧/١) كتاب الطهارة - باب الغسل من غسل الميت .

(٣) خ : (١١٠/١) (٥) كتاب الغسل (٢٤) باب الجنب يخرج ويمشى في السوق وغيره - رقم

(٢٨٥) .

م : (٢٨٢/١) (٣) كتاب الحيض - (٢٩) باب الدليل على أن المسلم لا ينجس . رقم (١١٦)

(٣٧٢ - ٣٧١)

ﷺ - قال : يُغْتَسَلُ مِنْ أَرْبَعٍ ، مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمَنْ غَسَلَ الْمَيِّتَ ، وَالْحَجَامَةَ .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ^(١) ووافقه الذهبي .

والحق أنه قد اختلفت الرواية عن عائشة في الغسل ؛ فقد ذكر ابن عبد البر أن شعبة روى عن يزيد الرُّشَكِ ، عن معاذة قالت : سألت عائشة : أيغتسل من غسل الميت ؟ قالت : لا .

وضعف حديث عائشة الذي صححه الحاكم ^(٢) بهذا الحديث .

قال : « فدل - أي حديث معاذة - على بطلان حديث مصعب بن شيبة (حديث يغتسل من أربع) ؛ لأنه لو صح عنها ما خالفته ، ومن جهة النظر والاعتبار ؛ لا تجب طهارة على من لم يوجبها الله في كتابه ، ولا أوجبها رسوله من جهة يشهد بها عليه ، ولا اتفق العلماء على إيجابها ، والوضوء المجتمع عليه لا يجب أن يقضى إلا من هذه الوجوه ، أو أحدها . وباللَّهِ التَّوْفِيقُ » ^(٣) .

أقول : لا داعي للقول ببطلان حديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وخاصة إذا كان الجمع ممكناً ، وهو أن حديث عبد الله بن الزبير عن عائشة على الجواز ، مثل غسل يوم عرفة ومن الحجامة .

أما حديثها هنا الذي عارضت فيه أبا هريرة ، وكذلك حديث معاذة فهما على نفي الوجوب وإنكار ذلك إذا قلنا إن معارضتها لأبي هريرة تشمل الغسل والوضوء معاً .

ورأى أبو داود أن حديث أبي هريرة منسوخ ، قال عقب روايته : « هذا

(١) المستدرک (١/١٦٣) كتاب الطهارة

(٢) الاستذکار : بیروت - دار قتیبة - دمشق (٨/٢٠٢)

(٣) المصدر السابق (٨/٢٠٢) (٢٠٣)

منسوخ ، وسمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عن الغسل من غسل الميت فقال :
يجزيه الوضوء (١) .

ومهما يكن من أمر فيقي مقياس السيدة عائشة الذى عرضت عليه الحديث ،
وهو القياس على كون الميت طاهرًا ؛ لأن المؤمن طاهر حيًا وميتًا ، وبالتالي فلم
الغسل من غسله ، أو الوضوء من حملة ؟

* * *

(١) د : (٣/٥١١ - ٥١٣) (١٥) كتاب الجنائز (٣٩) باب فى الغسل من غسل الميت . رقم
(٣١٦٠ - ٣١٦١)

ن (٣/٣٠٩) (٨) كتاب الجنائز - (١٧) باب ماجاء فى الغسل من غسل الميت . رقم (٩٩٣)
قال الترمذى عقبه : حديث أبى هريرة حديث حسن .

وقد روى عن أبى هريرة موقوفًا . وقد اختلف أهل العلم من أصحاب النبى - ﷺ - وغيرهم
فقال بعضهم : إذا غسل ميتًا فعليه الغسل . وقال بعضهم : عليه الوضوء وقال مالك بن أنس : استحباب
الغسل من غسل الميت ، ولا أرى ذلك واجبًا وهكذا قال الشافعى ، وقال أحمد : من غسل ميتًا أرجو
ألا يجب عليه الغسل ، وأما الوضوء فأقل ما قيل فيه . وقال إسحاق : لا بد من الوضوء .

قال : وقد روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال : لا يغتسل ولا يتوضأ من غسل الميت .

٤ - بئس ما اشتريت وبئس ما اشتري :

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر والثوري عن أبي إسحاق عن امرأته ؛ أنها دخلت على عائشة في نسوة ، فسألتها امرأة فقالت : يا أم المؤمنين . كانت لي جارية ، فبعتها من زيد بن أرقم بثمان مائة إلى أجل ، ثم اشتريتها منه بست مائة ، فنقدته الست مائة ، وكتبت عليه ثمان مائة ، فقالت عائشة : بئس والله ما اشتريت وبئس والله ما اشتري . أخبرني زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله - ﷺ - إلا أن يتوب (١) ، فقالت المرأة لعائشة : أرايت إن أخذت رأس مالي ورددت عليه الفضل قالت : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٥] الآية ، أو قالت : ﴿ وَإِنْ تَبَتُّمُ فَلَكُمْ زُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٩] الآية (٢)

ورواه عبد الرزاق من طريق آخر فقال : عن الثوري عن أبي إسحاق عن امرأته قالت : سمعت امرأة أبي السفر تقول : سألت عائشة فقلت : بعث زيد بن أرقم جارية إلى العطاء بثمان مائة درهم ، وابتعتها منه بست مائة ، فقالت لها عائشة : بئس ما اشتريت . أو بئس ما اشتري . أبلغني زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله - ﷺ - إلا أن يتوب ، قالت : أفرأيت إن أخذت رأس مالي ، قالت : لا بأس ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٥] (٣) .

هكذا رفضت السيدة عائشة - رضي الله عنها - ما فعله زيد بن أرقم ، واعتبرته بائياً من أبواب الربا .

وكان ذلك اجتهاداً منها ، فلم تبين أن ذلك مخالف للسنة ولا للقرآن الكريم

(١) خص الإبطال بالجهاد ، ولم تقل أبطل صلاته ، ولا صيامه ؛ لأن السيئات لا تحبط الحسنات ، ولكن خصت الجهاد بالإبطال ؛ لأنه حرب لأعداء الله ، وأكل الربا قد آذن بحرب من الله فهو ضده ولا يجتمع الضدان (الإجابة ص : ١٣٨)

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٨٤/٨ - ١٨٥) كتاب البيوع - باب الرجل يبيع السلعة ثم يريد اشتراؤها بنقد . رقم (٤٨١٢)

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٨٥/٨) في الكتاب والباب السابقين .

بطريق مباشر ، وإنما اعتبرت أن ذلك نظير مبادلة مال ربوى بمال ربوى مع فضل ونسيئته ، فألحقته به ، وهذا قياس ، وإن كان ذلك ليس من باب القياس الاصطلاحي تمامًا

وأخرجه الدارقطني ^(١) والبيهقي ^(٢) بسنديهما عن يونس بن أبي إسحاق الهمداني عن أمه العالية .

قال الزركشي : وقد ذهب إلى حديث عائشة جماعة منهم الثوري والأوزعي وأبو حنيفة ومالك ، وأحمد بن حنبل ، والحسن بن صالح ، وصححو حديثها . والعالية (زوجة أبي إسحاق) ، روى عنها زوجها وابنها وهما إمامان ، وذكرها ابن حبان في الثقات ^(٣) .

ونقل عن أبي بكر الرازي قوله : إن قيل : كيف أنكرت (البيع) الأول ، وهو صحيح عندها ؛ يعني الشراء إلى العطاء ؛ لأنه روى عنها فعله ؟ قلنا : لأنها علمت أنها قصدت به إتيان البيع الثاني ، كما يفعل الناس ، وفي قولها : رأيت إن لم آخذ إلا رأس مالي ، وتلاوة عائشة دليل على إثباتها العقد الأول ، وأن المنكر هو الثاني ^(٤) .

(١) سنن الدارقطني (٥٢/٢) كتاب البيوع رقم (٢١١ - ٢١٢) .
 وفي سنده : يونس بن أبي إسحاق الهمداني ، عن أمه العالية بنت أنفع قالت : حججت أنا وأم محبة إلى مكة .. فذكر نحوه .
 قال الدارقطني أم محبة والعالية مجهولتان لا يحتج بهما .

وتعقبه صاحب التعليق المغني على الدارقطني فقال : أخرجه أحمد في مسنده عن محمد بن جعفر عن أبي إسحاق السبيعي ، عن امرأته أنها دخلت على عائشة ، هي وأم ولد زيد بن أرقم فقالت : فذكر نحوه ، قال في التنقيح : إسناده جيد ، وإن كان الشافعي لا يثبت مثله عن عائشة ، وكذلك الدارقطني قال في العالية : هي مجهولة لا يحتج بها فيه نظر ، فقد خالفه غيره .

ثم قال أبو الطيب صاحب التعليق المغني : بل هي امرأة معروفة ، جليلة القدر ، ذكرها ابن سعد في الطبقات فقال : العالية بنت أنفع بن شراحيل امرأة أبي إسحاق السبيعي سمعت عائشة .
 (انظر طبقات ابن سعد ٣٥٧/٨ - ٣٥٨ - طبعة دار التحرير بالقاهرة) .

(٢) السنن الكبرى (٣٣٩/٥ - ٣٣١) كتاب البيوع - باب الرجل يبيع الشيء إلى أجل ، ثم يشتره بأقل .

(٣) الإجابة : (ص : ١٣٧) .

(٤) المصدر السابق (ص : ١٢٤) .



وقد وجه الشافعي إنكار عائشة وجهة أخرى ، هي أنها أنكرت بيعها إلى العطاء ؛ لأنه أجل غير معلوم .
 قال الشافعي : قد تكون عائشة ، لو كان هذا ثابتاً عنها عابت عليها بيعاً إلى العطاء ؛ لأنه أجل غير معلوم ، وهذا مالا نجيزه ، لا أنها عابت عليها ما اشترت بنقد وقد باعت إلى أجل (١)
 ومهما يكن من أمر فقد اجتهدت عائشة ، وأنكرت ماتراه مخالفاً للقرآن أو السنة بالقياس على ما جاء فيهما - والله تعالى أعلم .

* * *

(١) الأم : (١٦٠/٣) كتاب البيوع (٣٨) باب بيع الآجال .

٥ - ما كلهن ذوات محرم ؟ :

روى ابن حبان في صحيحه عن عمرة بنت عبد الرحمن أن عائشة أخبرت أن أبا سعيد الخدري قال : نهى رسول الله - ﷺ - أن تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم .

قالت عمرة : فالتفت عائشة إلى بعض النساء فقالت : مالكلكن ذو محرم (١) .

وفي رواية : ماكلهن ذو محرم (٢) .

تريد عائشة : أنها قد لا تجد محرماً ، وهي تريد أداء ما عليها من واجبات كالحج .

وهي هنا قد اجتهدت ، وألحقت حالة الحج مثلاً بحالة من يجد الزاد والراحلة فيجب عليه الحج - لأن الرسول - ﷺ - سئل عن الاستطاعة في الحج ؟ فقال : الزاد والراحلة (٣) .

ومما يدل على ذلك أن الشافعي - رحمه الله عليه - قد نقل عن عائشة أن المرأة تسافر للحج بدون محرم إذا كانت مع نسوة ثقات .

قال الشافعي : « وإذا كان فيما يروى عن النبي - ﷺ - ما يدل على أن السبيل الزاد والراحلة ، وكانت المرأة تجدهما ، وكانت مع ثقة من النساء في طريق مأهولة آمنة فهي ممن عليه الحج عندي - والله أعلم - وإن لم يكن معها

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) : (٤٤٢/٦) (٩) كتاب الصلاة (٢٧) فصل في سفر المرأة ذكر لفظة توهم غير المتبحر في صناعة العلم أن عائشة رضوان الله عليها اتهمت أبا سعيد في هذه الرواية . رقم (٢٧٣٣)

(٢) المصدر السابق (٤٤٣/٦) الكتاب نفسه . ذكر البيان بأن هذا الزجر زجر حتم لا زجر ندب . رقم (٢٧٣٤)

(٣) عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول الله ، ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

رواه الترمذي في السنن (١٦٨/٣) (٧) كتاب الحج (٤) باب ماجاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة .

والأم (١٠٠/٢) للإمام محمد بن إدريس الشافعي - دار الشعب بالقاهرة (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨)

محرم ؛ لأن الرسول - ﷺ - لم يستثن فيما يوجب الحج إلا الزاد والراحلة ، وإن لم تكن مع حرة مسلمة ثقة من النساء فصاعداً لم تخرج مع رجال لا امرأة معهم ، ولا محرم لها منهم . وقد بلغنا عن عائشة ، وابن عمر ، وابن الزبير مثل قولنا في أن تسافر المرأة للحج ، وإن لم يكن معها محرم ^(١) «
 وهذا يؤيد تفسير قول عائشة : « ما كلهن ذوات محرم » أى ماذا تفعل المرأة إذا لم يكن معها ذو محرم ، هل يمنعها ذلك من أداء ما أوجب الله تعالى عليها من الحج ؟!

ويتعارض هذا مع تفسير ابن حبان لقولها هذا بأنها « تريد : أن ليس لكلكن ذو محرم تسافر معه ، فاتقوا الله ولا تسافر واحدة منكن إلا بذى محرم يكون معها » .

ومما يؤيد ما ذهبت إليه عائشة ما رواه البخارى بسنده « عن عدى بن حاتم قال : بينما أنا عند النبي - ﷺ - إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر ، فشكا إليه قطع السبيل فقال : يا عدى ، هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبت عنها . قال : فإن طال بك حياة لترين الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قلت : فيما بينى وبين نفسى : فأين دُعَار طييء الذين سَعَرُوا البلاد » ^(٢) .

وهكذا رأينا أنها فى نقدها هذا لم تستند إلى قرآن أو سنة ، وإنما شئ من القياس على السنة - والله تعالى أعلم .

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) (٤٤٢/٦ - ٤٤٣) الموضع السابق .

(٢) خ : (٥٢٧/٢ - ٥٢٨) (٦١) كتاب المناقب (٢٥) باب علامات النبوة فى الإسلام . رقم

(٣٥٩٥)





الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات



فهرس الآيات القرآنية

(سورة البقرة)

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَقُولُونَ الْبَيْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّنَا الَّذِي أَنزَلَ الْبُرْجَانَ ﴾	٦١	١٩٦
﴿ إِنَّ الصَّافَةَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾	١٥٨	٢٢١ ، ١٠٦ ، ٥٠
﴿ فَالَّذِينَ بَشَرُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِذْ وَصَّوهُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ لَكُمْ وَاللَّهُ لَكُمُ الْوَكِيلُ وَأَشْرِبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾	١٨٧	١٩٥
﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾	١٨٧	١٩٥
﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾	٢١٤	١٧٨ ، ٩٠
﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾	٢٣٣	٦١
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّهُنَّ بَأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾	٢٣٤	٦١
﴿ وَإِنْ تَبَتَّمْ فَلَكُمْ رِءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾	٢٧٩	٢٥٥
﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾	٢٧٥	١٠٤
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	١٤٥ ، ١١٧
﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرِيضَنَّهُنَّ بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	٢٨٨	٥١

الآية رقمها الصفحة

(سورة آل عمران)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 ٧٥ ١٣٥ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ... ﴾

(سورة النساء)

﴿ وَأَمَهُنَّ كُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِّنَ
 ٦٠ ٢٣ الرِّضَاعَةِ ﴾

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
 ٧٩ ٢٤ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ
 بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ
 ٦٧ ٥٩ ﴾ فَلَا وَرَيْكَ لَا يَوْمُنُونَ حَتَّى يُحْكِمُوا فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا
 ٦٧ ٦٥ مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
 ٦٧ ٨٠ ﴾ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ
 وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ
 ٤٨ ١٢٧ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ
 تَنْكِحُوهُنَّ ﴾

(سورة المائدة)

﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ١٨٨ ٦

الصفحة رقمها الآية

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
 وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
 تَفْلِحُونَ ﴾

٥١ ٩٠

(سورة الأنعام)

﴿ لَا تَذَرِكُمْ آلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ
 اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

١٣٨ ، ٥٧ ١٠٣

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ
 يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا

١٣٧ ، ١٣٦

٧٩ ، ٦٣ ١٤٥

أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾

(سورة الأعراف)

﴿ وَبِئْسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

٢١٠ ٢٦

(سورة التوبة)

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾

١٤٨ ٦٠

﴿ وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾

١٢٩ ١٠٠

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ

لِيَسْفَهُوا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا

٦٩ ١٢٢

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة يوسف)
١٧٨	١١٠	﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾
		(سورة النحل)
٦٨ ، ١٢٩	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
		(سورة الحج)
٢٤٤	٣٣	﴿ نُرَّ مَحَلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾
		(سورة المؤمنون)
٦١ ، ٥٧ ، ١٥٠	٦ - ٥	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفرُوحِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾
١٤٩ ، ١١٧ ، ٧٩	٧ - ٥	
٤٧	٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾
٤٧	٦١	﴿ أَوْلَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيْزِرِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴾
		(سورة النور)
٣٢	٢٢	﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

الآية رقمها الصفحة

(سورة النمل)

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ ١٣٩ ٨٠

(سورة الأحزاب)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن
 كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ٦٧ ٢١

﴿ يَتَأَيَّبُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتن تُرِيدنَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُنَّ ﴾ ٣٨ ٢٨ - ٢٩

﴿ وَأذْكُرنَ مَا يَتَلَوْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِن آيَاتِ اللَّهِ
 وَالْحِكْمَةِ ﴾ ١٥٣ ٣٤

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ ١٤٠ ٧٢

(سورة فاطر)

﴿ أَلَا نَزِرُ وَرَزَّةٌ وَرَزْرٌ أُخْرَى ﴾ ١٣٤ ، ١٣١ ١٨

(سورة فصلت)

﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ١٤٠ ١١

الصفحة رقمها الآية

(سورة الشورى)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾
 ٥٧ ٥١

(سورة الزخرف)

﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّهَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى ﴾
 ١٣٩ ٤٠

(سورة النجم)

﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ١١ ١٣٧
 ﴿ وَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ١٣ ١٣٦ ، ٤٩
 ﴿ أَلَا نَزِرُ وَرَزَّةً وَرَزَّةً أُخْرَى ﴾ ٣٨ ٧٧
 ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ ٣٩ - ٤١ ١٤٧

(سورة القمر)

﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾
 ٤٦ ٤٦

(سورة الحديد)

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾
 ١٤٢ ٢٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولَ فَاخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾	٧	٦٧
(سورة الطلاق)		
﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ ﴾	١	٢٢٩
﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِضَعْفِ عَلَيْنَّ ﴾	٦	٨٠
(سورة القيامة)		
﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾	٢٢	١٣٨
(سورة التكوير)		
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	١٧ - ١٨	٢٤٧
﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْعَالِيْنَ ﴾	٢٣	١٣٦ ، ٤٩
(سورة البلد)		
﴿ فَلَا أَفْجَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾	١١ - ١٣	١٤٥
﴿ فَكُ رَقِيبَةً ﴾		

فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	طرف الحديث
١٣	١ - أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك
١٤	٢ - أبشر فأنت عتيق الله
٨٩	٣ - أتى رسول الله - ﷺ - ذات يوم فصلى العصر
٢٤٠	٤ - أتى رسول الله - ﷺ - سباطة قوم فبال قائمًا
١٣٥ ، ٨٩	٥ - أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم
١٤	٦ - أثبت أحد ، فإن عليك نبي
٧٢	٧ - اثنا عشر قيميًا من قريش
٢١٣	٨ - أحب عبادى إليّ أعجلهم فطرًا
٢٠٧ ، ١٠٠	٩ - إذا أحب العبد لقاء الله
٢٠٧	١٠ - إذا أراد الله بعبد خيرًا بعث إليه ملكًا
٢٠٨	١١ - إذا أراد الله بعبد خيرًا قبض الله له قبل موته
٢٤٧	١٢ - إذا أصبح أحدكم ولم يوتر
١٥٨ ، ٨٠ ، ٥٨	١٣ - إذا جاوز الختان الختان
١٢٢ ، ١٠٦	
١٥٨	١٤ - إذا جلس بين شعبها الأربع
١٦١ ، ٨٦	١٥ - إذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم
٢٣٣	١٦ - إذا قام أحدكم يصلى فإنه يستره
١٥٩	١٧ - إذا التقى الختانان
١٩ - ١٨	١٨ - أُرَيْتِكَ فى المنام ثلاث ليالٍ
١٩	١٩ - أُرَيْتِكَ فى المنام مرتين
٥٣	٢٠ - اسمعى ياربة الحجرة
١٣٩	٢١ - اطلع النبى - ﷺ - على أهل القلب
١٨٢	٢٢ - اعتمر رسول الله - ﷺ - أربع عمر
٢١٨	٢٣ - اعلم أن رسول الله - ﷺ - جمع بين حج وعمره
٢٣٤	٢٤ - أقبلت راكبًا على حمار أتان
١٠٥	٢٥ - ألا تعجبون من ابن الزبير يفتى المرأة المحرمة
١٤٧	٢٦ - أما إنه مع ما به ولد زنا
٨٥	٢٧ - أما والله ما عرفونى هذا الحديث عن كاذبتين
١٦١	٢٨ - أنا طيبت رسول الله - ﷺ - لحله وإحرامه

الصفحة	طرف الحديث
١٧٤ ، ١٢٤ ، ٨٨	٢٩ - أنا فقلت قلائد هدى رسول الله - ﷺ
٢٤١	٣٠ - ان بنى إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول
١٣٥	٣١ - أن رسول الله - ﷺ - رأى جبريل - عليه السلام
٢١٤	٣٢ - أن رسول الله - ﷺ - رخص للحائض أن تنفر
١٨٦ ، ٩٣	٣٤ - أن رسول الله - ﷺ - قد كان رخص للنساء في الخفين
١٥٠	٣٥ - أن رسول الله - ﷺ - نهى عنها في حجة الوداع
٢٤٧	٣٦ - أن النبي - ﷺ - أصبح فأوتر
٩٣	٣٧ - أنها تفتى النساء إذا أحرمن
١٠٩	٣٨ - إنها كانت في منزل وحش فخيف على ناحيتها
٦٣	٣٩ - إني لأعجب ممن يأكل الغراب
٧٢	٤٠ - إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق
١٨٩ ، ٩٤	٤١ - إن بلالاً يؤذن بليل
١٩	٤٢ - ألا تزوج
٢٢٦	٤٣ - إن البيت الذي فيه الصور
١٠٨	٤٤ - إن ثياب الكعبة إذا نزعت منها
١٩	٤٥ - أن جبريل جاء بصورتها في خرقة
١٠٧	٤٦ - إن سؤك أن تلقيني فلا تلقين ثوباً
١٩١ ، ٩٥	٤٧ - إن الشهر قد يكون تسعاً وعشرين
٢٢٩	٤٨ - إن فاطمة كانت في مكان وحش
١٣	٤٩ - إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
٢١٧	٥٠ - إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء
١٣١	٥١ - إن الله ليزيد الكافر عذاباً يبكاء أهله عليه
١٤٩	٥٢ - إن النبي - ﷺ - نهى عن المتعة
١٨٩ ، ٩٥	٥٣ - إن ابن مكنوم رجل أعمى ، فإذا أذن
٢٢٥	٥٤ - إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة
٢١٠ ، ١٠١	٥٥ - إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها
٨٥ ، ٧٧	٥٦ - إن الميت يعذب ببكاء أهله
٣٤	٥٧ - إن يك هذا من عند الله
١٥٤	٥٨ - أنتم تكون وإنه ليعذب
١٣١ ، ٧٧ ، ٨٥	٥٩ - إنكم لتحذثوني عن غير كاذبتين
١٠٢	٦٠ - إنما أراد النبي - ﷺ - عمله الذي مات عليه
١٥٩	٦١ - إنما الماء من الماء

الصفحة	طرف الحديث
١٥٤ ، ٩١	٦٢ - إنما مرّ رسول الله - ﷺ - على يهودية
١٢٠ ، ٤٩	٦٣ - إنما هو جبريل لم أره على صورته
١٥٥ ، ١٣٦	
١٤٩	٦٤ - إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا
٣٥	٦٥ - إنه ليهون عليّ أي رأيت يياض كف عائشة
٢٤	٦٦ - إنها ابنة أبي بكر
٢١٤	٦٧ - إنها لحابستنا
١٤٥	٦٨ - إنهم ليكون عليه ، وإنه ليعذب
٩٦	٦٩ - إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول هو الحق
١٥٥،١٣٩،١٢١	٧٠ - إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق
١٧٦	٧١ - إنني أمرت بيثني التي بعثت بها
١٦١	٧٢ - إنني رأيت رسول الله - ﷺ - يضحخ رأسه بالمسك
١٧٤	٧٣ - إنني كنت لأقتل قلائد هدى النبي - ﷺ
١٠	٧٤ - انظري يا حميراء ، ألا تكوني أنت
٢٥٢،١٠٠،٨٠	٧٥ - أَوْ نَجَّسْ مَوْتِي الْمُسْلِمِينَ
٢٤٩	٧٦ - أوتروا قبل أن تصبحوا
١٧٤	٧٧ - أَوْلَهُ كَعْبَةٌ يَطُوفُ بِهَا
١٤٩	٧٨ - أيما رجل وامرأة توافقا
١٩	٧٩ - أي رسول الله ألا تتزوج
١٣	٨٠ - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ
٢١٣	٨١ - أيهما الذي يعجل
٢٥٥	٨٢ - بئس ما اشتريت ، أو بئس ما اشتري
١٠٤	٨٣ - بئسما اشتريت وبئسما اشتري
٣٨	٨٤ - بل أريد الله ورسوله
٢٥	٨٥ - بل أنا وارأساه
٣٥	٨٦ - بل أنا ياعائشة وارأساه
٢٢٠	٨٧ - بل لأبدي أبدي
٢٥٩	٨٨ - بينما أنا عند النبي - ﷺ - إذا أتاه رجل
١١٢	٨٩ - بيني وبينكم كتاب الله
١٩٢	٩٠ - تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر
٢١٠	٩١ - تحشرون حفاة عراة غرلاً
٢١	٩٢ - تزوجني رسول الله - ﷺ - في شوال

الصفحة	طرف الحديث
٢١	٩٣ - تزوجني رسول الله - ﷺ - لست سنين
٢٠	٩٤ - تزوجني رسول الله - ﷺ - متوفى خديجة
٢١	٩٥ - تزوجها رسول الله - ﷺ - وهي بنت تسع سنين
٦٨	٩٦ - تسمعون ويُسمع منكم
١٧٣	٩٧ - تركتكم على الواضحة البيضاء
١٨٦	٩٨ - تليس من خزها وبزها وأصباغها
١٦٥	٩٩ - الحاج الشعث التفل
٢١٧	١٠٠ - خرجنا مع رسول الله - ﷺ - حجاجًا
٧٥	١٠١ - خذه فتموِّله أو تصدق به
٢٠٤	١٠٢ - خذوا الشيطان ، أو أمسكوا الشيطان
٢١٥	١٠٣ - الخيبة لك ، حبست أهلنا
٢١٩	١٠٤ - دخلت العمرة الحجج إلى يوم القيامة
١٦٦	١٠٥ - رأيت رسول الله - ﷺ - يصليهما
٩١	١٠٦ - رحم الله أبا عبد الرحمن
٨٥	١٠٧ - رحم الله عمر ما كذب
٢٥٨	١٠٨ - الزاد والراحلة
٦١ ، ١٤٩	١٠٩ - سئلت عائشة عن متعة النساء ؟
٢٥٢ ، ١٠٠	١١٠ - سبحان الله ، أموات المسلمين أنجاس
٥٠	١١١ - سنَّ رسول الله - ﷺ - الطواف بينهما
١١٠	١١٢ - شبهتمونا بالحمير والكلاب
١٦٨	١١٣ - صلاتان ماتركهما رسول الله - ﷺ
١٠٦	١١٤ - طاف رسول الله - ﷺ - فكانت سنة
٨٠	١١٥ - طلقني زوجي ثلاثًا
٢٢٩	١١٦ - طلقها زوجها البتة
١٦٤ ، ٨٧	١١٧ - طيبت النبي - ﷺ - فأصبح
١٦١ ، ٨٦	١١٨ - طيبت رسول الله - ﷺ - لحزومه حين أحرم
١١	١١٩ - فاكتنى بابنك عبد الله بن الزبير
٣٤	١٢٠ - فضل عائشة على النساء
١٨٨	١٢١ - فقدت رسول الله - ﷺ - ليلة من الفراش
١٦٦	١٢٢ - فوالله لا أدعهما بعد أن رأيت رسول الله - ﷺ - يصليهما
١٨٣	١٢٣ - في أي شهر اعتمر النبي - ﷺ
٤٢	١٢٤ - في كم كفتم النبي - ﷺ

الصفحة	طرف الحديث
١٢٢ ، ٩٧ ، ١٤٢ ، ١٥٦	١٢٥ - قاتل الله اليهود
١٢٥	١٢٦ - قد شبهتمونا بالحمير والكلاب
٦٣ ، ٥٩	١٢٧ - قُلْ امرأة تجاوز الخمسين
٩٢	١٢٨ - كأني أنظر إلى وبيص الطيب
١٥٦ - ١٢٢	١٢٩ - كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في
٢٧	١٣٠ - كان رسول الله - ﷺ - إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه .
٢٤٦	١٣١ - كان رسول الله - ﷺ - يدركه الصبح فيوتر
٢٤٦	١٣٢ - كان رسول الله - ﷺ - يصبح فيوتر
١٠٠	١٣٣ - كان رسول الله - ﷺ - يصلى فتقع رجلى
٢١٣	١٣٤ - كان رسول الله - ﷺ - يفطر قبل أن يصلى
١٨٦ ، ٩٤	١٣٥ - كان رسول الله - ﷺ - يُقبل وهو صائم
١٦٦	١٣٦ - كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر
١١٣	١٣٧ - كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم
١٩٤ ، ٩٧	١٣٨ - كان النبي - ﷺ - يصبح جنبًا من غير حلم
١٠٨	١٣٩ - كان النبي - ﷺ - يصبح فيوتر
١١٤	١٤٠ - كان النبي - ﷺ - يصوم لتسع ذى الحجة
١٦٧	١٤١ - كان رسول الله - ﷺ - يصليهما بعد العصر
٢١٩	١٤٢ - كانت المتعة في الحج
٧٣	١٤٣ - كفى بالمرء كذبًا أن يحدث
٨٦	١٤٤ - كل شيء إلا النساء
١٨٢ ، ٩٢	١٤٥ - كم اعتمر رسول الله - ﷺ -
١١	١٤٦ - كنانى النبي - ﷺ - أم عبد الله
١٦٢	١٤٧ - كنت أطيب رسول الله - ﷺ - فيطوف في نسائه
٢٣	١٤٨ - كنت ألعب بالنبات عند رسول الله - ﷺ -
٢٣	١٤٩ - كنت ألعب بالنبات يومًا
١٨٨	١٥٠ - كنت أنام بين يدي رسول الله - ﷺ -
٥١	١٥١ - لا أحل مسكرًا وإن كان خيرًا
٦٨	١٥٢ - لا أُلقيين أحدكم متكئًا على أريكته
١٩٢	١٥٣ - لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك
٢٤	١٥٤ - لا تؤذني في عائشة
٢٢٥	١٥٥ - لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب

الصفحة	طرف الحديث
٨٠	١٥٦ - لا سكنى لك ولا نفقة
١١٠	١٥٧ - لا نورث ، ماتركناه صدقة
٤٧	١٥٨ - لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذى يصومون
٢٤٤ ، ٨٨	١٥٩ - لا يطوف بالبيت حاج
١٦١ ، ٩١	١٦٠ - لأن أطفى بالقطران أحب إلى
١٤٥ ، ٩٨	١٦١ - لأن أقتع بسوط فى سبيل الله
١٩٥ ، ٩٩	١٦٢ - لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خير له
٢٣٤	١٦٣ - لقد جعلتمونا كلاباً
٢٣٣	١٦٤ - لقد رأيتنى بين يدى رسول الله - ﷺ - معترضة
٤٧	١٦٥ - لقد رأيتهُ ينزل عليه الوحي
١٨٤ ، ٧٨	١٦٦ - لقد فرطنا فى قراريط كثيرة
٢٣٥	١٦٧ - لقد كان رسول الله - ﷺ - يقوم فيصلى من الليل
١٩٢	١٦٨ - لقد كنت اغتسل أنا ورسول الله - ﷺ -
١٠٤	١٦٩ - لقد علم أنه اعتمر أربع عمر
١٨٣ - ٩٢	١٧٠ - لقد علم ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قد اعتمر ثلاثاً
٢١٨	١٧١ - لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله - ﷺ -
٤٦	١٧٢ - لقد نزل بمكة على محمد - ﷺ - وإنى لجارية
٣٥	١٧٣ - اللهم هذه قسمي فيما أملك
٦٢	١٧٤ - لو أدرك رسول الله - ﷺ - ما أحدث النساء
٧٦	١٧٥ - ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله - ﷺ -
٢٣٧	١٧٦ - ما أسرع الناس إلى أن يعيوا
٨٥ ، ٤٢	١٧٧ - ما أعطيتموهن من شئ
١٧٠	١٧٨ - ما أوصى رسول الله - ﷺ - بشئ
٥٩ ، ٤٥	١٧٩ - ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله - ﷺ -
١١٢	١٨٠ - ما رأيت رسول الله - ﷺ - سبح
١١٤	١٨١ - ما رأيت رسول الله - ﷺ - صائماً
٣٨	١٨٢ - ما شيع آل محمد - ﷺ -
٣٨	١٨٣ - ما شيعت بعد النبي - ﷺ -
١١١	١٨٤ - ما صلى رسول الله - ﷺ - على سهيل بن بيضاء
٧٦	١٨٥ - ما كان خلق أبغض إلى أصحاب رسول الله - ﷺ -
٧٤ ، ٧١	١٨٦ - ما كل الحديث سمعناه
٢٥٨ ، ١٠١	١٨٧ - ما لكلكن ذو محرم

الصفحة	طرف الحديث
١٥٩ ، ٧٤	١٨٨ - مامن رجل يذنب ذنباً
٥٨	١٨٩ - الماء من الماء
١٩٧ ، ٩٨	١٩٠ - المؤمن أكرم عند الله
١٧٠	١٩١ - متى أوصى إليه ؟
١١٤	١٩٢ - متى أوصى إليه ؟ فقد كنت مسندته
١١٣	١٩٣ - من أزواجكن أن يغسلوا
١٧٨ ، ٩٠	١٩٤ - معاذ الله - والله - ما وعد الله ورسوله من شيء قط
٢٠٨،٢٠٧،١٠٢	١٩٥ - من أحب لقاء الله
١٧٤ ، ١٢٤	١٩٦ - من أهدى هدياً
١٨٤،٩٣،٧٨	١٩٧ - من تبع جنازة
٥٨	١٩٨ - من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة
٢٤٠ ، ١١٢	١٩٩ - من حدثكم أن النبي - ﷺ - كان يبول
١٨٤	٢٠٠ - من خرج مع جنازة
٤٩ ، ١٣٦ ، ٩٠	٢٠١ - من زعم أن محمداً رأى ربه
١٥	٢٠٢ - من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور
٢٣٨	٢٠٣ - من صلى على جنازة
٨٠،٥٨،٩٩	٢٠٤ - من غسل ميتاً اغتسل
٧٣	٢٠٥ - من قال على ما لم أقل
٦٩	٢٠٦ - من كذب على متعمداً
٩٩ ، ٥٨	٢٠٧ - من لم يوتر فلا صلاة له
٩٤	٢٠٨ - موت الفجأة
٦٨	٢٠٩ - نصّر الله أمراً سمع منا حديثاً
١٧٨	٢١٠ - هم أتباع الرسل الذي آمنوا بربهم
١٤٧ ، ١٤٥	٢١١ - هو شر الثلاثة
٢٣٧	٢١٢ - والله لقد صلى رسول الله - ﷺ - على ابني بيضاء
١٥٧	٢١٣ - ولد الزنى شر الثلاثة إذا عمل
١٢٢ ، ٨٧	٢١٤ - وهم عمر ، إنما نهى رسول الله - ﷺ
١٣٦ ، ٤٩	٢١٥ - يا أمته ، هل رأى محمد ربه ؟
١٠٣	٢١٦ - يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب محمد - ﷺ
٢٤	٢١٧ - يابنية ألا تحبين ما أحب ؟
١٠	٢١٨ - يا حميراء أتحنين أن تنظري إليهم
٣٧ ، ١٠	٢١٩ - ياموفقة

الصفحة	طرف الحديث
٢٢١	٢٢٠ - يارسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف
٢٤	٢٢١ - يارسول الله أى الناس أحب إليك ؟
٩	٢٢٢ - ياعائش هذا جبريل يقرئك السلام
٢٣	٢٢٣ - ياعائشة هذه بتلك
٢١١ ، ١٠٢	٢٢٤ - يحشر الناس حفاة عراة
٩٢ ، ٩١	٢٢٥ - يرحم الله أبا عبد الرحمن ، فقد كنت أطيّب
١٨٢ ، ٩٢	٢٢٦ - يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر عمرة
٩٥	٢٢٧ - يرحم الله أبا عبد الرحمن ، وهيل
٢٥٣	٢٢٨ - يُغتسل من أربع
٢٣٣	٢٢٩ - يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب
٦٨	٢٣٠ - يوشك أن يقعد الرجل منكم

* * *

ثبت المصادر والمراجع

- ١ - أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد علي الرازي الجصاص (٣٨٠ هـ) ، نشر عبد الرحمن محمد - القاهرة (١٣٤٧ هـ) .
- ٢ - الأحكام في أصول الأحكام : للأمدى ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣ - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - ﷺ - : للإمام محيي الدين أبي زكريا بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) - دار نهر النيل .
- ٤ - استدراك أم المؤمنين عائشة على الصحابة ، أبو منصور عبد المحسن بن محمد بن علي الشيحي البغدادي (٤٢١ - ٤٨٩ هـ) ، تحقيق محمد عزيز شمس - الدار السلفية - الهند .
- ٥ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) طبعة دار الشعب بالقاهرة .
- ٦ - الأم : للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق د/رفعت فوزي عبد المطلب - دار الوفاء مصر .
- ٧ - الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة : للإمام بدر الدين الزركشي ، تحقيق د/ رفعت فوزي عبد المطلب - مكتبة الخانجي - بالقاهرة .
- ٨ - الإحسان تقريب ابن حبان : للأمير علاء الدين بن بليان الفارسي (ت ٧٣٩) ، تحقيق شيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٩ - الإصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين العسقلاني، مكتبة المثنى - لبنان .
- ١٠ - الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار : لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي - مكتبة عاطف - القاهرة .
- ١١ - البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) - دار الفكر العربي .
- ١٢ - تأويل مختلف الأحاديث في الرد على أعداء الحديث للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) - مطبعة كردستان العلمية بمصر ، (١٣٢٦ هـ) .
- ١٣ - تحريم نكاح المتعة : لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي (٣٧٧ - ٤٩٠ هـ) - تحقيق حماد الأنصاري - مكتبة التراث بالمدينة المنورة .
- ١٤ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة - القاهرة (١٢٨٥ هـ - ١٩٦٦ م) .
- ١٥ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) ، وزارة الأوقاف للشئون الإسلامية - المغرب .
- ١٦ - تهذيب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) حيدر آباد الهند .
- ١٧ - توثيق السنة في القرن الثاني الهجري : د/رفعت فوزي عبد المطلب - مكتبة الخانجي - بالقاهرة .

- ١٨ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - وطبعة دار الشعب بالقاهرة .
- ١٩ - جامع الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة .
- ٢٠ - الجامع الصحيح : لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى - الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ) - المكتبة السلفية بالقاهرة .
- ٢١ - الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن أبي حاتم - حيدر أباد الدكن - الهند .
- ٢٢ - حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصبهاني - الطبعة الثالثة ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٢٣ - الروض الأنف : لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) - مكتبة شقرون .
- ٢٤ - سنن الترمذى : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - الطبعة الأولى - (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م) .
- ٢٥ - سنن الدارقطنى : للإمام الكبير على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) عالم الكتب - بيروت .
- ٢٦ - السنن الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، لبنان .
- ٢٧ - سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القروينى (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٢٨ - سنن النسائى : أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ) المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
- ٢٩ - سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٣٠ - شرح الزرقانى على الموطأ - دار المعرفة ، بيروت (١٣٩٨ هـ) .
- ٣١ - شرح صحيح مسلم : للإمام النووى محيى الدين أبى زكريا محيى بن شرف النووى الشافعى (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨ م) ، دار القلم - بيروت .
- ٣٢ - شرح مشكل الآثار : لأبى جعفر أحمد بن سلامة الطحاوى (٢٣٩ هـ - ٣٢١ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤاوط - مؤسسة الرسالة .
- ٣٣ - صحيح ابن خزيمة : لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٣٣ - ٣١١ هـ) ، تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمى ، الطبعة الثانية (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) - الرياض .
- ٣٤ - صحيح مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى - الطبعة الأولى (١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الباني الحلبي وشركاه .
- ٣٥ - الصواعق المحرقة ، فى الرد على أهل البدع والزندقة : لأحمد الهيثمى (ت ٩٧٤ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- ٣٦ - الطبقات الكبرى : محمد بن سعد كاتب الواقدي - دار التحرير بالقاهرة ، وهي مصورة من الطبعة الألمانية .
- ٣٧ - غريب الحديث : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤) ، تحقيق د/ حسين محمد شرف - مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٣٨ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري : للإمام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) - الطبعة الثانية ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
- ٣٩ - فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) - مكتبة مصطفى الباني الحلبي .
- ٤٠ - في ظلال القرآن : سيد قطب - الطبعة السادسة (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) دار الشروق .
- ٤١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) - بتحريр الحافظين العراقي وابن حجر - مكتبة القدس (١٣٥٢ هـ) القاهرة .
- ٤٢ - مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النجدى - ط (١) ١٣٨٦ هـ - السعودية .
- ٤٣ - المحدث الفاصل بين الراوى والواعى : للحسن بن عبد الرحمن الراهمرمزي (نحو ٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ) ، تحقيق د/محمد عجاج الخطيب ، الطبعة الأولى (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) . دار الفكر - بيروت .
- ٤٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية طبعة المنار بمصر (١٣٣١ هـ) .
- ٤٥ - المستدرک : لأبي عبد الله الحاكم النيسابورى ، دار الفكر - بيروت - مصورة عن الطبعة الهندية .
- ٤٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل : الطبعة الأولى (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٨ م) ، دار صادر - بيروت .
- ٤٧ - مسند أبو داود الطيالسى سليمان بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ) ، دار المعرفة - بيروت .
- ٤٨ - مصنف ابن أبي شيبة : (ت ٤٥٨ هـ) ، طبعة حيدر آباد الدكن - الهند .
- ٤٩ - مصنف عبد الرزاق : للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامى ، بيروت - لبنان .
- ٥٠ - معالم السنن ، شرح سنن أبي داود : لأبي سليمان حمد بن محمد الخطائى البستى (ت ٣٨٨) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥١ - المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ) ، تحقيق د/محمود الطحان - الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف - الرياض .
- ٥٢ - المعجم الكبير : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠) ، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى - وزارة الأوقاف بالعراق .



- ٥٣ - معجم لسان العرب - دار صادر بيروت .
- ٥٤ - معرفة علوم الحديث : للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النسيابوري (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) ، تحقيق السيد معظم حسين - دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (١٩٧٠ م) .
- ٥٥ - المنتقى شرح موطأ الإمام مالك : للإمام الباجي - الطبعة الثالثة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥٦ - موسوعة فقه السيدة عائشة ، حياتها وفقهها : للشيخ سعد فايز الدخيل - دار النفائس ، لبنان - بيروت .
- ٥٧ - الموطأ : مالك بن أنس ، رواية يحيى بن يحيى - عيسى الباني الحلبي - القاهرة .
- ٥٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر : لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، وظاهر أحمد الزاوي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	الباب الأول
	ترجمة السيدة عائشة - رضى الله عنها - :
١٥ - ٩	الفصل الأول : نسبها
٩	١ - اسمها
٩	٢ - لقبها
١٠	٣ - كنيها
١٢	٤ - نسبها وأسرتها
١٤	٥ - أبو بكر الصديق - رضى الله عنه
	٦ - أم السيدة عائشة - رضى الله عنها
٢٢ - ١٦	الفصل الثانى : نشأتها
١٦	١ - مولدها
١٧	٢ - نشأتها
١٨	٣ - زواجها من النبى - ﷺ
٣٣ - ٢٣	الفصل الثالث : فى بيت النبوة
٢٣	١ - مكاتها عند رسول الله - ﷺ
٢٦	٢ - حادث الإفك
٣٩ - ٣٤	الفصل الرابع : فضائلها ومكونات شخصيتها
٣٤	١ - فضائلها
٣٦	٢ - أضاء على شخصية السيدة عائشة
٣٦	(أ) الصدق والذكاء
٣٨	(ب) الزهد والورع
٦٤ - ٤٠	الفصل الخامس : مكاتها العلمية وإمامتها
٤٠	١ - مكاتها العلمية
٤٦	٢ - إمامتها فى علم التفسير

- ٤٨ (أ) تفسير القرآن بالقرآن
 ٤٨ (ب) تفسير القرآن بالسنة
 ٤٩ (ج) تفسير القرآن بأسباب النزول
 ٥٠ (د) التفسير اللغوي
 ٥١ (و) التفسير الإجتهادى
 ٥٢ ٣ - إمامتها فى علم الحديث
 ٥٩ ٤ - إمامتها فى علم الفقه
 ٦٤ ٥ - وفاتها

الباب الثانى توثيق عائشة للسنة

- الفصل الأول : عناية الصحابة بالسنة ومجمل توثيقهم لها
 ٦٧ - ٨٢ - مقدمة
 ٦٩ - التوثيق
 ٧١ - وسائل توثيق السنة
 ٧١ ١ - الحرص على سماع الأحاديث
 ٧٣ ٢ - التشدد فى حفظ الأحاديث
 ٧٤ ٣ - التشدد مع رواية الأحاديث
 ٧٨ ٤ - وسائل توثيق متن الحديث
 ٧٨ ١ - عرض الحديث على القرآن الكريم
 ٨٠ ٢ - عرض الحديث على السنة
 ٨٠ ٣ - عرض الحديث على القياس
 ٨١ ٤ - عرض الحديث على مايقول به الصحابة

- الفصل الثانى : توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث رواتها
 ٨٣ - مقدمة
 ٨٥ - ٨٧ ١ - استدراكات السيدة عائشة على عمر - رضى الله عنه
 ٨٥ ١ - عذاب الميت ببيكاء أهله
 ٨٥ ٢ - جواز الصدقة على الزوجة
 ٨٦ ٣ - جواز الطيب قبل الإحرام ، وبعد الحل الأول
 ٨٧ ٤ - الطيب قبل الإحرام
 ٨٧ ٥ - صلاة النافلة بعد العصر

- ٢ - استداركها على عبد الله بن عباس - رضى الله عنه ٨٨ - ٩٠
- ١ - من أهدي هدياً وليس محرماً ٨٨
- ٢ - طواف الحاج قبل الوقوف ٨٨
- ٣ - فى النافلة بعد العصر ٨٩
- ٤ - رؤية النبى - ﷺ - ربه ٨٩
- ٥ - قراءة ﴿ قَدْ كُذِبُوا ﴾ مخففة ٩٠
- ٣ - استداركها على عبد الله بن عمر - رضى الله عنه ٩١ - ٩٦
- ١ - عذاب الميت ببكاء أهله ٩١
- ٢ - الطيب قبل الإحرام ٩١
- ٣ - عمرات الرسول - ﷺ ٩١
- ٤ - أجر متبع الجنابة ٩٣
- ٥ - قطع الخفين للنساء فى الإحرام ٩٣
- ٦ - الوضوء من القبلة ٩٤
- ٧ - موت الفجأة ٩٤
- ٨ - ترتيب الأذان بين بلال وابن أم مكتوم ٩٤
- ٩ - قوله الشهر تسع وعشرون ٩٥
- ١٠ - قصة أهل القلب ٩٦
- ٤ - استداركها على عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنه ٩٦
- ٩٦ - نقض المرأة رأسها للغسل ٩٦
- ٥ - استداركها على أبى هريرة - رضى الله عنه ٩٦ - ١٠١
- ١ - صوم من أصبح جنباً ٩٦
- ٢ - الشؤم فى ثلاثة ٩٧
- ٣ - عذاب المرأة فى هرة ٩٨
- ٤ - ولد الزنى شر الثلاثة ٩٨
- ٥ - من لم يوتر فلا صلاة له ٩٩
- ٦ - رواية الشعر ٩٩
- ٧ - الوضوء من حمل الميت والغسل من تغسيله ٩٩
- ٨ - المرأة تقطع الصلاة ١٠٠
- ٦ - استداركها على أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه ١٠١ - ١٠٢
- ١ - سفر المرأة بدون محرم ١٠١
- ٢ - بعث الميت فى ثيابه ١٠١

- ٧ - استدراكها على عبد الله بن مسعود - رضی الله عنه ١٠٢ - ١٠٣
 - إذا أحب العبد لقاء الله ١٠٢
 ٨ - استدراكها على أبي موسى الأشعري - رضی الله عنه ١٠٣
 - تعجيل الفطر والصلاة ١٠٣
 ٩ - استدراكها على زيد بن ثابت - رضی الله عنه ١٠٣ - ١٠٤
 - نفر الحائض من غير طواف الوداع ١٠٣
 ١٠ - استدراكها على زيد بن أرقم - رضی الله عنه ١٠٤
 - البيع إلى العطاء ١٠٤
 ١١ - استدراكها على البراء بن عازب - رضی الله عنه ١٠٤ - ١٠٥
 - عمرات الرسول - ﷺ ١٠٤
 ١٢ - استدراكها على عبد الله بن الزبير - رضی الله عنه ١٠٥
 ١ - أفراد الحج والتمتع ١٠٥
 ٢ - مقدار ماتأخذ المحرمة من شعرها ١٠٥
 ١٣ - استدراكها على عروة بن الزبير - رضی الله عنه ١٠٦
 - السعي بين الصفا والمروة ١٠٦
 ١٤ - استدراكها على جابر بن عبد الله - رضی الله عنه ١٠٦ - ١٠٧
 ١ - في الماء من الماء ١٠٦
 ٢ - في إلقاء الثوب الخلق ١٠٧
 ١٥ - استدراكها على أبي طلحة - رضی الله عنه ١٠٧
 - عدم دخول الملائكة بيتاً فيه صورة ١٠٧
 ١٦ - استدراكها على أبي الدرداء - رضی الله عنه ١٠٨
 - من أصبح ولم يوتر ١٠٨
 ١٧ - استدراكها على شيبة بن عثمان - رضی الله عنه ١٠٨
 - في بيع ثياب الكعبة ١٠٨
 ١٨ - استدراكها على فاطمة بنت قيس - رضی الله عنها ١٠٥ - ١١٠
 - في السكنى للمتوتة ١٠٩
 ١٩ - استدراكها على أزواج النبي - ﷺ ١١٠
 - الأنبياء لا يورثون ١١٠
 ٢٠ - استدراكها على بعض الصحابة - رضوان الله عليهم ١١٠ - ١١٤
 ١ - المرأة لاتقطع الصلاة ١١٠
 ٢ - الصلاة على الجنائز في المسجد ١١١
 ٣ - تحريم المتعة ١١٢
 ٤ - البول قائماً ١١٢

- ١١٢ ٥ - صلاة الضحى
- ١١٣ ٦ - غسل الجمعة
- ١١٣ ٧ - الاستنجاء بالماء
- ١١٤ ٨ - الوصية إلى على
- ١١٤ ٩ - صيام النبي - ﷺ - لعشر ذى الحجة
- ١١٥ - ١٢٦ الفصل الثالث : توثيق السيدة عائشة للسنة من حيث متونها
- ١١٥ - مقدمة
- ١١٦ ١ - مقياس عرض السنة على القرآن الكريم
- ١٢٠ ٢ - مقياس عرض السنة على السنة
- ١٢٥ ٣ - مقياس عرض السنة على القياس ، وعلى الأصول الإسلامية

الباب الثالث

دراسة مقارنة للموضوعات التي استدركتها السيدة عائشة على الصحابة

- ١٢٩ - ١٥٢ الفصل الأول : مقياس عرض السنة على القرآن الكريم
- ١٢٩ - مقدمة
- ١٣٠ ١ - لا يعذب الميت ببيكاه أهله عليه
- ١٣٥ ٢ - رؤية الرسول - ﷺ - ربه
- ١٣٩ ٣ - سماع أهل القبور لمن يخاطبونهم
- ١٤٢ ٤ - الشؤم فى ثلاثة
- ١٤٥ ٥ - ولد الزنى
- ١٤٩ ٦ - تحريم متعة النساء

١٥٣ - ٢٤٩ الفصل الثانى : مقياس عرض السنة على السنة

- ١٥٣ - مقدمة
- ١٥٣ أولاً : تطبيق مقياس عرض السنة على القرآن والسنة معاً
- ١٥٨ ثانياً : تطبيق مقياس عرض السنة على السنة فقط
- ١٥٨ ١ - إذا التقى الختانان وجب الغسل
- ١٦١ ٢ - يجوز الطيب قبل الإحرام ، وبعد الحل الأول
- ١٦٦ ٣ - صلاة النافلة بعد العصر

- ٤ - إنكارها الوصية لعلى - رضى الله عنه ١٧٠
- ٥ - من أهدى هدياً وهو مقيم ١٧٤
- ٦ - ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ ١٧٨
- ٧ - عمرات رسول الله - ﷺ ١٨٢
- ٨ - من تبع جنازة فله قيراط ١٨٤
- ٩ - عدم قطع الخفين للمحرمات ١٨٦
- ١٠ - عدم الوضوء من القبلة ١٨٨
- ١١ - أذان بلال وابن أم مكتوم لصلاة الصبح ١٨٩
- ١٢ - الشهر قد يكون تسعاً وعشرين ١٩١
- ١٣ - لا ينقض شعر المرأة لغسل الجنابة ١٩٢
- ١٤ - صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ١٩٤
- ١٥ - هل عذبت امرأة من جِزء هرة ١٩٧
- ١٦ - امتلاء الجوف بالشعر ١٩٩
- ١٧ - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٢٠٧
- ١٨ - هل الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها ؟ ٢١٠
- ١٩ - تعجيل الفطر ٢١٣
- ٢٠ - نذر الحائض من غير طواف الوداع ٢١٤
- ٢١ - أفراد الحج والتمتع ٢١٧
- ٢٢ - السعى بين الصفا والمروة ٢٢١
- ٢٣ - لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ٢٢٥
- ٢٤ - السكنى للميتوة ٢٢٩
- ٢٥ - المرأة لا تقطع الصلاة ٢٣٣
- ٢٦ - الصلاة على الجنازة فى المسجد ٢٣٧
- ٢٧ - أبال رسول الله - ﷺ - قائماً ؟ ٢٤٠
- ٢٨ - طواف الحاج قبل الوقوف ٢٤٤
- ٢٩ - كان النبى - ﷺ - يصبح فيوتر ٢٤٦

الفصل الثالث : مقياس عرض السنة على القياس والأصول ٢٥٠ - ٢٥٩

- ١ - قطع الصلاة ٢٥٠
- ٢ - المؤمن أكرم عند الله ٢٥١
- ٣ - أونجس موتى المسلمين ؟ ٢٥٢
- ٤ - بئس ما اشتريت وبئس ما اشتري ٢٥٥
- ٥ - ماكلهن ذوات محرم ٢٥٨

٢٦١ الفهارس
٢٦٣	١ - فهرس الآيات القرآنية
٢٧٠	٢ - فهرس الأحاديث
٢٧٨	٣ - ثبت المصادر والمراجع
٢٨٢	٤ - فهرس الموضوعات

* * *